ذلك الرجل

يسوع المسيح في المصادر اليهودية

Avigdor Shinan

Jesus through Jewish Eyes

Translated by Amr Zakaria Khalil

شنئان،أبيجدور

ذلك الرجل – يسوع المسيح في المصادر اليهودية

ترجمة: عمرو زكريا خليل،

الطبعة الثانية 2017

رقم الإيداع / 2009/2714

279 صفحة ؛ 17 * 24 سم

الناشر/ المؤسسة المصرية للتسويق والتوزيع (إمدكو للطباعة والنشر) .
163 ش بورسعيد – السلسلة – خلف دار الهلال – السيدة زينب-
القاهرة. محمول : 01004633770 - 01000751101 البريد الإلكترونى:
http://www.facebook.com/emdco – emdco.press@yahoo.com

(حقوق النسخة العربية محفوظة للمترجم)

أبيجدور شنئان

ذلك الرجل

يسوع المسيح في المصادر اليهودية

ترجمة وتقديم وتعليق

عمرو زكريا خليل

EMDCO Marketing & Distribution
المصرية للتسويق والتوزيع (إمدكو)

{ ربِ اغفرْ لي ولوالِدَيَّ ولِمَنْ دخلَ بيتيَ مؤمناً وللمؤمنينَ
والمؤمناتِ ولا تزِدِ الظالمينَ إلا تباراً}

سورة نوح 28

المحتوى

مقدمة المترجم.....9

مدخل.....13

العصر القديم.....39

- يوسف بن متتياهو (يوسفوس فلابيوس)
- أدب الأحبارالمشناه والتوسفتا والتلمودان والمدراشيم

العصر الوسيط.....59

- كتاب مجادلة الأسقف نسطور
- كتاب تاريخ يسوع
- الحبر يهودا اللاوى
- الحبر موسى بن ميمون (رامبام)
- الحبر داود قمحى
- الحبر يعقوب بن رؤبين
- الحبر إفرايم بن شمشون
- الحبر موشيه بن نحمان (رامبان)
- كتاب المناظرة القديم

- الحبريوم طوف ليفمان ميلهويزن
- الحبرإسحق بن موشيه اللاوى (بروبياط دوران)
- يائيربن شبتاى مقوريو

العصر الحديث.....159

- تسفى جريتس
- إفرايم ديانارد
- يهودا داود أيزنشطاين
- ميخا يوسف بن جريون (بردتشفسكى)
- شمعون دفنوف
- يوسف قلوزنر
- ميلطون آرون
- القاضى حاييم كوهين
- بروفسور داود بلوسر
- الحاخام عوباديا يوسف

الأدب العبرى الحديث.....267

- أبراهام قاباق
- الشاعر زلمان شنياور
- ناتان أجمون

- حاییم هزاز
- بنحاس سادیه
- بنیامین جلای
- عاموس قینان

مقدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى من اتبعه بإحسان الى يوم الدين أما بعد،

"**ذلك الرجل**" كتاب للأستاذ الدكتور أبيجدور شنآن من الجامعة العبرية بالقدس يتناول فيه موقف اليهود من عيسى عليه السلام فى الكتب والمراجع اليهودية ولدى المفكرين والفلاسفة ورجال الدين اليهود بداية من القرن الأول الذى عاش فيه عليه السلام حتى يومنا هذا. يعرض المؤلف للمصادر العبرية أو لمقتطفات منها التى تناولت سيدنا عسى عليه السلام وتاريخه وليس للأسس العقائدية للديانة المسيحية وإن كانت مرتبطة بحياته، مثل العلاقة بين العنصر الالهى والعنصر البشرى (كما يزعم المسيحيون).

لا يهتم الكتاب بمناقشة الجدل اليهودى المسيحى فى مجمله واكتفى بالعرض لمولد المسيح ونشأته وطبعه وعلاقته بمن حوله ووفاته، من وجهة النظر اليهودية.

فصول الكتاب مرتبة زمنيا بداية من يوسيفوس فلافيوس، الذى عاصر عيسى عليه السلام، وحتى وقتنا هذا. يحظى كل كاتب بعرض قصير لسيرته الذاتية ثم عرض للنص الذى يتناول عيسى عليه السلام فى أعماله.

يعرض مدخل الكتاب لمجمل حياة عيسى عليه السلام (يسوع فى المسيحية) فى الأدب المسيحى القديم وفى الأناجيل وذلك للمساعدة على فهم ما يعرض له الكتاب بعد ذلك.

يمكن القول، بشكل عام، أنه يلاحظ تغيير وتطور فى مسألة التطرق الى عيسى عليه السلام فى المصادر اليهودية. ففى البداية، العصر القديم، هناك تجاهل تام، مقصود كان أم غير مقصود، لشخص عيسى عليه السلام، ثم تناول مستفيض فى أدب العصور الوسطى ينقسم الى قسمين: مؤلفات ساخرة تستهزأ بعيسى عليه السلام وتنكره تماما ومؤلفات تتناول أمثاله وإدعاءات المسيحية بفكر أعمق وتطلب تفنيدها.

لقد استخدم اليهود فى هذا الإطار استراتيجيات مختلفة وفقا للزمن ووفقا للمجادل: بداية من إنكار كل ما يحكى عن عيسى عليه السلام ومناقضته، من خلال الاشارة الى المشكلات الموجودة فى قصص العهد الجديد واستمرارا بالاعتراف بما ورد عن عيسى لكن مع التحديد أنه لا يصل الى مستوى أنبياء بنى إسرائيل وعظمائهم، وانتهاء ببعض الاشارات الايجابية مثل أنه كان مسيح كذب لكنه، مع ذلك، كان له دور كبير فى نشر الفكر المسيحانى فى العالم. أو كما قالوا أن عيسى نفسه لم يعلم ماذا سيقول عنه أتباعه والمؤمنون به من بعده وأنه يجل الفصل بين الرجل وعمله وبين الديانة التى ارتبطت باسمه.

وفى العصر الحديث، يردد كثير من الباحثين الادعاء الأخير كما ينظر اليه الأدب العبرى الحديث من زاوية معينة تفصله عن الديانة المسيحية. ولقد اكتفيت فى ترجمتى للعمل (فى الفصل الخاص بالأدب العبرى الحديث) بالاشارة الى الأدباء الذين تناولوا عيسى عليه السلام فى أعمالهم وعرضت ملخصا قصيرا لسيرتهم الذاتية وموقفهم من عيسى عليه السلام فى أعماله دون عرض لنموذج العمل نفسه.

كما عرضت فى الملحق الخاص للموقف الاسلامى من عيسى عليه السلام متبعا نفس الأسلوب الذى اتبعه المؤلف فى عرضه لسيدنا عيسى عليه السلام فى الأناجيل بعرض لأسمائه فى القرآن الكريم وحياته ونشأته وأمه ....إلخ. ثم قمت بعرض لعيسى عليه السلام فى الأحاديث النبوية الشريف ومكانته فى الاسلام . وفى الختام عرضت جميع الآيات القرآنية التى ورد فيها ذكر عيسى عليه السلام.

{ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا}

والله الموفق،،،،

عمرو زكريا خليل

مدخل

من يريد التعرف على شخصية يسوع كما وصفها الأدب اليهودى، يجب أن يبدأ بالكتابات المسيحية وما يعرف بـ "العهد الجديد"، وهو كتاب وضعه أكثر من خمسة وعشرين مؤلفا مختلفا. كتب فى أجزاء غير قليلة منه بأيدى يهود ومن أجل اليهود وبلغة اليهود (العبرية أو الآرامية) فى منطقة فلسطين وما حولها وبأسلوب أدبى يعرفه التراث اليهودى؛ وتم فيه اقتباس فقرات كثيرة من العهد القديم ومفاهيم فكرية ودينية كانت اليهودية القديمة شريكة فى بعضها. فهو كتاب يسجل اليهود الأوائل فيه شهاداتهم عن يسوع، بينما ينكره كثير من اليهود على مر التاريخ وتراجع الكثير منهم عن قراءته. ولا مجال لفهم معظم ما ورد عن يسوع فى الأدب اليهودى على مر العصور إلا بعد التعرف على التعاليم والأحكام الدينية التى تقوم عليها المسيحية.

يرتبط أربعة من بين المؤلفين الكثر للعهد الجديد بموضوعنا وهم بولس (أو «شاول» باسمه العبرى) ومرقس ومتى ولوقا، وثلاثة منهم من اليهود.

يسوع فى كتابات بولس (شاول)

ولد بولس مع بداية التقويم الميلادى فى طرسوس بآسيا الصغرى وتم إعدامه فى روما فى عام 60 ميلادية، وهو من واضعى المسيحية الأولى. «والرأى السائد أن بولس هو المؤسس الحقيقى للمسيحية وليس يسوع»[1] (داود بلوسر، دائرة المعارف العبرية، ج 27 ص292). عمل بولس بلا كلل على نشر المسيحية فى رسائله (التى حفظها العهد الجديد) وفى رحلاته كما عمل على

تكوين طوائف مسيحية فى أنحاء حوض البحر المتوسط. ولم يلتق بولس يسوع، قط بل أنه فى بداية طريقه ووفقا لروايته كان من بين اليهود الذين اضطهدوا الدين الجديد. ويحكى ذلك فى خطبة مؤثرة ألقاها أمام أهالى أورشليم فقال: « ... أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية ولكن ربيت في هذه المدينة مؤدبا عند رجلي غمالائيل على تحقيق الناموس الأبوي ... وكنت غيورا لله كما أنتم جميعكم اليوم. [4] واضطهدت هذا الطريق حتى الموت، مقيدا وواضعا في السجون رجالا ونساء، [5] كما يشهد لي أيضا رئيس الكهنة وجميع المشيخة. الذين إذ أخذت أيضا منهم رسائل للإخوة إلى دمشق، ذهبت لآتي بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكي يعاقبوا. [6] فحدث لي وأنا ذاهب ومقترب إلى دمشق، أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولي من السماء نور عظيم. [7] فسقطت على الأرض، وسمعت صوتا قائلا لي: شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟ [8] فأجبت: من أنت يا سيد؟ فقال لي: أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده. [9] والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني. [10] فقلت: ماذا أفعل يارب؟ فقال لي الرب: قم واذهب إلى دمشق، وهناك يقال لك عن جميع ما رتب لك أن تفعل[1]".

بعد هذا اللقاء اعتنق بولس المسيحية وبدأ فى الدعوة لها لا سيما فى العالم اليونانى-الرومى. ولا يورد بولس معلومات حقيقية عن حياة يسوع، بل إنه لا يبدى اهتماما بها. وفى رسائله التى دون فى خمسينيات القرن الأول وستينياته يتناول المغزى الدينى لحياة يسوع وموته. فيعتبر يسوع كيانا سماويا تجسد فى صورة بشر وكفر بموته عن خطايا البشرية. والخلاص فى

[1] أعمال الرسل: 22: 3-10

بشارة يسوع هو الأساس فى رأى بولس؛ أما تاريخ يسوع نفسه فلم يكن على رأس اهتماماته.

حياة يسوع فى مجمل البشارات (الأناجيل)

ما يهمنا فى موضوعنا هنا هو السيرة الذاتية ليسوع والتى وضعها أربعة مؤلفين مختلفين بعد جيلين أو ثلاثة أجيال بعده. ونقصد بهم المبشرين الأربعة (لأن قصصهم، فى رأيهم، تحمل فى طياتها بشارة الخلاص للبشرية) والأناجيل الأربعة التى يبدأ بها العهد الجديد. فكل واحد من المؤلفين الأربعة يعرض بأسلوبه سيرة يسوع حتى وفاته وقيامته. ومقارنة تلك القصص بعضها ببعض من المجالات المثمرة فى دراسة الأدب الدينى المسيحى.

ثلاثة من هذه البشارات، وهى التى وضعها متى ومرقس ولوقا، تبدو كما لو أنها كتبت بأيدى شهود عيان. وهى متشابهة فيما بينها شكلاوموضوعا، بل إنها تصل إلى حد التطابق أحيانا. ويطلق على هذه البشارات فى المجال البحثى اسم «مجمل البشارات». وتشير المقارنة بينها إلى الرؤية المختلفة لكل من الكتاب الأربعة لسيرة يسوع وحياته. أما البشارة (الإنجيل) الرابعة، أى بشارة يوحنا، فتختلف فى صفاتها عن سابقاتها؛ فهى متأخرة عنهم زمنيا، ولها طبيعة لاهوتية خاصة تجعل من الصعب أن نتخذ منها مصدرا لتناول سيرة يسوع. لذا فإننا لن نتطرق إليها هنا.

يقال أن مجمل البشارات (الأناجيل) الثلاثة كتب فى الثلاثين سنة الأخيرة من القرن الأول الميلادى. إلا أن الباحثين اختلفوا فى مسألة الترتيب الزمنى الدقيق لها وكذلك الأمانة التاريخية وعلاقتها الأدبية بالمصادر المشتركة أو الخاصة. أما فيما يتعلق بموضوعنا فليس لهذه الأمور أهمية كبيرة لأننا

سنهتم بالوسائل التى ردت بها المصادر اليهودية على روايات العهد الجديد، والتى لم يكن هناك فرق فيها بين بشارة (إنجيل) وأخرى، إذ اعتبرتها المصادر اليهودية شيئا واحدا. وحتى إذا نوقشت الفروق بينها فإن ذلك لم يكن إلا من أجل زعزعة الثقة فيها. فلم يروا ما يستدعى فصلها عن بعضها.

نتناول الآن قصة حياة يسوع كما ترويها البشارات (الأناجيل)، وذلك بغرض دمج ما ورد بها حتى يعرفها اليهود ومن يتعاملون معها. أما شريعة يسوع وأقواله فلن نركز عليها إلا قليلا حيث أن اهتمامنا، كما ذكرنا، ينصب على الرجل نفسه وعلى حياته.

تتضارب التواريخ فى البشارات حول تاريخ ميلاد يسوع؛ فيقول متى إنه ولد فى أيام حكم هيرودس الذى مات فى العام الرابع قبل بداية التقويم الميلادى. أما لوقا فيقدم تاريخ مولده بسنتين أو ثلاث سنوات أخر. ويبدو أن يسوع ولد فى العام الخامس قبل بداية التقويم الميلادى (أى قبل ما يزيد على ألفى عام). أما مكان ميلاده فلم يرد بصورة واضحة وقاطعة فى العهد الجديد. فعلى الرغم من قصة مولده فى بيت لحم، فإنه أشار إليه دائما على أنه «رجل من الناصرة». كان مولده على أية حال فى مدينة الجليل. وانتهت حياته على الصليب فى عصر الحاكم الرومى بيلاطس فى حوالى عام 30 للميلاد أو بعده بقليل؛ ولم يتجاوز عمره آنذاك الخامسة والثلاثين.

يبدأ متى روايته بإيراد شجرة نسب يسوع، فيحصى أربعة عشر جيلا من إبراهيم إلى داود: « وداود الملك ولد سليمان من التي لأوريا. [7] وسليمان ولد رحبعام. ورحبعام ولد أبيا. وأبيا ولد آسا. [8] وآسا ولد يهوشافاط. ويهوشافاط ولد يورام. ويورام ولد عزيا. [9] وعزيا ولد يوثام. ويوثام ولد أحاز. وأحاز ولد حزقيا. [10] وحزقيا ولد منسى. ومنسى ولد آمون. وآمون ولد

يوشيا. [11] ويوشيا ولد يكنيا وإخوته عند سبي بابل. [12] وبعد سبي بابل يكنيا
ولد شألتئيل. وشألتئيل ولد زربابل. [13] وزربابل ولد أبيهود. وأبيهود ولد
أياقيم. وأياقيم ولد عازور. [14] وعازور ولد صادوق. وصادوق ولد أخيم.
وأخيم ولد أليود. [15] وأليود ولد أليعازر. وأليعازر ولد متان. ومتان ولد
يعقوب. [16] ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى
المسيح. [17] فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا. ومن داود
إلى سبي بابل أربعة عشر جيلا. ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر
جيلا."[1]

أما فيما يتصل بحمل مريم أم يسوع فيحكى متى باختصار أن مريم أمه كانت مخطوبة ليوسف "[18] أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا: لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف، قبل أن يجتمعا، وجدت حبلى من الروح القدس"[2] وعندما علم يوسف بالأمر أراد تركها سرا "[19] فيوسف رجلها إذ كان بارا، ولم يشأ أن يشهرها، أراد تخليتها سرا". لكن جاءه ملك في المنام فقال له: "[20] ولكن فيما هو مفكر في هذه الأمور، إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلا:« يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك. لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس. [21] فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع. لأنه يخلص شعبه من خطاياهم»"[3] فيدخل يوسف مريم إلى بيته "[25] ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر. ودعا اسمه يسوع."[4]

---

[1] متى 1: 6 - 17

[2] متى 1: 18

[3] متى 1: 19-21

[4] متى 1: 25

أما مرقص فلا يورد شيئا عن ذلك. ويقدم لوقا رواية مختلفة: "[26] وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة [27] إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف. واسم العذراء مريم"[1] ويبشر جبريل مريم "[30] فقال لها الملك:« لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله. [31] وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع."[2] وتقول مريم: « كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا»، " [35] فأجاب الملك وقال لها: « الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله. [36] وهوذا أليصابات نسيبتك هي أيضا حبلى بابن في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا"[3]. وهذا ما حدث فى رواية لوقا.

إن قصة ميلاد يسوع بها كثير من الاعجاز فى رواية متى: "[1] ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية، في أيام هيرودس الملك، إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم [2] قائلين:« أين هو المولود ملك اليهود؟ فإنا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له». [3] فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه. [4] فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب، وسألهم:« أين يولد المسيح؟» [5] فقالوا له:« في بيت لحم اليهودية. لأنه هكذا مكتوب بالنبي : [6] وأنت يا بيت لحم، أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل». [7] حينئذ دعا هيرودس المجوس سرا، وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر. [8] ثم أرسلهم إلى بيت لحم،

---

[1] لوقا 1: 26-27

[2] لوقا 1: 30-31

[3] لوقا 1: 35-36

وقال:« اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي . ومتى وجدتموه فأخبروني، لكي آتي أ ً نا أيضا وأسجد له». [9] فلما سمعوا من الملك ذهبوا. وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق، حيث كان الصبي. [10] فلما رأوا النجم فرحوا فرحا عظيما جدا. [11] وأتوا إلى البيت، ورأوا الصبي مع مريم أمه. فخروا وسجدوا له. ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا: ذهبا ولبانا ومرا. [12] ثم إذ أوحي إليهم في حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس، انصرفوا في طريق أخرى إلى كورتهم. [13] وبعدما انصرفوا، إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلا:« قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر، وكن هناك حتى أقول لك. لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه». [14] فقام وأخذ الصبي وأمه ليلا وانصرف إلى مصر. [15] وكان هناك إلى وفاة هيرودس. لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل:« من مصر دعوت ابني». [16] حينئذ لما رأى هيرودس أن المجوس سخروا به غضب جدا. فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها، من ابن سنتين فما دون، بحسب الزمان الذي تحققه من المجوس. [17] حينئذ تم ما قيل بإرميا النبي القائل: [18]« صوت سمع في الرامة، نوح وبكاء وعويل كثير. راحيل تبكي على أولادها ولا تريد أن تتعزى، لأنهم ليسوا بموجودين». [19] فلما مات هيرودس، إذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر [20] قائلا:« قم وخذ الصبي وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل، لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي ». [1]

أما لوقا فيعرض رواية أخرى عن مولده لكنها أيضا يكتنفها الاعجاز:

[1] متى 2: 1-20

[1]" وفي تلك الأيام صدر أمر من أغسطس قيصر بأن يكتب كل المسكونة. [2] وهذا الاكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والي سورية. [3] فذهب الجميع ليكتتبوا، كل واحد إلى مدينته. [4] فصعد يوسف أيضا من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية، إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم، لكونه من بيت داود وعشيرته، [5] ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى. [6] وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد. [7] فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في المذود، إذ لم يكن لهما موضع في المنزل.

[8] وكان في تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم. [9] وإذا ملاك الرب وقف بهم، ومجد الرب أضاء حولهم، فخافوا خوفا عظيما. [10] فقال لهم الملاك: «لا تخافوا! فها أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب: [11] أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب. [12] وهذه لكم العلامة: تجدون طفلا مقمطا مضجعا في مذود». [13] وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين: [14] «المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة».

[15] ولما مضت عنهم الملائكة إلى السماء، قال الرجال الرعاة بعضهم لبعض: «لنذهب الآن إلى بيت لحم ونتفرج على هذا الأمر الواقع الذي أعلمنا به الرب». [16] فجاءوا مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعا في المذود. [17] فلما رأوه أخبروا بالكلام الذي قيل لهم عن هذا الصبي. [18] وكل الذين سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة. [19] وأما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به في قلبها. [20] ثم رجع الرعاة وهم يمجدون الله ويسبحونه على كل ما سمعوه ورأوه كما قيل لهم. [21] ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به في

البطن.[22] ولما تمت أيام تطهيرها، حسب شريعة موسى، صعدوا به إلى أورشليم ليقدموه للرب[1]

عاش يسوع سنوات طفولته وشبابه فى مدينة الناصرة. وهى فترة لا يرد فى الأناجيل الكثير عنها. وكل ما ورد فيها أن أباه كان نجارا؛ وكان ليوسف أخوة وأخوات؛ وتوجز حياته فى تلك المرحلة بعبارات تتسم بالعمومية من قبيل: "[40] وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح، ممتلئا حكمة وكانت نعمة الله عليه.[2]

وهناك حدث واحد مهم فى حياته الأولى تورده الأناجيل؛ إذ حج يسوع إلى أورشليم مع «أبويه». فأدهش الحكماء فى أورشليم بأسئلته وإجاباته: "[41] وكان أبواه ينطلقان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح. [42] ولما كان له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد. [43] وبعدما أكملوا الأيام لما رجعا بقي الصبي يسوع في أورشليم، ويوسف وأمه لم يعلما. [44] وإذ ظناه بين الرفقة، ذهبا مسيرة يوم، وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف. [45] ولما لم يجداه رجعا إلى أورشليم يطلبانه. [46] وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل، جالسا في وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم. [47] وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته. [48] فلما أبصراه اندهشا. وقالت له أمه: «يا بني، لماذا فعلت بنا هكذا؟ هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين!» [49] فقال لهما: «لماذا كنتما تطلباني؟ ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي؟». [50] فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما. [51] ثم نزل معهما وجاء إلى

[1] لوقا 2: 1 -22

[2] لوقا 2: 40

الناصرة وكان خاضعا لهما. وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها.
52 وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة، عند الله والناس."[1]

أما الحدث التاريخى الذى يعد نقطة تحول فى تاريخ يسوع فهو لقاؤه يوحنا المعمدان الذى يوصف بأنه يرتدى ثوبا من وبر الجمال ويشد على خصره حزاما من الجلد. كان يوحنا فى ذلك الوقت فى صحراء يهوذا يطالع بشارته «**توبوا، فقد اقترب ملكوت السماوات**»وكان يعمد الناس للتطهر والعودة إلى طريق الرب. وكان تعميد يوحنا للمسيح علامة على بدأ رسالته: «**ثم جاء يسوع من منطقة الجليل ... هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت كل السرور.**»

طبقا لما جاء فى الأناجيل فإن المسيح تعرض لاختبار من قبل الشيطان الذى حمله إلى الصحراء ووعده بممالك الأرض إذا سجد يسوع للشيطان أو إذا وضع الله موضع اختبار. لكن يسوع لم يستجب لهذا الإغراءات وبرر موقفه بآيات من التوراة تقول "**لا تجرب الرب إلهك**" أو "**للرب إلهك تسجد فيتركه الشيطان** "**وإذا بعض الملائكة جاءوا إليه وأخذوا يخدمونه**". فى هذه المرحلة من حياته، كما تحكى الأناجيل، ترك يسوع بيت أبيه وبلدته وبدأ يعظ وينشر دعوته فى القرى المجاورة لبحيرة طبرية. وعبر نهر الأردن والجليل وأصبح له فى تلك الفترة أتباع كثيرون لا سيما من البسطاء. ويحكى عن أوائل من اتبعوه فيقول: "[18] وإذ كان يسوع ماشيا عند بحر الجليل أبصر
أخوين: سمعان الذي يقال له بطرس، وأندراوس أخاه يلقيان شبكة في
البحر، فإنهما كانا صيادين. [19] فقال لهما:« هلم ورائي فأجعلكما صيادي

[1] لوقا 2: 41-52

الناس». [20] فلوقت تركا الشبك وتبعاه. [21] ثم اجتاز من هناك فرأى أخوين آخرين: يعقوب بن زبدي ويوحنا أخاه في السفينة مع زبدي أبيهما يصلحان شباكهما، فدعاهما. [22] فلوقت تركا السفينة وأباهما وتبعاه".

وشيئا فشيئا التف حوله آخرون حتى أصبح عدد تلاميذه المخلصين اثنى عشر رجلا. فبالإضافة إلى شمعون وبطرس وأندراوس ويعقوب ويوحنا وأبناء زبدى تحصى المصادر بعضا آخر منهم متى الجابى ويهوذا الإسخريوطى.

كانت معظم الشخصيات التى عملت مع يسوع فى أوائل أيامه من المنبوذين فى المجتمع اليهودى آنذاك، من مجرمين وبغايا وجباة وخاطئين. ورافق هؤلاء يسوع فى كل طريقه وكانوا شهودا على معجزاته الكثيرة إلى جانب عظاته التى كان يعظ بها والشريعة الدينية والأخلاقية التى كان يبشر بها فى كلمات بسيطة فى خطبه وأمثاله التشبيهية. وتحتل قصص تلك الفترة من حياة يسوع جزءا رئيسا فى الأناجيل. وفيما يلى بعض منها:

شفاء المرضى

[1]" ولما نزل من الجبل تبعته جموع كثيرة. [2] وإذا أبرص قد جاء وسجد له
قائلا:« يا سيد، إن أردت تقدر أن تطهرني». [3] فمد يسوع يده ولمسه
قائلا:« أريد، فاطهر!». وللوقت طهر برصه."[1]

" جاء يسوع إلى بيت بطرس، ورأى حماته مطروحة ومحمومة [15] فلمس
يدها فتركتها الحمى، فقامت وخدمتهم."[2]

رد بصر الأعمى

[27] وفيما يسوع مجتاز من هناك تبعه أعميان يصرخان ويقولان:« ارحمنا
يا ابن داود!». [28] ولما جاء إلى البيت تقدم إليه الأعميان، فقال لهما
يسوع:« أتؤمنان أني أقدر أن أفعل هذا؟» قالا له:« نعم، يا سيد!».
[29] حينئذ لمس أعينهما قائلا:« بحسب إيمانكما ليكن لكما». [30] فانفتحت
أعينهما. فانتهرهما يسوع قائلا: « انظرا، لا يعلم أحد"[3]

---

[1] متى 8: 1-3

[2] متى 8: 14-15

[3] متى 9: 27-30

شفاء الأبكم والأصم

31" ثم خرج أيضا من تخوم صور وصيداء وجاء إلى بحر الجليل في وسط
حدود المدن العشر. 32 وجاءوا إليه بأصم أعقد وطلبوا إليه أن يضع يده
عليه. 33 فأخذه من بين الجمع على ناحية، ووضع أصابعه في أذنيه وتفل
ولمس لسانه 34 ورفع نظره نحو السماء، وأن وقال له:« إفثا». أي انفتح.
35 وللوقت انفتحت أذناه وانحل رباط لسانه، وتكلم مستقيما"[1]

إحياء الموتى

21" ولما اجتاز يسوع في السفينة أيضا إلى العبر، اجتمع إليه جمع كثير،
وكان عند البحر. 22 وإذا واحد من رؤساء المجمع اسمه يايرس جاء. ولما رآه
خر عند قدميه، 23 وطلب إليه كثيرا قائلا:« ابنتي الصغيرة على آخر نسمة.
ليتك تأتي وتضع يديك عليها لتشفى فتحيا!». 24 فمضى معه وتبعه جمع
كثير وكانوا يزحمونه.

25 وامرأة بها نزف دم منذ اثنتي عشرة سنة 26 وقد تألمت كثيرا من أطباء
كثيرين، وأنفقت كل ما عندها ولم تنتفع شيئا، بل صارت إلى حال أردأ.
27 لما سمعت يسوع جاءت في المجمع من وراء، ومست ثوبه 28 لأنها
قالت:« إن مسست ولو ثيابه شفيت». 29 فللوقت جف ينبوع دمها، وعلمت
في جسمها أنها قد برئت من الداء. 30 فللوقت التفت يسوع في الجمع
شاعرا في نفسه بالقوة التي خرجت منه وقال:« من لمس ثيابي؟» 31 فقال

[1] مرقس 7: 31-35

لاميذه:« أت تقول الجمع يزحمك وتقول: من لمسني؟» [32] وكان ينظر
حوله ليرى التي فعلت هذا. [33] وأما المرأة فجاءت وهي خائفة ومرتعدة
عالمة بما حصل لها، فخرت وقالت له الحق كله. [34] فقال لها: « يا ابنة
إيمانك قد شفاك، اذهبي بسلام وكوني صحيحة من دائك».

[35] وبين ما هو يتكلم جاءوا من دار رئيس المجمع قائلين:« ابنك مات.
لم تذاذ تتعب المعلم؟» [36] فسمع يسوع لوقته الكلمة التي قيلت فقال
لرئيس المجمع:« لا تخف! آمن فقط». [37] ولم يدع أحدا يتبعه إلا يعقوب
ويوحنا أخا يعقوب. [38] فجاء إلى بيت رئيس المجمع ورأى
ضجيجا. يبكون ويولولون كثيرا. [39] فدخل وقال لهم:« لماذا تضجون
وتبكون؟ لم تمت الصبية لكنها نائمة». [40] فضحكوا عليه. أما هو فأخرج
الجميع، وأخذ أبا الصبية وأمها والذين معه ودخل حيث كانت الصبية
مضطجعة [41] وأمسك بيد الصبية وقال لها:« طليثا، قومي!». الذي
تفسيره: يا صبية لك أقول: قومي! [42] وللوقت قامت الصبية ومشت لأنها
كانت ابنة اثنتي عشرة سنة. فبهتوا بهتا عظيما. [43] فأوصاهم كثيرا أن لا
يعلم أحد بذلك، وقال أن تعطى لتأكل."[1]

تحويل الماء إلى خمر

[2] ودعي أيضا يسوع وتلاميذه إلى العرس. [3] ولما فرغت الخمر، قالت أم
يسوع له:« ليس لهم خمر». [4] قال لها يسوع:« ما لي ولك يا امرأة؟ لم تأت
ساعتي بعد». [5] قالت أمه للخدام:« مهما قال لكم فافعلوه». [6] وكانت ستة

[1] مرقس 5: 21-43

ـ أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود، يسع كل واحد
منهما مطرين أو ثلاثة. 7 ـ قال لهم يسوع:« املأوا الأجران ماء». ـ فملأوها إلى فوق.
8 ـ ثم قال لهم:« استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكإ». ـ فقدموا. 9 ـ فلما ذاق
رئيس المتكإ الماء المتحول خمرا، ولم يكن يعلم من أين هي، لكن الخدام
الذين كانوا قد استقوا الماء علموا، دعا رئيس المتكإ العريس"[1]

إسكات العاصفة

" 24 ـ ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه. ـ وإذا اضطراب عظيم قد حدث في
البحر حتى غطت الأمواج السفينة وكان هو نائما. 25 ـ فتقدم تلاميذه
وأيقظوه قائلين:« يا سيد، نجنا فإننا نهلك!» 26 ـ فقال لهم:« ما بالكم
خائفين يا قليلي الإيمان؟» ثم قام وانتهر الرياح والبحر، فصار هدوء
عظيم. 27 ـ فتعجب الناس قائلين:« أي إنسان هذا؟ فإن الرياح والبحر
جميعا تطيعه!"[2]

طرد الأرواح

"28 ـ ولما جاء إلى العبر إلى كورة الجرجسيين، استقبله مجنونان خارجان
من القبور هائجان جدا، حتى لم يكن أحد يقدر أن يجتاز من تلك
الطريق. 29 ـ وإذا هما قد صرخا قائلين:« ما لنا ولك يا يسوع ابن الله؟ أجئت
إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا؟» 30 ـ وكان بعيدا منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى.

---

[1] يوحنا 2: 2-9

[2] متى 8: 23-27

[31] فالشياطين طلبوا إليه قائلين:« إن كنت تخرجنا، فأْذن لنا أن نذهب إلى
قطيع الخنازير». [32] فقال لهم:« اذهبوا». فخرجوا وذهبوا إلى قطيع
الخنازير، وإذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف إلى البحر،
ومات في المياه."[1]

معجزة إكثار الطعام

" [16] فقال لهم يسوع:« لا حاجة لهم أن يذهبوا. أعطوهم أنتم ليأكلوا».
[17] فقالوا له:« ليس عندنا ههنا إلا خمسة أرغفة وسمكتان».
[18] فقال:« ائتوني بها إلى ههنا». [19] فأمر الجموع أن يتكئوا على العشب. ثم
أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين، ورفع نظره نحو السماء وبارك وكسر
وأعطى الأرغفة للتلاميذ، والتلاميذ للجموع. [20] فأكل الجميع وشبعوا. ثم
رفعوا ما فضل من الكسر اثنتي عشرة قفة مملوءة. [21] والآكلون كانوا نحو
خمسة آلاف رجل، ما عدا النساء والأولاد."[2]

تجفيف الشجرة

"[11] فدخل يسوع أورشليم والهيكل، ولما نظر حوله إلى كل شيء، إذ كان
الوقت قد أمسى، خرج إلى بيت عنيا مع الاثني عشر. [12] وفي الغد لما
خرجوا من بيت عنيا جاع [13] فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق، وجاء
لعله يجد فيها شيئا. فلما جاء إليها لم يجد شيئا إلا ورقا، لأنه لم يكن

[1] متى 8: 28-32

[2] متى 14: 16-21

وقت التين. [14] فأجاب يسوع وقال لها:« لا يأكل أحد منك ثمرا بعد إلى
الأبد!». وكان تلاميذه يسمعون.

[15] وجاءوا إلى أورشليم. ولما دخل يسوع الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا
يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام.
[16] ولم يدع أحدا يجتاز الهيكل بمتاع. [17] وكان يعلّم قائلا لهم:« أليس مكتوبا:
بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الأمم؟ وأنتم جعلتموه مغارة لصوص».
[18] وسمع الكتبة ورؤساء الكهنة فطلبوا كيف يهلكونه، لأنهم خافوه إذ
بهت الجمع كلهم من تعليمه. [19] ولما صار المساء خرج إلى خارج المدينة.
[20] وفي الصباح إذ كانوا مجتازين رأوا التينة قد يبست من الأصول"[1]

المشى على الماء

[47] " ولما صار المساء كانت السفينة في وسط البحر، وهو على البر وحده.
[48] ورآهم معذبين في التجديف، لأن الريح كانت ضدهم. ونحو الهزيع الرابع
من الليل أتاهم ماشيا على البحر، وأراد أن يجاوزهم. [49] فلما رأوه ماشيا
على البحر ظنوه خيالا، فصرخوا"[2]

---

[1] مرقس 11:11-20

[2] مرقس 6: 47-49

إكثار الصيد

"[4] ولما فرغ من الكلام قال لسمعان: «ابعد إلى العمق وألقوا شباككم للصيد». [5] فأجاب سمعان وقال له: «يا معلم تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئا. ولكن على كلمتك ألقي الشبكة». [6] ولما فعلوا ذلك أمسكوا سمكا كثيرا جدا، فصارت شبكتهم تتخرق"[1]

"[1] وعلى أثر ذلك كان يسير في مدينة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله، ومعه الاثنا عشر. [2] وبعض النساء كن قد شفين من أرواح شريرة وأمراض: مريم التي تدعى المجدلية التي خرج منها سبعة شياطين، [3] وحونا امرأة خوزي وكيل هيرودس، وسوسنة، وأخر كثيرات كن يخدمنه من أموالهن."

وفى هذه التنقلات كان يسوع يعظ ويبشر ويردد مبادئ شريعته مستعينا بالأمثال التشبيهية والمقولات المنثورة أو المقطعة التى تدعو إلى التوبة والعودة إلى الرب والإشارة إلى أهمية اتباع الوصايا بين الإنسان وأخيه الإنسان. وكان يسوع يدعو إلى محبة الإنسان لأخيه الإنسان وإلى الإيمان والثقة فى الرب، وإلى حياة الزهد والتقشف؛ لكنه كان فى الوقت نفسه يدعو إلى اتباع أحكام التوراة وشرائعها.

تتضح لنا من الأناجيل صورة مركبة مليئة بالتناقضات فيما يخص شريعته ووصفه نفسه؛ فهل كان يعتبر نفسه ابن الرب أو المسيح المخلص أم أنه كان يتحفظ عل هذه الألقاب كلها؟ هل كشف لأتباعه حقيقة رسالته

[1] لوقا 5: 4-6

أم أخفاها عنهم؟ هل جاء ليسخر من الوصايا العملية مؤثرا عليها المشاعر الدينية الصادقة، أم كان يريد الجمع بينهما؟ من الواضح أن يسوع كان يريد العمل فى إطار اليهودية ولا يسعى لإيجاد بديل لها.

لم تحظ دعوة يسوع برضا زعماء الشعب والذين يسميهم العهد الجديد «الكتبة» و «الكهنة» و «الشيوخ» أو «الفريسيين». بل ازدادوا غضبا عليه وتحول غضبهم إلى عداء حقيقى. إذ كانوا يرونه رجلا يسعى لتجاوز شرائع التوراة ويسخر منها، وينضم إلى رعاع المجتمع اليهودى ويحرضهم ضد زعمائهم. وكذلك كانت نظرة حكام يهوذا إليه، إذ كان من شأنه أن يثير اضطرابات يقمعها الرومان بيد من حديد. وكان كل ذلك فى النهاية سببا فى القضاء على يسوع.

قرر يسوع فى وقت ما الرحيل عن منطقة الجليل والذهاب إلى أورشليم للاحتفال فيها بعيد الفصح معلنا لتلاميذه أن أعداءه سيطاردونه وأنه سيعانى على أيديهم حتى الموت. ووصل يسوع إلى أورشليم قبل عيد الفصح ببضع أيام. وكانت أحداث أيامه الأخيرة – من اعتقال ومحاكمة وصلب – هى قمة قصص الأناجيل وإن اتسم وصفها فى الأناجيل المختلفة بقدر من الغموض والتضارب.

دخل يسوع أورشليم من ناحية جبل الزيتون على ظهر حماره. وواكب هذا الدخول احتفال كبير أعده له جماهير الشعب: " [8] وكثيرون فرشوا ثيابهم في الطريق. وآخرون قطعوا أغصانا من الشجر وفرشوها في الطريق. [9] والذين تقدموا، والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين:« أوصنا! مبارك الآتي باسم الرب [10] مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب

وأصنا في الأعالي!».[11] فدخل يسوع أورشليم والهيكل، ولما خرجوا إلى كل شيء إذ كان الوقت قد أمسى، خرج إلى بيت عنيا مع الاثني عشر."[1]

كان أول ما قام به يسوع في أورشليم هو الدخول إلى أورشليم وطرد كل باعة الحمام والبهائم التي تقدم كقرابين: "[15] وجاءوا إلى أورشليم. ولما دخل يسوع الـ هيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام. [16] ولم يدع أحدا يجتاز الهيكل بمتاع. [17] وكان يقول لهم: «أليس مكتوبا: بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الأمم؟ وأنتم جعلتموه مغارة لصوص"[2].

كان هذا الظهور المؤثر ليسوع في أورشليم وأعماله في أورشليم سببا في خوف زعماء الشعب وحكمائه من أن يؤثر ذلك على مكانتهم ويهدم النظام القائم. فاجتمعوا في بيت الكاهن الأكبر للتخطيط لخطواتهم التالية. وتزامنت تلك الأحداث مع عيد الفصح؛ وهو عيد تنتعش فيه آمال المسيحانية منذ الخلاص الأول لبني إسرائيل من مصر، ويزيد فيه إحساس زعماء الشعب بالخوف من اضطرابات قد يثيرها يسوع وأتباعه.

هنا تصبح الصورة غامضة؛ فالأناجيل تعرض صورا مختلفة لتوقيت اعتقاله ومحاكمته وصلبه. وتتفق الأناجيل كافة في رواية أن يهوذا الأسخريوطي، أحد تلاميذ يسوع، خانه مقابل ثلاثين قطعة من الفضة وسلمه للكهنة. حدث ذلك بعد مائدة الفصح وهو "**العشاء الأخير**" الذي أشار فيه يسوع لتلاميذه إلى قرب موته بعد خيانة أحدهم: "[17] ولما كان المساء

[1] مرقس 11: 8-11

[2] مرقس 11: 15-17

جاء مع الاثني عشر. [18] وفيما هم متكئون يأكلون، قال يسوع: « الحق أقول لكم: إن واحدا منكم سيسلمني، الآكل معي!» [19] فابتدأوا يحزنون، ويقولون له واحدا فواحدا: « هل أنا؟» وآخر: « هل أنا؟» [20] فأجاب وقال لهم: « هو واحد من الاثني عشر، الذي يغمس معي في الصحفة. [21] إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه، ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان. كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد!». [22] وفيما هم يأكلون، أخذ يسوع خبزا وبارك وكسر، وأعطاهم وقال: « خذوا، كلوا، هذا هو جسدي». [23] ثم أخذ الكأس وشكر، وأعطاهم، فشربوا منها كلهم. [24] وقال لهم: « هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يسفك من أجل كثيرين."[1]

وتم القبض على يسوع وجيء به إلى بيت الكاهن الأكبر حيث اجتمع الكهنة والكتبة والشيوخ. وليس من الواضح ما إذا كان اجتماعهم هذا لمحاكمته أم لمجرد التحقيق معه. ومن بين الأسئلة التى وجهوا إليه ما إذا كان هو المسيح حقا. وكان رده: "« أنت قلت»[2] أو " إن قلت لكم لا تصدقون"[3] فى حين أنه فى إنجيل مرقس قال يسوع صراحة إنه المسيح: "[62] فقال يسوع: « أنا هو. وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة، وآتيا في سحاب السماء».[4] بعدها صدر الحكم عليه بالموت بتهمة الكفر والتمرد فى مملكة من ممالك الروم. وتشير بعض الأناجيل إلى أنه صدر الحكم عليه بالموت ولكن تشير كل المصادر إلى أنه تم الاتفاق على تسليمه للحاكم الرومى **بيلاطس**

[1] مرقس 14:17-24

[2] متى 26: 64

[3] لوقا 22: 67

[4] مرقس 14:62

البطلي الوالي حتى يحاكمه بتهمة التحريض على التمرد على الحاكم الرومى.
وفى صباح اليوم التالى جيء بيسوع أمام بيلاطس البطلي وتم توجيه الاتهام التالى إليه: " إذ وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر، قائلا: إنه هو مسيح ملك"[1]. لم يطمئن بيلاطس إلى حقيقة هذه الاتهامات وأراد أن يحيل أمره إلى سلطة هيرودس غير أنه أعاده إلى بيلاطس الذى أمر بسجنه. وكان الحاكم الرومى يميل إلى إطلاق سراحه وفقا للعادة المتبعة فى ذلك العصر بمناسبة عيد الفصح؛ بل إنه عرض ذلك على اليهود: "[6] وكان يطلق لهم في كل عيد أسيرا واحدا، من طلبوه. [7] وكان المسمى باراباس موثقا مع رفقائه في الفتنة، الذين في الفتنة فعلوا قتلا. [8] فصرخ الجمع وابتدأوا يطلبون أن يفعل كما كان دائما يفعل لهم. [9] فأجابهم بيلاطس:« أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود؟». [10] لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسدا. [11] فهيج رؤساء الكهنة الجمع لكي يطلق لهم باراباس. [12] فأجاب بيلاطس أيضا وقال لهم:« فماذا تريدون أن أفعل بالذي تدعونه ملك اليهود؟» [13] فصرخوا أيضا:« اصلبه!"[2]

حكم على يسوع بالصلب، وهى الطريقة المتبعة فى القتل فى ذلك العصر. واستهزأ جنود الروم بيسوع وجلدوه ووضعوا على رأسه إكليلا من الشوك وأجبروه على حمل الصليب على ظهره والسير به إلى مكان الصلب فى جلجثة الذي تفسيره موضع « جمجمة»، عند مدخل أورشليم؛ ووضعوا على الصليب لوحة كتب عليها «ملك اليهود»: " وصلبوا معه لصين، واحدا عن يمينه وآخر عن يساره. [28] فتم الكتاب القائل:« وأحصي مع أثمة». [29] وكان

[1] لوقا 23: 2

[2] مرقس 15: 6 -13

المجتازون يجدفون عليه، وهم يهزون رؤوسهم قائلين:« آهِ يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام! [30] خلص نفسك وانزل عن الصليب!» [31] وكذلك رؤساء الكهنة وهم مستهزئون فيما بينهم مع الكتبة، قالوا: « خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلص! [32] ليترل الآن المسيح ملك إسرائيل عن الصليب، لنرى ونؤمن!». والذان صلبا معه كانا يعيرانه."[1]

ظل يسوع يحتضر على الصليب حوالى ست ساعات وسط سخرية المارة. وبقى معه فى لحظاته الأخيرة بعض تلاميذه وبعض النساء الذين رافقوه فى مسيرة حياته. وتشير الأناجيل الأربعة إلى أن المسيح كان يصلى من أجل معذبيه: "[34] فقال يسوع: « يا أبتاه اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون». وإذ اقتسموا ثيابه اقترعوا عليها."[2] وعند صعود روحه صاح قائلا: "[34] وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوتٍ عظيمٍ قائلا:« إيلي، إيلي، لما شبقتني؟» الذي تفسيره: إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟"[3]

وتم إنزال جثمان يسوع من فوق الصليب ووورى فى قبر نحت فى صخرة بناء على طلب أحد وجهاء الشعب: "[46] فاشترى كتانا، وأنزله ولفه بالكتان ، ووضعه في قبر كان منحوتا في صخرة، ودحرج حجرا على باب القبر. [47] وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسي تنظران أين وضع."[4]

---

[1] مرقس 15:27-32

[2] لوقا 23: 34

[3] مرقس 15:34

[4] مرقس 15:46-47

وفقا لرواية الأناجيل فإن المسيح عاد إلى الحياة فى اليوم الثالث بعد موته، حيث وجدت النسوة اللائى جئن لزيارته القبر مفتوحا وفارغا: " وبعد السبت، عند فجر أول الأسبوع، جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر. [2] وإذا زلزلة عظيمة حدثت، لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب، وجلس عليه. [3] وكان منظره كالبرق، ولباسه أبيض كالثلج. [4] فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات. [5] فأجاب الملاك وقال للمرأتين :« لا تخافا أنتما، فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب. [6] ليس هو ههنا، لأنه قام كما قال! هلما انظرا الموضع الذي كان الرب مضطجعا فيه. [7] واذهبا سريعا قولا لتلاميذه: إنه قد قام من الأموات. ها هو يسبقكم إلى الجليل. هناك تروه. ها أنا قد قلت لكما». [8] فخرجتا سريعا من القبر بخوف وفرح عظيم، راكضتين لتخبرا تلاميذه. [9] وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه إذا يسوع لاقاهما وقال:« سلام لكما». فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له. [10] فقال لهما يسوع:« لا تخافا. اذهبا قولا لإخوتي أن ينطلقوا إلى الجليل، وهناك يرونني».[1]

وفى روايات أخرى يلتقى المسيح بعض الرسل ممن رأوه وكلموه أو أكلوا معه وتحسسوا جسده وسمعوا منه قصة موته وقيامته. وفى النهاية يأمر المسيح تلاميذه بنقل بشارته للعالم كله وودعهم على وعد منه بالعودة: [19]" فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. [20] وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر».[2]"

---

[1] متى 28: 1-10

[2] متى 28: 19-20

هذه بإيجاز قصة حياة يسوع، مولده وشبابه ومعجزاته ومحاكمته وموته وآلامه على الصليب وقيامته كما وردت فى الأناجيل الثلاثة. واختلف الباحثون والمفكرون من الديانات كافة على مر التاريخ حول صدقية هذه القصة. وذهب البعض إلى أن شخصية يسوع ليس لوجودها أى أساس من الواقع. وذهب بعض آخر إلى أن القصة حقيقية أو – وهو رأى معظم الباحثين- هى مزيج من الروايات التاريخية عن يسوع وشريعته والعقائد والآراء الدينية والروحانية التى ظهرت آنذاك. ولكل مفكر وباحث رأى خاص عن يسوع.

العصر القديم

يوسف بن متتياهو (يوسفوس فلابيوس)[1]

مؤرخ وقائد حربى

أورشليم فى عام 37م – روما فى حوالى عام 100م

من أهم مبدعى الأدب اليهودى الإغريقى الذى ازدهر فى القرنين الأخيرين قبل الميلاد والقرن الأول الميلادى. وتعد مؤلفاته المتعددة مصدرا أساسيا بل المصدر الوحيد فى التعرف على تاريخ بنى إسرائيل فى فترة الهيكل الثانى وحتى خرابه. ومعلوماتنا عن يوسفوس نفسه مستقاة من مؤلفاته. لذا فإن فهم شخصيته وإمكانية الحكم على صحة المعلومات الموجودة فى كتبه ومسيرة حياته أمر مرهون بمدى الثقة فى شهادته نفسه.

كان يوسفوس كما ورد من أسرة كهنوتية، سواء من ناحية الأب أو من ناحية الأم؛ بل يرجع نسبه إلى الحشمونيين[2]. ويروى أنه بلغ فى طفولته مرحلة متقدمة فى معرفة التوراة، حتى أن الكهنة عندما كان يأتى إلى أورشليم كانوا يأتونه لسؤاله فى أمور الشريعة. وعندما بلغ السادسة عشرة كان يدرس الطوائف المختلفة فى يهوذا فى عصره. وتوجه فى عام 64 ميلادية إلى روما فى مهمة لافتداء الأسرى. وكان لهذه المرحلة عميق الأثر فى حياة يوسفوس حيث أن لقاءه بروما ترك عليه أثرا لا يمحى.

---

[1] هو يوسف بن ماتيتياهو هاكوهين، سياسي وقائد عسكري ومؤرخ يهودي من مقاطعة يهودا الرومية في العصر الهيليني.

[2] يسمون أيضا بـ «المكابيين».

، كلف يوسفوس مع اندلاع التمرد الكبير فى عام 66 بمهمة أكبر بكثير، هى الدفاع عن الجليل من جيوش الروم. وكانت المعركة الفاصلة فى المنطقة نفسها التى تحصن فيها يوسفوس والتى احتمى فيها المسيحيون لمدة سبعة أسابيع. وبعدما سقطت المدينة أوى يوسفوس وأربعون من رجاله إلى أحد الكهوف. وقرر الفارون الانتحار إلا أن يوسفوس ومعه آخر قررا الاستسلام للروم. وهكذا أصبح يوسفوس شاهدا على احتلال أورشليم وخراب الهيكل الثانى على يد جنود تيتوس[1] فى عام 70م. هاجر يوسفوس فى نهاية الأمر إلى روما ولم يعد منها إلى وطنه. واستقر فى عاصمة إمبراطورية الروم تحت رعاية القيصرين أصفصيانوس وتيتوس، وتفرغ لعمله الأدبى الكبير. أما تاريخ وفاته فغير معروف لنا. يشمل إنتاج يوسفوس الأدبى التاريخى أربعة مؤلفات:

1. "**محاربة اليهود للرومان**". هو عبارة عن قصة أحداث التمرد الكبير فى يهوذا وخراب أورشليم.
2. "**تاريخ اليهود**" . يتناول تاريخ بنى إسرائيل منذ خلق العالم وحتى جيل ما قبل خراب أورشليم.
3. "**حياة يوسف**". سيرة ذاتية (استقينا منها المعلومات السابقة عن حياته).
4. "**ضد إفيون**". كتابات جدلية ضد كراهية بنى إسرائيل كما وردت فى أعمال كاتب يونانى يدعى غفيون.

لولا يوسفوس لما أمكن لنا معرفة شىء عن قرون كاملة من تاريخ بنى إسرائيل أو من تاريخ الهيكل الثانى. وهنا نتساءل: هل ليسوع أى ذكر فى كتابات يوسفوس؟ حيث أن يوسفوس ،ولد بعد بضع سنوات من التاريخ

[1] أحد أباطرة الرومان، وهو ابن فسبسيان. قاد قوات الروم فى مقاطعة يهودا الرومية في عام 70م. واستولى على أورشليم بعد حصار دام خمسة أشهر.

المحتمل للصلب (حوالى سنة 30م)؛ وكان من جيل بولس وشاهدا على وضع الروايات عن يسوع والخطوات الأولى للكنيسة المسيحية. وهناك فى هذا الصدد فقرة مهمة فى كتاب «تاريخ اليهود» (المجلد 18، 3، 3) يصف فيها يوسفوس يسوع بأنه مخلوق فوق البشر؛ وتعرف هذه الفقرة فى الدراسات بالمسمى اللاتينى Testimonium Flavianum أى «شهادة فلافيوس» ويعتبرها كثير من المسيحيين شهادة تاريخية لرجل عاش فى القرن الأول حيث عاش يسوع ومات. بيد أن هذه الفقرة تحتوى على أقوال يصعب التصديق بأن يهوديا مثل يوسفوس يمكن أن يقولها؛ ومنها أن يسوع كان هو المسيح

لطخا وذهب عدد من الباحثين إلى أن هذه «الشهادة» إضافة ثانوية م سيحية الأصل تم ضمها إلى مؤلف يوسفوس فى القرن الثالث تقريبا كدليل على وجود المسيح وما ترك من تأثير على أبناء جيله. ووفقا لهذا الحدس الذى يجرد «شهادة فلافيوس» من أصالتها، فإن تجاهل يوسفوس حياة وأعمال يسوع يقوم دليلا على ما تركه يسوع من أثر وإن كان ضئيلا على بعض اليهود من أبناء جيله.

مع ذلك فهناك رأى يلقى قبولا مفاده أن الاضافة لم تكن لفقرة كاملة مما ورد لدى يوسفوس؛ بل صياغة مسيحية لنص يوسفوس الأصلى الذى أشار فيه إلى يسوع دون أن يرفع من مكانته أو يحدد أنه المسيح. ترتكز هذه الفرضية على وجود «الشهادة» كما هى بدون أى تاثير مسيحى فى رسائل إجبيوس الكاتب المسيحى العربى الذى عاش فى القرن العاشر والذى قال إن يوسفوس أراد أن يوضح لقرائه ماهية الحركة الدينية الجديدة بإيجاز. ولم يرد فى هذا النص من «الشهادة» أن يسوع هو المسيح ولم يرد أنه تم تسليمه

إلى بيلاطس بأيدى أبناء شعبه. أما قيامته بعد موته فإن من يقول به هم من المؤمنين بيسوع ولم يحدث فعلا.

بين هذا وذاك سنعرض لصيغتى "شهادة يوسفوس". الصيغة الأولى كما وردت فى كتاب "**تاريخ اليهود**" ترجمة شاليط، والأخرى كما وردت فى رسائل إجبيوس ترجمة بلوسر.

تاريخ اليهود

«كان يسوع فى الوقت نفسه رجلا حكيما لو جاز وصفه بالرجل. إذ كان يأتى بمعجزات وكان سيد المخلوقات، وهى حقيقة تقبلها كثير من اليهود ومن الإغريق واتبعوه عن رضا. كان هو المسيح. وعندما أصدر بيلاطس حكمه بقتله بعد اعتناق زعماء الشعب رسالته، لم يتوقف من أحبوه منذ البداية عن حبه حيث ظهر لهم فى اليوم الثالث حيا مرة أخرى بعد أن تنبأ بذلك أنبياء الله، وبعد آلاف من المعجزات الأخرى. ولم يقض على المسيحيين الذى تسموا باسمه حتى اليوم».

إجبيوس

«كان هناك فى ذلك الوقت رجل حكيم يدعى يسوع، وكان نهج حياته طيبا وعرف برجل الأخلاق الحميدة. فاتبعه كثير من اليهود ومن الشعوب الأخرى وأصبحوا من تلاميذه. وحكم عليه بيلاطس بالموت. أما تلاميذه فلم يتركوا شريعته وقالوا إنه ظهر لهم بعد ثلاثة أيام من صلبه وإنه كان حيا. فاعتبروه

المسيح الذى أورد عنه الأنبياء كثيرا من المعجزات. ومازالت الطائفة المسيحية التى سميت باسمه موجودة حتى اليوم.

أدب الأحبار[1]

المشناه[2] والتوسفتا[3] والتلمودان[4] والمدراشيم[5]

فلسطين وبابل فى القرون الخمسة الأولى للميلاد

التنائيم[6] والأمورائيم[7]

تزعم بنو إسرائيل فى القرن الأخير من عصر الهيكل الثانى تقريبا وحتى عام 500م حكماء التوراة ومعلموها وعرفوا باسم "الأحبار يرحمهم الله أو إختصارا "حازل"". وهم من قاموا بوضع الشريعة التى سارت حياة الشعب

---

[1] حاخام» كلمة عبرية معناها «الرجل الحكيم أو العاقل

[2] دراسة الشريعة الشفوية والمشناه مجموعة موسوعية من الشروح والتفاسير تتناول أسفار العهد القديم.

[3] أو «التذييل» هي المقابل العربي لكلمة «توسفتا» الآرامية وتعني «التذييل» أو «الزيادة» أو «الإضافة». والتوسفتا عمل تشريعي ملحق بالمشناه مكمل لها.

[4] من أهم الكتب الدينية عند اليهود، وهو الثمرة الأساسية للشريعة الشفوية ويخلع التلمود القداسة على نفسه باعتبار أن كلمات علماء التلمود كانت وحيا من الروح القدس. وهناك تلمودان أولهما التلمود الفلسطيني والتلمود البابلي.

[5] «مدراش» ، تستخدم للإشارة إلى ما يلي: 1. منهج في تفسير العهد القديم يحاول التعمق في بعض فقراته وكلماته. 2. ثمرة هذا المنهج من الدراسات والشروح.

[6] «معلمو المشناه».

[7] « الشراح» هي المقابل العربي لكلمة «أمورائيم».

آنذاك وفقا لها وحددوا حياة الشعب ورسموا إطارها الروحانى والثقافى. وفى مؤلفاتهم العديدة – المشنا والتوسفتا والتلمودين (البابلى والأورشليمى) وعشرات المدراشيم – وضعوا أسس الديانة اليهودية كما نعرفها إلى يومنا هذا.

يجب أن نشير إلى العالم الفكرى المتنوع وبعض المعتقدات والآراء التى طورها الأحبار أثناء تعاملهم المستمر مع العالم الخارجى المحيط بهم (الوثنيون والسامريون ومؤخرا المسيحيون) وكذلك تعاطيهم مع مشكلات الحياة اليومية التى ظهرت فى المجتمع اليهودى. إن آراء الأحبار حول كينونة الإله وماهيته وطريقة تسييره الكون وفكرة الثواب والعقاب والغرض من الوصايا الدينية والعالم العلوى أو أيام المسيح؛ كلها تشكل ركنا أساسيا فى رؤية اليهودية وتياراتها ومراحلها.

يتكون عالم الأحبار من الآلاف وينقسمون إلى قسمين:

1- أجيال الأحبار حتى نهاية القرن الثانى، حتى الانتهاء من وضع المشناه، وهم «التنائيم» الذين عملوا فى أرض فلسطين ومن بينهم على سبيل المثال: هليل الأول[1] ويوحنان بن زكاى[2] ورابى عقيبا[3] ورابى يهوذا الناسى[1].

[1] من أشهر الأحبار اليهود في فترة معلمي المشناه (تنائيم) في بابل تعلم فيها ودرس على أيدى معلمين فريسيين. وهو من أهم من علق من اليهود على العهد القديم ومن أهم مفسري التراث الديني اليهودي.

[2] حاخام فريسي من معلمي المشناه (تنائيم) وهو من أتباع مدرسة هليل. عارض يوحنان بن زكاي التمرد اليهودي ضد روما (60 70م)، فقام تلاميذه بتهريبه من القدس فى نعش فى أثناء حصار الرومان لها.

[3] عالم ديني يهودي من معلمي المشناه (تنائيم). حقق شهرة كبيرة ومكانة عالية بين اليهود، لأنه جمع كافة أحكام الشريعة الشفوية وصنفها بحسب الموضوع. وقام يهودا الناسي وزملاؤه بتسجيل المشناه على الأسس التي وضعها عقيبا. لذا فهو يعرف بـ «أبى المشناه».

2- أجيال ما بعد المشناه وحتى عام 500 تقريبا. وهم الأمورائيون واضعو التلمودين الذين عاشوا فى فلسطين وبابل فى العراق. ومن أشهرهم رابى يوحنان وريش لاكيش (فى فلسطين) وأباى ورابا (فى بابل) وآخرين.

كانت آراء التنائيم والأمورائيين فى الشريعة اليهودية (أى الأحكام والوصايا والفروض والحلال والحرام) وفى الأجاداه (تفسير التوراة والمعتقدات والآراء والأخلاق وقصص أخرى مختلفة) فى عالم «بيت هامدراش»[2] وفى دور العبادة وفى المواعظ الدينية ومجالس الحكماء وفى مناسبات أخرى كالتأبين. وانتقلت هذه الآراء من شخص إلى آخر على مدى فترة طويلة وعرفت باسم "التوراة الشفهية" ودونت فى النهاية فى عدة مؤلفات أولها المشناه التى قام رابى يهوذا الناسى بإعدادها فى بداية القرن الثالث؛ وتشمل مجموعة من أقوال التنائيم فى موضوعات مختلفة لا سيما فى مجال الشريعة كأحكام البركة والإيمان وأحكام الزواج. وبعد المشناه تم وضع «التوسفتا» التى تشمل أقوال التنائيم التى لم ترد فى المشناه. أصبحت المشناه الكتاب التعليمى الأول فى المدارس الدينية وكل ما قيل عنها أو بعدها أو حولها وضع فى التلمودين وهما من أعمال الأمورائيين: التلمود البابلى فى بابل والتلمود الأورشليمى فى فلسطين (الجليل). ظهر التلمود الأورشليمى حتى الربع الأول من القرن الخامس. أما التلمود البابلى فتم الانتهاء منه بعد فترة، أى فى نهاية القرن

---

[1] يعرف أيضا بلقب «سيدنا القديس» (رابينو هاقادوش) وهو رئيس الجماعة اليهودية في فلسطين (الناسي أو البطريرك) وجامع المشناه.

[2] «بيت هامدراش» في العبرية. و«بيت الدراسة» أحد الأطر الأولى للحلقات التلمودية، وهو معهد للدراسات الدينية غالبا ما كان يلحق بالمعبد اليهودي وأحيانا كان جزءا منه. كما ترد العبارة أحيانا فى إشارة إلى المعبد اليهودي من حيث هو مكان للدرس. وكان «بيت الدراسة» مكانا لدراسة الشريعة. كما استخدمه الدارسون للصلاة. إلا أن النشاط الأساسى لهذه البيوت كان دراسة التلمود. أما الصلاة فكانت نشاط ثانويا. وكانت تسمية «بيت هامدراش» متداولة في العصور القديمة فى إشارة إلى مجالس علماء التلمود، حيث كان الدارسون يجتمعون داخله لسماع محاضرات علماء التلمود.

الخامس تقريبا. وإلى جانب المشناه والتلمودين تم جمع أقوال الحكماء فى المدراشيم. وهى عبارة عن مؤلفات مرتبة وفقا لترتيب فقرات العهد القديم أو وفقا لموضوعات مختلفة.

أما فيما يتعلق بموضوعنا فلأدب الأحبار أهمية مزدوجة؛ فهو من ناحية أقوال لأحبار عاشوا فى القرون التى نشأت فيها المسيحية. فعاصر التنائيم الأوائل يسوع وتلاميذه وبولس. لذا يمكن البحث عن شهادة أدب الأحبار على المسيحية وشريعتها بالإضافة إلى أن كثيرا من الأحبار كانوا من أهالى فلسطين المسيحية. من ناحية أخرى يجب أن نتذكر المكانة الكبيرة التى حظى بها أدب الأحبار فى الشريعة والأجاداه وفى التراث اليهودى على مر الأجيال. ومن هذه الناحية أيضا فلشهادة أدب الأحبار على ما حدث فى فلسطين القديمة أهمية خاصة. وكل الأحبار منذ ذلك العصر وحتى الوقت الحالى يتعلمون من أدب الأحبار القدامى ورأيهم فى أى موضوع، بما فيه المسيحية الأولى، ينبع من آراء الأحبار الأوائل.

يبدو أن الأحبار كانوا فى مواجهة دائمة مع الدين الجديد أى المسيحية. وتفند أجزاء كبيرة من أقوالهم آراءه وشريعته. فمسألة هوية الشعب المختار وأهمية الوصية التطبيقية كالختان أو مراعاة السبت وموعد ظهور المسيح وهيئته ومسائل أخرى من هذاالقبيل تناولتها أقوال الأحبار من منطلق المعرفة المستمرة للأقوال المغرية للمسيحيين عن إخوانهم فى الماضى - أى اليهود - ممن سيتبعوهم. لذلك لا نندهش من الانطباع الطيب الذى تركته المسيحية وشريعتها على جدل الأحبار. مع هذا يبدو أن يسوع نفسه قليلا ما ورد ذكره فى أدب الأحبار. ولا نعلم إن كان هذا القليل ينم عن عدم اهتمام من جانب الأحبار بصاحب الدين المسيحى، أم ان اسمه تم حذفه على مر

الأجيال من أعمال الأحبار بأيدى رقابة داخلية أو خارجية ما. بين هذا وذاك هناك وجهان محيران لمسألة ذكر يسوع فى أدب الأحبار. فمن ناحية، نتساءل هل ورد ذكر يسوع بشكل صريح؟ وكيف؟ ومن ناحية أخرى يجب أن نرى إن كان الأحبار أشاروا إليه بتسميات أخرى أو بألقاب ما أو بإشارات من قبيل «ذلك الرجل» أو «فلان» أو بأسماء غريبة مثل «بن سطادا»، «بن بنديرا» وغيرها من التسميات.

يتضح أن مختلف الباحثين والمفسرين وجدوا بعض الألقاب التى ذكرنا سلفا والمقصود بها «يسوع». وفيما يلى أربعة نماذج وهى قليل من كثير نبدأها بما ورد فى المشناه: "**قال رابى شمعون بن عزاى: وجدت نسب فى أورشليم مكتوب فيها الشخص الفلانى ابن زنى من امرأة متزوجة**" (يباموت 4: 13). إذن نحن هنا أمام حاخام من القرن الثانى يذكر «الشخص الفلانى» ويزعم أنه «ابن زنى» لأن أمه عاشرت رجلا أجنبيا. مع هذا يبدو أن الجزم بأن المقصود هو يسوع ليس له أساس. ومثلها القصة التى وردت فى التوسفتا حول الطريقة المثلى التى يمكن بها إثبات أقوال التحريض على عبادة الأوثان: "**كيف يصنعون له ذلك** (=المحرِض)؟ **يرسلون إليه اثنين من تلاميذ الأحبار فى الغرفة الداخلية ويجلس هو فى الغرفة الخارجية ويضيئون له الشموع حتى يكونا شهيدين عليه يرونه ويسمعانه** (وبذلك يشهدان أنه حرض). **وهكذا صنعوا لابن سطادا فى اللد. أرسلوا إليه اثنين من تلاميذ الأحبار ورجموه**. (توسفتا سنهدرين، 10 :11) ولم يفسر لقب "بن سطادا" (هل من الممكن أن يكون مرتبطا بمسألة المرأة المنحرفة؟) لكن لم يمنع ذلك أحد الباحثين من الافتراض بأن الحديث عن يسوع، ولم يوافقه جميع الباحثين فى هذا الافتراض ويبدو أنهم على حق.

هناك قصة أخرى فى التوسفتا تقول: "**صنيع لرابى إليعازر بن دما الذى لدغه ثعبان وجاء يعقوب من كفر سما لمعالجته باسم يسوع بن بنترا فرفض رابى يشماعئيل وقال له أنه غير مسموح له يا بن دما**" (حولين 2: 22). تحكى القصة أن أحد أبناء عائلة الأحبار أراد التداوى بمساعدة طبيب كان يستخدم اسم "يسوع بن بنترا" لكن حاخاما منعه من ذلك صراحة حتى إن كلفه ذلك حياته. أما ما إذا كان "ابن بنترا" هو يسوع فهو أمر اختلفت الآراء حوله ويصعب حسمها. وأخيرا تلك الرواية من المدراش والتى يبدو أنها تشير فعلا إلى يسوع: «**لأن "الله" يرى ورأى الأمم الساجدة للشمس والقمر والكواكب والشجر والحجر ورأى أن هناك رجلا بن إمرأة يريد أن يصنع نفسه إلها ويضلل العالم كله، وهكذا يقول: انتبهوا لئلا تضلوا وراء ذلك الرجل ... وإن قال إنه الله فهو كاذب. وسوف يقول أنه ابن الله وهو ليس إلا بشر**». (مجموعة شمعونى لسفر العدد). هذه المقتطفات وغيرها هى دليل الباحثين والمفسرين على ورود ذكر يسوع فى أدب الأحبار.

ونظرا لوجود مجال للشك فى بعض القصص التى سبق أن أوردنا فإننا نعرض ثلاثة مواضع ورد فيها ذكر يسوع صراحة؛ وثلاثتها من التلمود البابلى. مع هذا فإن حاول القراء البحث عنها فى طبعات التلمود الحالية فلن يجدوها لأنها حذفت على مر الأجيال كى تسمح الرقابة المسيحية بنشر نسخ التلمود، والتى لم تكن لتسمح بنشر مثل هذه الأقوال عن مسيحهم. ونحن نعرضها هنا بعد أن أشارت مؤلفات عديدة إلى وجود حذف فى التلمود وهذه الأجزاء تعرض ليسوع بصورة سلبية بل إنها لا تتحرى الدقة فى مسألة توقيت ظهوره ولا تورد معلومات أكيدة عن أعماله.

يعترف الموضع الأول بأن يسوع كان من المترددين على المدارس الدينية لكن تفوقه كان كتلميذ حاد عن الطريق المستقيم. والموضع الثانى يحكى عن رجمه وقتله وهذا حكم من يقوم بأعمال السحر ويحرض على عبادة الأوثان. أما الموضع الثالث فيختلف عن سابقيه حيث يطالعنا فيه إحساس بتفويت فرصة عدم الوصول إلى تفاهم مع يسوع لمنع ازدهار المسيحية. تحكى هذه المقطوعة قصة مبهمة عن حياة يسوع ترتبط بحاخام عاش فى عصر الملك يناى (الذى جلس على العرش بين عامى 103 و 67 ق.م). وعلى الرغم من تلك الفجوة الزمنية فيبدو أن المقصود هو يسوع وأن هذه الرواية لم تدقق فى زمنه. يتهم يسوع فى هذه الرواية بالسلوك غير الأخلاقى من الناحية الجنسية (قارن القصة المشابهة فى التلمود الأورشليمى التى لم يرد فيها أى ذكر ليسوع)، ثم بالوثنية ورفضه العودة إلى الصراط القويم.

تشتمل الأجزاء الثلاثة على شهادة ثمينة حول الروايات الخاصة بيسوع لدى الأحبار، أو على الأقل تلك التى تم دمجها فى فترة قديمة فى كتاباتهم. أما اختفاء هذه الروايات كلها أو بعضها من نصوص التلمود فأمر مثير فى حد ذاته، فى تاريخ تناول يسوع وشخصيته فى العصور الوسطى.

التلمود البابلى- براخوت 17: 72

«هكذا كانت صلوات الأحبار عند خروجهم بعد يوم من الدراسة فى بيت هامدراش: ألا يكون جمعنا (= نحن وتلاميذنا) كجمع داود، الذى خرج منه أحيتوفل (= الذى أراد قتل داود) ... ألا يكون جمعنا كجمع شاول الذى خرج منه دوئيج الأدومى (=الذى قتل كهنة الرب) ... ألا يكون جمعنا كجمع إليشع، الذى خرج منه جيحازى (الذى عوقب بالصرع لجشعه وكذبه) ... ألا يكون

لنا ولد أو تلميذ يفسد طعام الآخرين (=يقوم بثقافة سيئة ويتسبب فى أن يفسد الآخرون أعماله مثله) مثل يسوع الناصرى".

حذفت الكلمات الثلاث الأخيرة من نص التلمود لكنها موجودة فى طبعة الحاخام عادين شطاينزلتس – القدس 1968.

التلمود البابلى – سنهدرين 43: 71

"لمديم يسوع فى ليلة عيد الفصح وخرج الراعى قبله بأربعين يوما (معلنا) أنه سوف يرجم لأنه سحر وحرض وفتن إسرائيل. وكل من يعرف له تبرئة (=يمكن أن يدافع عنه) ولم يجدوا له تبرئة، وأعدموه (بعد أن رجم وذلك جزاء المحرضين) فى ليلة الفصح. وقال عولا: هل كان هناك مجال لتبرئته؟ فقد كان محرضا والله يقول "لا يشفق قلبك عليه ولا تترأف به».[1] لكن حالة يسوع مختلفة لأنه كان مقربا من الملك وبحثوا له عن تبرئة».

التلمود البابلى – سنهدرين 107: 72

"لا تكن أبدا يسارا رافضا ويمينا مضحيا (المقصود أنه من الواجب التضحية بأى شخص المخطئ والمجرم، لكن بحيطة وحذر). ليس مثل إليشع الذى دفعوه إلى جيحازى دفعا _كما هو مذكور فى الملوك الأول 6) وليس كالحاخام يسوع بن براحياه (الذى عاش قبل يسوع بمائة عام) الذى دفعوه إلى يسوع دفعا (ولم يسع إلى التضحية به وإن كان بدافع النقد والاعتدال) ... (والنص بعد هذه الفقرة باللغة الآرامية وترجمته: ما شأن الرابى يسوع بن

[1] التثنية 9:13

براحيا؟ عندما قتل الملك يناى (92 – 82 ق.م.) فر يهوشواع[1] بن براحيا ويسوع (تلميذه) إلى الإسكندرية فى مصر. وعندما ساد السلام ثانية فى البلاد أرسل إليه شمعون بن شطاح (من أورشليم، رسالة إلى رابى يهوشواع بن براحيا) قال فيها: "من أورشليم المدينة المقدسة إليك فى الإسكندرية بمصر. زوجى يسكن فى الداخل وأنا أسكن بمفردى؟" (وتلك دعوة إلى رابى يهوشواع بالعودة إلى أورشليم). قام (رابى يهوشواع) وذهب إلى مكان للمبيت واستقبلوه استقبالا حافلا. قال رابى يهوشواع ليسوع: "كم جميل هذا المكان!" قال له (يسوع): سيدى نظره ضعيف. فقال له: أيها اللئيم، أهذا ما يهمك؟" (= المقصود على ما يبدو، أنت تنظر إلى جمال الناس، وهو أشار إلى السلوك الجنسى السيىء).

نفخ رابى يهوشواع فى البوق أربعمئة مرة وقاطعه. وزاره (يسوع) مرات عدة لكنه لم يستقبله. فقال له يسوع: استقبلنى لكنه لم يلتفت إليه. وذات مرة، كان رابى يهوشواع يتلو صلاة "شماع" فأراد (رابى يهوشواع) استقباله لكنه أشار إليه بيده (بأن ينتظره حتى ينتهى من التلاوة). واعتقد يسوع أنه يشير إليه بالرفض فذهب ووضع حجرا وسجد له. قال (رابى يهوشواع) تراجع. قال له: "هذا ما عهدته بك كل خاطئ ومضل للآخرين لا تكفيه التوبة".

[1] إشارة إلى يسوع بن براحيا

يناى الشاعر الدينى

فلسطين فى القرنين الخامس و السادس الميلاديين

شاعر دينى فى فلسطين القديمة

لا نعرف تفاصيل حياة يناى لكن أعماله الشعرية العديدة تشهد على أعماله. عاش على ما يبدو فى أواخر القرن الخامس وبداية القرن السادس فى أرض فلسطين. وضع المئات من الأشعار الدينية لتلاوتها فى الصلوات ودور العبادة فى أيام السبت والأعياد. من أشهر أعماله القصيدة التى ضمت فى النهاية إلى صلاة عيد الفصح والتى تبدأ بـ «وحدث فى منتصف الليل».

كانت أرض فلسطين فى عهد يناى خاضعة لحكم بيزنطة. وهو يعبر فى أشعاره عن المعاناة فى ظل الاحتلال والأمل فى الخلاص. والعدو فى أشعاره هو روما وأدوم، ويذكرهما كثيرا ويصلى من أجل الخلاص منهما بكلمات تنم عن كراهية لما تقوم به روما من قمع وإذلال - بتأييد من الكنيسة المسيحية وتشجيعها - ضد اليهود.

كان يناى الشاعر خبيرا فى العادات المسيحية وكان يتخذ منها موقفا من حين لآخر. ففى أحد أشعاره التى كان يفترض أن يرتلها فى صلاة يوم الغفران (والتى تستهل بـ «من يقول عن البخيل كريما») يتطرق على ما يبدو إلى شخصية يسوع ويسخر ممن يؤمنون به. ونظم بعد هذه القصيدة قصيدة أخرى مشابهة تذكر يسوع بلا شك (يستهلها بـ «من يتبعون ابن الزنا ويؤلهونه»). لكن هناك شكا فى أن يكون «يناى» نفسه هو الذى نظم هذه

القصيدة. والشبه بين القصيدتين من ناحيتى الشكل والمضمون واضح على الرغم من أن الأولى نظمت حسب الترتيب الأبجدى، والأخرى حسب الترتيب الأبجدى المعكوس.

ونقدم فيما يلى أبيات من القصيدتين اللتين تشهدان على رؤية يسوع والمسيحية فى عصر الشعراء الدينيين وأنه كان من المسموح ذكر تلك الموضوعات فى دور العبادة فى صلوات يوم الغفران، أقدس الأيام عند اليهود.

القصيدة الأولى:

1- ليحل بهم الخزى والعار.
2- من يقول على البخيل كريما (أى يبدلون الحقائق ويقولون قولا غير صحيح. والمقصود المسيحيون الذين يقولون على الميت أنه حى وعلى الضعيف أنه قوى). ومن يختار اتباع الفواحش الرذيلة.
3- السعداء بالأثان (التماثيل التى تجسد يسوع) المتبعون للأموات غير الأحياء (أتباع يسوع الميت وليس الله الحى).
4- ...
5- الصانعون شرورهم سرا (المقصود العبادات المسيحية التى تتم سرا فى الأديرة المغلقة وغيرها.)
6- الساجدون لمن سقط وسجد (المقصود صلب يسوع).
7- المتحمسون فى اتباع أعمالهم (التى كلها ضلال عن الطريق القويم).

القصيدة الثانية:

8- من لا يتحمل عبء ملكوت الله.

9- من يتبعون ابن الزنا ويعتبرونه إلها؛ من يسجدون للباطل.

10 - لذين يتبعون السراب ويصلون لإله لا حول له ولا قوة.

11 - لمصلون لمن لا يسمع ولا يستجيب – المتجهون فى صلواتهم لمن صلب وظل معلقا حتى المساء.

12 - ...

13 - لذين يطلبون العون من الميت للأحياء. الساجدون لصنم من صنع أيديهم.

14 - لراكعون راجين أن يحيا الصنم الذى لا حياة فيه المحاولون إحياء الوثن الخشبى.

العصر الوسيط

كتاب مجادلة الأسقف نسطور

حوالى القرن التاسع الميلادى

أول كتاب جدلى ضد المسيحية

كان أول كتاب يهودى وصل إلى أيدينا مخصص بأكمله لمجادلة المسيحية هو المؤلف المكتوب بالعربية باسم «قصة مجادلة الأسقف». تدور قصة هذا الكتاب حول أسقف مجهول تهود وأراد أن يشرح لأبناء ديانته السابقة – أى للمسيحيين - قصة تحوله إلى اليهودية. ولا نستطيع أن نجزم إن كانت هذه القصة حقيقية أم أنها مجرد أسلوب متبع فى الكتابة. وبين هذا وذاك نجد أن القصة تتميز بإلمام جيد بالديانة المسيحية وشريعتها. ويبدو أن المؤلف اليهودى كان ملما بالفرق المسيحية من حوله. ويذهب من قام بنشر النص قبلنا إلى أن مثل هذا الكتاب شديد اللهجة والمكتوب باللغة العربية ويهاجم الديانة المسيحية ربما يكون كتب فى مكان مثل مصر كان للمسيحية فيه تأثير كبير إلى جانب الاسلام.

وضع هذا الكتاب فى فترة أقصاها منتصف القرن التاسع، فى القرون الأولى من انتشار المسيحية بداية من القرن الرابع وما بعده وقبل أن تدعو الحاجة أو قبل ظهور التنائيم الذين دعوا اليهود إلى كتابة مجادلات شاملة ومنظمة ترد على إدعاءات المسيحية. وصل الكتاب فى لغته الأصلية، العربية، من الشرق الأوسط، إلى شبه جزيرة أيبيريا عندما انتقل اليهود من الأندلس المسلمة إلى البلاد المسيحية بعد اضطهادات القرن الثانى عشر واندمجوا فى الطوائف اليهودية المحلية التى لم تكن تتحدث العربية. فكانت هناك حاجة

إلى ترجمة هذا الكتاب إلى العبرية. وكان النص العبرى يعرف بعنوان «مجادلة القس نسطور». ويبدو أن كلمة «نسطور» غير موجودة فى الأصل العربى ظهرت بعد ذكر إحدى الكنائس، وهى الكنيسة النسطورية، فى النص العربى. وانتقل الكتاب مع الوقت من فرنسا إلى إشكناز[1] وشرقها إلى العالم البيزنطى، وتم ضم النصوص العبرية إلى اقتباسات لاتينية ويونانية. ونشر دانيال لاسكر وسارة سترومزا نسخة محققة من الكتاب فى عام 1996.

يضم الكتاب مجموعة من الفقرات تكاد العلاقة بينها أن تنعدم، وتتطرق إلى ادعاءات ضد مفهوم إلوهية المسيح وضد فكرة التثليث. كما تشير إلى وجود تناقضات فى العهد الجديد. لا يتردد النص فى الإشارة إلى بعض المواضع بلغة فظة لاذعة حول مولد يسوع بل السخرية من موته. لكنه يحتوى أيضا على فقرات تصف يسوع بأنه يقيم الوصايا وهو من أقامت عليه المسيحية شرائعها الدينية عن غير حق. أى أن للكتاب إستراتيجية مختلفة للمجادلة المسيحية؛ الأولى تهدم أية علاقة بينها وبين يسوع؛ والثانية تهاجم شخصه.

سنعرض لبعض فصول هذا الكتاب (وفقا لطبعة لاسكر وسترومزا المنقحة) والتى تفند إلوهية يسوع، وتشير إلى أنه من بنى البشر، ويظهر ذلك فى نقاط ضعفه البشرية الكثيرة. ويخصص فصل خاص من هذه الفصول للسخرية من فترة وجوده فى رحم أمه والسخرية من قصة مولده. ويميل الكاتب من ناحية أخرى إلى إظهار أن كافة المعجزات المنسوبة ليسوع يرجع

[1] «الإشكناز» من «إشكنازيم» العبرية. و«الإشكناز» هم يهود فرنسا وألمانيا وبولندا. و«إشكناز»، حسب الرواية التوراتية، اسم أحد أحفاد نوح. ومن المحتمل أن تكون الكلمة استخدمت للإشارة إلى قبيلة ظهرت في زمن أسرحدون تحالف أعضاؤها مع أشور.

الكثير منها إلى شخصيات مختلفة فى العهد القديم (مثل موسى، إلياهو، إليشع)، وأنه ليس هناك ما يدعو إلى الدهشة وأنها لا يمكن أن تكون أساسا لإلوهية يسوع.

(1) مقدمة: هذه قصة الأسقف نسطور الذى أحب الله من كل قلبه وروحه وقوته ومقت عقيدة غير المختنين وخطيئتهم. .... ودخل فى حمى الوحى الإلهى واختار الحياة الآخرة لأنه كان رجلا حكيما بالتوراة. وهداه الله إلى اليهودية وختن. ولم يفعل ذلك حتى حاور كل حكيم من غير المختنين (المسيحيين) وكل من يفهم كتبهم. كما أرسل الرسائل إلى حكماء الأغيار (غير اليهود) جميعا وكانوا يردون عليه، وعرف وأدرك خطأهم والضلال الذى عاشوا فيه. لذا فإنه أرسل إلى أحد الأساقفة الذين اختارهم من غير المختنين رسالة يحاوره فيها. وفى هذه الرسالة ورد ما يلى:

(5) حاشا أن أقول (كما يزعم المسيحيون الذين يتحدثون عن ربهم يسوع) أن الله كان فى رحم فى قذارة البطن وسط النجاسة والظلمة. أو أن عيون الخلق رأته نائما أو غافيا أو أجبر على صنع شىء لا يرغبه أو أنه أذنب أو حزن أو خاف أو توسل إلى شخص أو سجن مع المجرمين أو سمح لليهود أو غيرهم من الكافرين أن يصنعوا به ما لا يشاء. وحاشا أن أقول إنه أكل أى طعام أو تناول أى شراب. ....

(6) وحتى إن قلتم أنكم آمنتم بالمسيح وألهتموه لأنه اختلطت به روح القدس ولأنه لم يكن له أب، فإنى أقول لكم إن آدم لم يكن له أب أو أم لأن الله خلقه وكساه لحما وجلدا وأنبت الشعر فى جلده ونفخ فى أنفه الروح وأخذ أحد أضلعه وخلق منها امرأته بلا أب وأم. وهكذا خلق الخلق والبهائم

جميعا بلا أباء أو أمهات وكذلك الملائكة والجن. ولا أعتقد أنك تؤمن بكل واحد منهم وتؤلهه؛ بل بالذى خلقهم تؤمن وتعبد.

(15) وإن آمنتم بالمسيح لأنه «رفع إلى السماء فقد قام أخنوخ بذلك من قبله ثم هبط إلى الأرض "[24] **وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد لأن الله أخذه.**"[1]، والملائكة جميعا والنبى إلياهو يسكنون السماء ولم يهبط أى منهم من السماء إلا بأمر الله.

(14-24) وإن كنتم تعبدونه (أى المسيح) لما أتى به من معجزات ولأنه صنع من الماء خمرا وأشبع ألف رجل من خمسين رغيفا من الخبز وثلاثين سمكة، ولأنه كان يحيى الموتى ويشفى المرضى ويسير على الماء، فإنى أقول لك ما هو أروع من ذلك؛ فالنبى إليشع أحيا اثنين من الموتى، واحدا فى حياته والآخر بعد موته، وسار على الماء. أما يسوع فلم يحى إلا واحدا فى حياته كما تدعون. والنبى حزقيال أحيا آلافا لا تعد ولا تحصى من الناس. وهذا أروع مما قام به مسيحكم الذى أحيا شخصا واحدا فى اليوم الثالث لموته. والنبى إيليا أحيا ابن أرملة صرفة وقول إيليا: "[14] **لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل: إن كوار الدقيق لا يفرغ وكوز الزيت لا ينقص، إلى اليوم الذي فيه يعطي الرب مطرا على وجه الأرض**"[2] وبقوله امتنع المطر ثلاث سنوات؛ ولم يكن هناك ماء فى الأرض وتقرب بقربان إلى الله وصلى له وأجابه بالنار وقال «وأحضروا إليه أنبياء بعل أنبياء الكذب وذبحهم على جبل الكرمل. وأسقط الله المطر على الأرض. كما سأل ربه فحمله الله فى عاصفة إلى السماء وهو كما هو لم

[1] التكوين 5: 24

[2] الملوك الأول 17: 14

يتغير.» فهل يستحق إيليا أن يعبد كإله؟ (كان إيليا) أولى بالعبادة ممن صلبه اليهود ولعنوه وضربوه ثم صعد بعدها إلى السماء كما تزعمون. هل المعجزات التى أتى بها يسوع فى حياته أكثر مما أتى به موسى الذى أرسله الله إلى فرعون وصنع المعجزات الكبرى فى مصر حيث شق البحر وعبر ببنى إسرائيل، ثم ضرب البحر ثانية فغرق فرعون وجنوده، وسير السحاب فوق بنى إسرائيل ليستظلوا بظله من حرارة الشمس وسار عمود السحاب أمامهم فى البحر كى يدلهم على الطريق، وعمود النار ليلا. وفجر الماء من الصخر الصوان وكانت البئر تسير معهم عند سيرهم؛ وأنزل لهم المن والسلوى ولم يصبهم سوء لمدة أربعين سنة. وعندما وقف قوراح وبنوه ينازعون هارون الكهانة ابتلعتهم الأرض هم وبيوتهم. وسأل (موسى) الله وأجرى على يديه معجزات لا تحصى. وإن كنت تعبد يسوع لمعجزاته فاعبد موسى أيضا واتخذه إلها لأنه أتى بمعجزات أكثر مما أتى به يسوع. كما أن مسيحكم لم يأت بمعجزات كتلك التى أتى بها يشوع بن نون الذى أوقف الشمس والقمر [12] **حِينَئِذٍ نَطَقَ يَشُوعُ الرَّبَّ، يَوْمَ سَلَّمَ الرَّبُّ الأَمُورِيِّينَ أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ أَمَامَ عُيُونِ إِسْرَائِيلَ: «يَا شَمْسُ دُومِي عَلَى جِبْعُونَ، وَيَا قَمَرُ عَلَى وَادِي أَيَّلُونَ»**[1] فتوقفت الشمس ما يقرب من اثنتى عشرة ساعة ولم تغرب وثبتت فى كبد السماء يوما كاملا كما جفف نهر الأردن حتى مر تابوت عهد الرب وبنو إسرائيل. كما جاء موسى بالكثير من المعجزات والعجائب بأمر الله وهذا ديدن الأنبياء. وإن أردت عبادة من يأتى بالمعجزات فلتعبد هؤلاء أيضا وتتخذ منهم آلهة.

[1] يشوع 10: 12

(59) لماذا لا تندهشون لما تؤمنون به؟ أنسيت أن يسوع كان فى صغره يفعل ما يفعل الصبية؟ لا تحاول إنكار ما أقول لك. وإن كان ما أقوله صحيحا فانظروا فى عقيدتكم من أقوالكم؛ فالفتى ينجس ثيابه ويبول فى فراشه ويلعب مع الفتية ويبكى أحيانا. فهل من الصواب أن نجعله إلها وهو يقوم بكل ما ذكرت؟

(81-87) ألم تعلم أنه عندما جاء مريم المخاض ذهب زوجها يوسف إليها ليحضر لها من يولدها ... وولدت مريم وأرضعت ولدها وغطته ووضعته فى المذود ... وإنى لأدهش كيف لا تخجل من عبادة من سكن ضيق الرحم واستمع إلى خروج الغازات من بطن أمه وبقى فى الظلام طوال تسعة أشهر؟ وكيف يقال أن يسكن أى من كان فيه جانب إلهى فى مثل هذا المكان البشع؟ وإن قلت إنه كسائر الأطفال وإنه بعد خروجه من رحم أمه وخروج فمه من الجهاز البولى وقريبا من مخرج البراز فإنه كان ينام ويرضع من ثدى أمه وكانت حياته تعتمد على الطعام والشراب وعاش فى أماكن كما هو مذكور فى أناجيلكم. ألم تعلم أن يسوع نام فى السفينة عند هبوب العاصفة حتى أيقظه تلاميذه فدعا ربه أن يوقف العاصفة وتتوقف. كما أنه نام فى قرية شمعون وجاءت عاهرة سامرية وسقطت على رجليه وهو نائم حتى أيقظته ... ويدهشنى كيف تطالبنى بعبادة إله نائم طوال الوقت. ألم يقل داود: "[4] **إله لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل**"[1] لأن الله سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم. وهاهو يسوع نائم فى كثير من المواضع كما ذكرت لك.

[1] المزامير 121:4

(95-96) ألم تعلم أن يسوع دعى إلى الخمر هو وأمه فشربا وسكرا ونام فتوقظه أمه وتقول له «إستيقظ يا بنى لأن الخمر نفذ» ... وإن كان إلها فإنه لا يشرب الخمر. بل نجد أنه لم يكن حتى كاهنا كبيرا عابدا لله كما ورد "**لا تشرب أنت وأبناؤك خمرا مسكرا**"[1] بل لم يكن حتى ناسكا "**لا يذوق كل أيام نذره شيئا من نتاج الكرمة حتى بذور العنب وقشره**"[2]. ألم تعلم أنه عندما شرب خمرا فى كفر شمعون وكفر سكيوس وكفر هليل وبارك الخمر وأسقى تلاميذه فإنه ثمل ونام ... وها أنا ذا أرى أنه لم يكن لإلهك عمل يشتغل به سوى السكر بالخمر؛ ولو كان إلها ما كان ليشرب ويسكر فى أى وقت. وما كان ليجلب على نفسه العار والخزى على مر الأجيال بارتباطه بمعنى الخمر. قال سليمان "**لا تكن واحدا من مدمنى الخمر. الشرهين لالتحام اللحم**"[3]. وهل يستحق إله سكير مثله أن يعبده الإنسان ويتخذه إلها! ولولا أنى قرأت ذلك فى أناجيلكم لاستحييت أن أنطق بفمى مثل هذه الكلمات.

(154) وإن صلب فإن جسده ملعون لما ورد فى المشنا "**فلا تبت جثته على الخشبة بل ادفنوه فى نفس ذلك اليوم. لأن المعلق ملعون من الله**"[4]. وكل مصلوب ملعون. وإن كان يسوع لعنه الله لأنه صلب فكيف لا تخجل من القول بألوهيته.

---

[1] اللاويين 10: 9

[2] العدد 6: 4

[3] الأمثال 23: 20

[4] التثنية 23: 20

(157) ألم تعلم بأن يسوع قال لبطرس "**إذهب وسقه لى إلى المدينة كى أركبه**" (قبل دخول أورشليم). ويدهشنى القول إن إلهك يركب حملرا. أنا أشهد بأن الله يحيى ويميت وهو الحى الذى لا يموت، ولا ترد أوامره ولا شريك له وهو كما قال "**أنا واحد أحد**" سبحانه الواحد الأحد الذى لا شريك له.

(111) إنى لأتعجب من أنك لم تنتبه لما قال داود وابنه سليمان. قال داود لربه "**أبنى لك بيتا**" أجابه الله "**أى بيت تبنيه لى وأى مكان يضمنى**" وقال سليمان "**هوذا السماوات وسماء السماوات لا تسعك فكم بالأحرى هذا البيت الذي بنيت؟**"[1] وقال إشعياء "**هكذا قال الرب: « السماوات كرسيي والأرض موطئ قدمي**"[2] وأنت تقول أن بك حملته مريم فى بطنها تسعة أشهر وأن شولاميت مربية عيسى حملته كل أيامه، وانتقل هو وأمه إلى مصر وسكنا مدينة صغيرة كما حمله اللوح الخشبى الذى صلب عليه. وإن كان يسوع إلها فقد كذب كلام سليمان الذى قال "**هوذا السماوات وسماء السماوات لا تسعك**" فكيف وسعه رحم أمه أو حملته مربيته أو اللوح الخشبى؟

(154-180) ذهب يهوذا الإسخريوطى إلى امرأته وقال لها "**ها هو المسيح الذى يطلبه اليهود**" فتقول له: إذهب وأخبر اليهود بالمكان الذى يختنون فيه وذهب وأخبر اليهود. "**ها هو الرجل الذى تطلبون**". ويأتى يهوذا ومعه ستة وثلاثون رجلاويقبضون على يسوع ويسلمونه إلى بيلاطس واليهود ... فيضربوه على رأسه قائلين: "**أخبرنا من ضربك**" وهو لا يعرف. وإن لم يكن ذلك مكتوبا

[1] الملوك الأول 8: 27

[2] إشعياء 66: 1

فى الأناجيل لما قلته ... وأخبر اليهود بذلك فى كل البلاد فى يوم الجمعة فى ليلة عيد الفصح[1] حتى منتصف النهار، وكان يحمل اللوح الذى صلب عليه على كتفيه ويتعب من حمله فيسقط منه ثم يأخذه اليهود ويصلبوه على اللوح وهو يقول: " إلوي، إلوي، لما شبقتني؟» أي تفسيره: إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟"[2] ويصرخ يسوع على الصليب ويتوسل يوسف لليهود وبيلاطس كى ينزلوه عن الصليب وأن يعطوه جثمانه فيعطونه إياه فيدفنونه كما قال متى ويوحنا فى أناجيلكم. ولتعلم أنى لم أقل هذا الكلام من قلبى؛ بل طالعته فى أناجيلكم. وإنى لأدهش منك لتأليهك يسوع الذى صلب كما تقول، وإن كل مصلوب لملعون.

[1] عيد الفصح» أو «عيد الفسح» هو المصطلح المقابل العربي للكلمة العبرية «بيسح». ويبدأ عيد الفصح في الخامس عشر من شهر نيسان ويستمر سبعة أيام في إسرائيل (وعند اليهود الإصلاحيين) وثمانية أيام عند اليهود المقيمين خارج فلسطين. ويحرم العمل في اليومين الأول والأخير (وفي اليومين الأولين واليومين الأخيرين خارج فلسطين). ويقام الاحتفالات طوال الأيام السبعة. أما الأيام الأربعة الوسطى فيلتزم فيها بتناول خبز الفطير دون أن يقترن ذلك بطقوس احتفالية كبرى. وعيد الفصح أول أعياد الحج اليهودية الثلاثة.

[2] مرقس 34:15

كتاب تاريخ يسوع

من الأدب الشعبى الساخر فى العصور الوسطى

إلى جانب الانشغال بشخص يسوع فى أعمال مفكرين من أمثال رامبام (موسى بن ميمون) أو الأعمال التى ظهرت منذ البداية كأداة مساعدة فى الجدل لكل من يناهض المسيحية – ككتاب "**مجادلة الأسقف نسطور**" أو كتاب "**النصر القديم**"- انتشرت بين اليهود فى العصور الوسطى نصوص كثيرة وحكايات صيغت بأساليب شعبية فى طابعها تروى من جديد حياة يسوع، مولده وشبابه وأعماله ومحاكمته وموته، بلهجة ساخرة فظة. والحديث هنا عن مجموعة من ا لنصوص ربما كان أساسها كتابا واحدا؛ نصوص اكتسبت عناوين مثل "**تاريخ يسوع**" و"**أعمال يسوع الناصرى**" و"**أعمال المصلوب**" وغيرها. واتخذت هذه النصوص مع الوقت أشكالا مختلفة ولم تتضح بعد بشكل قاطع هوية مؤلف هذه النصوص وزمن تأليفها. ويعود بها الباحثون إلى الفترة بين القرن الرابع والقرن الثانى عشر فى منطقة فلسطين وأوروبا.

إن مؤلفات "**تاريخ يسوع**" لم يتم طبعها حتى العصر الحديث خشية الرقابة لكنها باقية فى العشرات من المخطوطات (معظمها باللغة العبرية وقليل منها بالآرامية). وتستخدم روايات العهد الجديد لكن تعرضها بصورة سلبية علاوة على استخدام تعبيرات لاذعة. ويقوم أساس هذه المؤلفات على الاعتراف بالصدقية التاريخية لهذه الروايات عن يسوع ولكنها فى الأساس محاولة لتغيير قصة الأناجيل وعرضها بصورة سلبية لكل ما تقدمه على أنه عجائب ومعجزات. وتحكى معظم الروايات أن يسوع كان ابن زنا وابن إمرأة

نجسة، وأنه كان وقحا أمام الحكماء ويتجرأ على تفسير آيات تحدثت عن المسيح كما لو أنها تتحدث عنه شخصيا، وأنه كان ساحرا أضل الناس؛ وأنه هو من قتله الأحبار لسوء سلوكه وصلب واختفى جثمانه بعد موته لأنه أقل كأى شىء لا قيمة له فى حفرة ماء ... إلخ.

فى المؤلفات التى تتناول "تاريخ يسوع" نجد مزجا للروايات القليلة عن المسيح فى أدب الأحبار بالمعرفة الجيدة بقصص المسيحية ولكن دون اهتمام بشريعة هذا الدين ومواعظ يسوع أو الشرائع الدينية المختلفة التى تطورت بعده. والقصة هى الأساس والشعب العريض هو المستقبل لها. وأدى الانتشار الكبير لهذه القصص إلى اضطرار المسيحية إلى التعامل معها بطرق مختلفة؛ بداية من التجاهل المتعمد، وذلك استمرارا لمحاولة إثبات أنها قصص غير دقيقة لا يمكن الاعتماد عليها؛ وانتهاء بالادعاء المثير بأنها تؤكد فى نهاية الأمر على العقيدة المسيحية ولا تزعزعها. كانت هناك فى الأوساط اليهودية بعض التحفظات على هذا المؤلف، كالقول بأنه "تفاهات وترهات عار على العاقل أن يرددها". ومع ذلك فلا يجب أن ننكر الشعبية الكبيرة التى حظيت بها تلك المؤلفات وذلك دليل على الرغبة التى أشبعتها لدى طبقات عريضة وعلى الإشباع الذى قدمته هذه القصص من خلال قراءتها والإحساس بها.

سنعرض مقتطفات من ثلاثة من هذه المؤلفات. ولا شك أنه يمكن اعتبارها أكبر تعبير عن العداوة والكراهية لشخص المسيح؛ عداوة تعبر بسخرية شديدة عن نظرة الطبقات العريضة من يهود العصور الوسطى فى البلدان المسيحية إلى الدين الحاكم. ويبدو أنه تم استخدام اسم يسوع اختصارا فى هذه المؤلفات حيث من الممكن تفسيرها بمعنى "ليمحى اسمه وذكره". وكتاب "تاريخ يسوع" من أكثر هذه المؤلفات تطرفا. ويحظى قارئ هذه

القصص بالمتعة من القصة الساخرة من المسيحية وإلهها، وتقدم الردود التى يمكن أن يقدمونها إلى جيرانهم المسيحيين فيما يخص شخص مسيحهم وحياته.

كتاب تاريخ يسوع

1) فى عام ستين وسبعمائة وثلاثة آلاف للخلق (العام الأول الميلادى) فى أيام الملك هيرودس الثانى والملكة هيلانا وفى عصر طبريوس قيصر روما، ظهر رجل من نسل داود اسمه يوسف بنديرا وكانت له امرأة اسمها مريم وكان الرجل يخشى الرب. وكان تلميذا فى «بيت هامدراش». كان جار يوسف المذكور رجلا شريرا اسمه يوحنا، وكان مجرما وزانيا. وكانت مريم فتاة جميلة. رفع الوغد يوحنا عينيه إلى الفتاة وكان يتبعها كثيرا دون أن تشعر هى بذلك، وظل يتربص بجوار بيتها حتى جاءت اللحظة المناسبة. وفى شهر نيسان، بعد انتهاء عيد الفصح فى مساء يوم السبت وفى منتصف الليل، بعد أن قام يوسف وذهب إلى بيت هامدراش، جاء بعده الوغد ووجد مريم وضاجعها. واعتقدت هى أنه إمرأة، وحملت منه. ذهب يوحنا إلى حال سبيله وعندما عاد زوجها يوسف من بيت هامدراش أخبرته مريم بالأمر وعلم أن ذلك من فعل يوحنا جاره. فقلق فى نفسه وفكر فى هجر مريم. وتشاور مع معلمه فى بيت هامدراش وأخبره بكل ما حدث. وتركها يوسف ورحل إلى بابل. وفى نهاية أيام الحمل ولدت مريم ولدا أسمته يسوع على اسم إله ويختن بعد ثمانية أيام. وانكشفت فعلة يوحنا وتحدث الشعب كله عنها. وعندما كبر الفتى دخل بيت هامدراش؛ وكان ذكيا يدرس فى اليوم الواحد ما يدرسه فتى مثله فى أيام كثيرة. وقال الأحبار عنه إنه من "أذكياء أبناء الزنا".

2) بعد مرور ثلاثين علما كان معلم يسوع يمشى فى السوق ومعه اثنان من الأحبار. وكانت عادة تلاميذ الأحبار عندما يمر تلاميذهم أمامهم أن يركعوا لهم ويغطوا رؤوسهم إحتراما لمعلميهم. وهاهو يسوع يمر أمام معلمه والأحبار منتصبا حاسر الرأس. فيقول أحد الأحبار: "جرأته تدل على أنه ابن زنا". وفى اليوم التالى كان معلم يسوع فى بيت هامدراش يعلم تلاميذه فصل الأضرار (من فصول المشنا). وجاء يسوع وبدأ يلقن التلاميذ أصول الشريعة. فقال له أحد الأحبار : "ألم تتعلم أن كل تلميذ يعلم الشريعة أمام معلمه يجب أن يموت؟" فأجاب يسوع بجرأة قائلا: "أى معلم وأى تلميذ؟ من كان أكثر حكمة من الآخر؟ موسى أم يثرون؟! إن قلتم موسى أبو الأنبياء ورأس الحكماء وشهدت له التوراة "[10] ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه"[1] فكيف كان يثرون الأجنبى معلما ومرشدا لموسى بقوله [18]" إنك تكل أت وهذا الشعب الذي معك جميعا، لأن الأمر أعظم منك. لا تستطيع أن تصنعه وحدك. [19] الآن اسمع لصوتي. فأنصحك. فليكن الله معك. كن أت للشعب أمام الله، وقدم أت الدعاوي إلى الله، [20] وعلمهم الفرائض والشرائع، وعرفهم الطريق الذي يسلكون، والعمل الذي يعملون. [21] وأت تنظر من جميع الشعب ذوي قدرة خائفين الله أمناء مبغضين الرشوة وتقيمهم عليهم رؤساء ألوف، ورؤساء مئات، ورؤساء خماسين، ورؤساء عشرات"[2]؟ وإن قلتم إن يثرون أكثر حكمة من موسى بطلت عظمة موسى. عندما سمع الأحبار ذلك قالوا: "بما أنه جرىء إلى هذه الدرجة فلنفتش فى نسبه ومن هم أبويه ومن هى عائلته؟ فأرسلوا إلى أمه

[1] التثنية 34: 10

[2] الخروج 18: 18-21

وسألوها فقالت إنه ابنها يسوع وإن زوجها يوسف تركها ولا تعرف مكانه. عندما سمع معلم يسوع اسم زوجها وأن امرأته هى أم يسوع تذكر القصة التى حكاها له يوسف قبل سفره إلى بابل؛ وانكشف الأمر بأن يسوع ابن زنا. وعندما سمع يسوع بأن أمره انكشف فر إلى أورشليم.

3) فى تلك الأيام كانت تحكم إسرائيل إمرأة تدعى هيلانا. فماذا كان من أمر يسوع؟ دخل أورشليم وكان هناك حجر للسقاية (وهو حجر فى أساس قدس الأقداس تقول الروايات إن العالم خلق منه) ، وكان منحوتا عليه لفظ الجلالة، وكل من يعرف سره (أى لفظ الجلالة) يستطيع أن يأتى بما يشاء من المعجزات. وكان يسوع يعرف سره. وخاف الأحبار كثيرا من أن يعرفه شباب إسرائيل فيأتون بفعال شريرة؛ فقاموا بصنع آلة على شكل أسدين من النحاس معلقين على أعمدة حديدية فى مواجهة بوابة أورشليم الرئيسة؛ فإذا دخل أحد ليعرف الاسم زأر الأسدان عند خروجه فينسى الاسم من فوره. ولو كتب الاسم على ورقة فلن يتركاه يخرج. فماذا فعل يسوع؟ كتب الاسم على ورق وقطع جلد فخذه ووضع الورقة تحت الجلد وذكر الاسم فعاد الجلد إلى مكانه وأخفى الورقة، وعند خروجه زأر الأسدان فنسى الاسم لكن بقيت الورقة فى مكانها. ثم قطع جلد فخذه مرة أخرى وأخرج الورقة وعرف الاسم وأعاد جلده إلى ما كان عليه بعد ذكره الاسم الذى فعل به المعجزات.

4) عندما رأى يسوع أن القوة أصبحت بين يديه ذهب وجمع ثلاثمئة وعشرة من الفتية المثقفين وخطب فيهم قائلا: "لقد عرفتم القول بأن "كل إسرائيل لها نصيب فى الحياة الآخرة" والمقصود بكلمة "إسرائيل" الرجل الذى رأى الله وأنا هو. وهذا هو اسمى يسوع (يشوع **ישוע** بالعبرية) من الكلمة "يش **יש**" بمعنى الوجود وأنتم عددكم ثلاثمئة وعشرة؛ وهو عدد يرادف فى حساب

الجمل كلمة "يش יש" وكما ذكر " فأنتم سوف ترثون الحياة[1] الآخرة إن آمنتم بى. ولو اتبعتمونى فستؤمنون بأنى ابن الله جئت إلى العالم بوصية أبى الذى فى السماء وكل ما تنبأ به الأنبياء عن المسيح فقد تنبأوا بى. ورؤيا النبى إشعياء عنى وعن أمى "[14] فها هى أمى قد حبلت العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه « عمانوئيل»"[2] من روح القدس وولدتنى. كما تنبأ بى نبى آخر قبل مجيئى إلى العالم وقال "« [3] وهناك رؤيا أخرى بأن الله أرسلنى وأنجبنى؛ ففى سفر المزامير الذى كتبه جدى داود عليه السلام يقول: "[4] وعلمت أن أحبار إسرائيل سيجتمعون وسيقولون بأنى ابن زنا ويحكمون على بالموت وأنا لا أخشاهم ولا يدهشنى ذلك؛ فكان من المفترض أن يحدث ذلك كما قال جدى داود "[1] [2] [3] « [4] [5] [6] [5] وقال يسوع للفتية "إن اتبعتمونى وحفظتم وصايای فستصاحبونى فى جنة عدن." قال له الفتية

---

[1] الأمثال 8:21

[2] إشعياء 7: 14

[3] زكريا 2: 10

[4] المزامير 2: 7

[5] المزامير 2: 1-6

"إن كنت كما تقول فأرنا معجزة أو آية". قال لهم يسوع: "أية معجزة ترغبون؟" قالوا: اشف بيساح واجعله يقف على قدميه. فقال سأفعل. فذهبوا على الفور وأحضروا بيساح أمامه، وكان لم يمش قط. فذكر يسوع لفظ الجلالة ووضع يده عليه فشفى. فأحضروا له رجلا أبرص فشفاه ولما رأى الفتية المعجزات سجدوا له وانضمت إليهم جماعة كبيرة من مجرمى إسرائيل وآمنوا بأنه المسيح.

5) عندما رأى أحبار إسرائيل أن العامة يؤمنون بيسوع تشاوروا فيما بينهم ليقبضوا عليه ويعرضوه على الملكة هيلينا التى كانت تحكم فى ذلك الوقت؛ وكان ذلك قبل خراب الهيكل الثانى بسبعين سنة. وقالوا لها: هذا الرجل اسمه يسوع وهو ابن زنا وساحر كبير ومضل للخلق زاعما أنه المسيح وأنه ابن الله. لذا قبضنا عليه وأحضرناه إليك لمحاكمته لأنه فى عداد الأموات. حينئذ تحدث يسوع قائلا: «مولاتى الملكة؛ تنبأ بى الأنبياء "[1] **ويخرج قضيب من جذع يسى، ويثبت غصن من أصوله**"[1] وأنا هو من نسله». فرد الأحبار قائلين: مولاتى الملكة حاشاك أن تصدقيه وقد قيل عنه فى التوراة "[15] **ملعون الإنسان الذي يصنع تمثالا منحوتا أو مسبوكا، رجسا لدى الرب عمل يدي نحات**"[2] وهى فى حساب الجمل مرادفة ليسوع كما قيل عن نبى الكذب "**وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبي**"[3] وكذلك "[19] **فاقطعوا به**

[1] إشعياء 11:1

[2] التثنية 27:15

[3] التثنية 18:20

كما نهى أن يغل بأخيه. فـ تزعون الشر من وسطكم"[1] قالت لهم الملكة: أفى توراتكم ما قال؟ قالوا : أجل، لكنه ليس هو لأنه ليس ابن الله وليس المسيح ويجب أن يحكم عليه بالموت، والمسيح الذى ننتظر له علامات مذكورة "[4] لي يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإصـ اف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفتيه. [5] ويكون البر منطقة متنيه، والأمانة منطقة حقويه"[2] وكذلك "[6] في أيامه يخلص يهوذا، ويسكن إسرائيل آمنا، وهذا هو اسمه الذي يدعونه به: الرب إلهنا"[3] وليس فى يسوع أى من هذه العلامات. قال يسوع للملكة: مولاتى أنا المسيح ابن الله وأنا أحيى الموتى ولو أرسلت الناس معى فسيرون المعجزات. فأرسلت الملكة معه رجالا مخلصين فأحيا رجلا واحدا باستخدام لفظ الجلالة وأحضروا الرجل حيا أمام الملكة. حينئذ دهشت الملكة وقالت "هذه معجزة حقيقية" وانصرف الأحبار بعد توبيخها إياهم وهم فى ضيق شديد. وازداد أتباع يسوع يوما بعد يوم وساد جدل كبير فى إسرائيل.

6) رحل يسوع عن أورشليم متجها إلى الجليل الأعلى، ومثل اليهود بين يدى الملكة وقالوا: مولاتى الملكة؛ لتعلمى أن ذلك الرجل يسوع على دراية كبيرة بالسحر وقام بأعمال سحر وضلال للخلق فى الجليل الأعلى ويزعم أنه ابن الله. فأرسلت الملكة الفرسان للقبض عليه وإحضاره أمامها ثانية. وعندما جاء الفرسان إليه ليقبضوا عليه لم يسمح لهم أهل الجليل بذلك وحاربوهم. حينئذ قال لهم يسوع: لا تحاربوهم وأراهم ما أتى به معجزات وكل

[1] التثنية 19:19

[2] إشعياء 11: 4

[3] إرميا 23: 6

شيء بأمر أبيه الذى فى السماء وهو ابنه. وقال أحضروا لى طيورا من طين ففعلوا فذكر اسم الله عليها فأحياها فنهضت على قوائمها وحلقت. رغم كل ذلك لم يصدقه الفرسان ولاختباره رسم كل واحد فى بيته صورة ثور وحمار وطيور من طين واحضروها إليه فأحياها لهم يسوع بعد ذكر اسم الله عليها.

ولما رأى العامة هذه الأفعال ركعوا له وخروا له ساجدين وآمنوا به. وأمر يسوع أن يأخذوا حجرا كبيرا ويلقوا به فى الماء ففعلوا وذكر اسم الله فطفا على وجه الماء كقشر البيضة أو الجوز فوقف عليه وسار به على الماء. وعندما رأى الفرسان ذلك اندهشوا كثيرا فقال لهم يسوع: اذهبوا برا وسأذهب بحرا وقصوا على الملكة ما رأيتم بأعينكم. وحملت الريح يسوع فى البحر وعاد الفرسان إلى الملكة برا وقالوا لها: فعلنا كل ما أمرت به وشاهدنا بأعيننا ما أتى به يسوع من آيات . وقصوا عليها ما شاهدوا.

7) تشاور الأحبار حول كيفية إحباط أعمال يسوع التى يقوم بها مستخدما اسم الله الذى حصل عليه عن طريق الخداع. فاختاروا رجلا حكيما من بينهم اسمه يهوذا الإسخريوطى وقالوا له "ستفعل أنت كذا وكذا. وأدخلوه أورشليم عند حجر السقاية وعرف اسم الله وكتبه على ورقة وقطع لحمه ووضع الورقة تحت جلده وأعاده كما كان باستخدام اسم الله. وبعد أن خرج أخرجوا الاسم من لحمه وحفظوه جيدا فأتى هو أيضا بالمعجزات. بعدها جاء الأحبار أمام الملكة وقالوا: " مولاتى الملكة لا تصدقى يسوع لما أتى به من معجزات لأنها أعمال سحر وردت فى التوراة "[2] ولو حدث الآية أو الأعجوبة التي سمعت عنها قائلا: لنذهب وراء آلهة أخرى لم نعرفها ونعبدها، [3] فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم، لأن الرب إلهكم يمتحنكم ليعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم. [4] وراء الرب إلهكم تسيرون وإياه تتقون، ووصاياه تحفظون،

وصوته تسمعون، وإياه تعبدون، وبه تتصلون."[1] وإن كان يسوع ابن الله كما يزعم فلينضم إلينا وسنكشف كذبه. فأرسلت الملكة على الفور فى طلب يسوع فجاءها مع جميع أتباعه. فأجلسته الملكة أمامها وبجلته هو ومن معه. وحضر كذلك أحبار إسرائيل أمام الملكة ومعهم يهوذا الإسخريوطى وعندما رأى يسوع الشيوخ قال للملكة: "لتعلمى أن جدى داود عليه السلام أخبر عن ذلك بقوله "[7] كى الدين يوقى يستزون بى"[2] والنبى يقول لى: "[8] لاتخف من وجوههم لأنى أنا معك لأخلصك يقول الرب"[3] تحدث الأحبار والشيوخ وعندما وجد يسوع نفسه فى ورطة قال: لقد تنبأ جدى داود قائلا"[5] إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني. سلاه."[4] والآن أبى يناديني وأريد أن أصعد إلى السماء". وعندما انتهى يسوع من كلامه رفع ذراعيه كأجنحة الطير وحلق بين السماء والأرض واندهش الخلق من ذلك. ولما رأى الأحبار ذلك طلبوا من يهوذا الإسخريوطى أن يفعل مثله وأن يتبعه باسم الله وأن يهبط به إلى الأرض؛ وإن لم يستطع فلينجسه بأن يبول عليه. ولم يستطع أن يتغلب عليه لأن كليهما استخدما اسم الله. حينئذ بال يهوذا على يسوع ونجسه بالبول فتنجس كلاهما وسقطا على الأرض ، لأن آيات الله تركتهما ونسيا اسم الله ولم يستطيعا استخدامه بعد ذلك. وهذا الحدث يعرفه كافة حكماء المسيحية ويلعنون يهوذا الإسخريوطى ... ولما رأى اليهود أن قوة يسوع زالت عنه انقضوا عليه وقبضوا عليه. حينئذ رأت الملكة أن الحق مع الأحبار

---

[1] التثنية 13: 2-4

[2] المزامير 22: 7

[3] إرميا 1: 8

[4] المزامير 49: 15

فسألت الملكة يسوع: "أين آياتك ومعجزاتك التى كنت تأتى بها؟ ولم لا تستطيع أن تأتى بها الآن؟ فأجابها يسوع قائلا: "مولاتى الملكة! لقد تنبأ بذلك النبى هوشع "[2] قد قسموا قلوبهم. الآن يعاقبون. هو يحطم أصنامهم، يخرب مذابحهم. [3] إنهم الآن يقولون: « لا ملك لنا لأننا لا نخاف الرب، فالملك ماذا يصنع بنا؟».[1]" وأنا أعلم أن قدرى أن أعذب وأموت بين البشر كى أخلص المؤمنين من جهنم، كما قال النبى "[12] لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصي مع أثمة، وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين."[2] وأنا أقول عنهم "[9] لأما أعاقب على هذا، يقول الرب؟ أو ما تنتقم نفسي من أمة كهذه؟"[3]. ويجيب الأحبار قائلين للملكة: ورد فى توراتنا "[9] إلى قلادته. يلتصق عليه ألا لقتله، ثم أبي جميع الشعب أخيرا."[4] وكذلك "[7] ابتعد عن كلام الكذب، ولا تقتل البريء والبار، لأني لا أبرر المذنب"[5] ولو أردت تسليمنا إياه سنعصب عينيه ونضربه ونرى إن كان سيعلم من ضربه وبم ضربه. وحينئذ يكون لكِ الحق فى إطلاق سراحه وان لم يعرف يكون لنا الحق فى أن نفعل به ما نشاء. فتجيب الملكة قائلة: "ليكن هذا وهذا ما تصنعون." ويأخذ أحبار إسرائيل قطعة من الصوف ويغطون بها رأسه ويحكمونها حول عنقه كى لا يرى. وأخذوا معهم بعضا من كبار وزراء الملكة وصنعوا دائرة من سبعة

[1] هوشع 10: 2-3

[2] إشعياء: 53: 12

[3] إرميا 5: 9

[4] التثنية 13: 9

[5] الخروج 23: 7

شيوخ ووضعوا يسوع فى وسطها؛ وأمسك كل شيخ عصا بيده. واقترب أحدهم ويدعى شمعون وضربه بالعصا ثم كشف آخر وجهه وسألوه من ضربه. فأجاب أن رجلا يدعى نفتالى هو الذى ضربه. واقترب آخر اسمه لاوى وضربه ولم يعرف يسوع من ضربه فقال له الوزراء: "قد تحدثت بالكذب وكل أعمالك كذب" وعندما رأى يسوع نفسه فى مأزق وأنه يتألم من الضرب أدرك أنه سقط الآن فى يد اليهود وأنهم سيفعلون به ما يشاءون وأنه كان ليختار الموت. فبصق اليهود فى وجهه وضربته النساء بنعالهن. فرفع يسوع عينيه إلى السماء قائلا: "[21] **صرخ من فم الأسد، ومن قرون بقر الوحش استجب لي"**[1] و "[16] **من يقوم لي على المسيئين؟ من يقف لي ضد فاعلي الإثم؟"**[2] لأن النبى قال عنهم "[3] **يا رب، أليست عيناك على الحق ضربتهم فلم يتوجعوا. أفنيتهم وأبوا قبول التأديب. صلبوا وجوههم أكثر من الصخر. أبوا الرجوع"**[3] عندما سمعه أتباعه من المؤمنين به حزنوا وبكوا كثيرا وشدوا شعر رءوسهم ولحاهم. وحكمت الملكة بتسليم يسوع لليهود ليقتلوه لأنه أضل الشعب والعالم بكذبه بزعمه أنه المسيح وأنه ابن الله فاتبعه المجرمون والأشرار وقالت: "إن كانت لديه قوة إلهية فلينقذ نفسه من القتل". حينئذ عم الفرح فى إسرائيل بدلا من الحزن.

8) أخذ اليهود يسوع إلى طبرية أمام مدخل المعبد وأوثقوا قدميه ويديه وطرحوه أرضا وأوسعوه ضربا. وعندما رأى يسوع أنه لا يستطيع أن ينقذ نفسه قال للأحبار: " أليس مكتوبا فى التوراة ". [5] **إذا رأيت حمار مبغضك واقعا تحت**

---

[1] المزامير 22: 21

[2] المزامير 94: 16

[3] إرميا 5: 3

حمله وعلت عن حلاب أن تحل معه"[1] والآن أعطونى شيئا آكله وأشربه. فأعطوه كأسا مملوءا بالخل ليشرب. فيقول يسوع لتلاميذه: "الآن تحققت من الآية التى تقول"[21] ويجعلون في طعامي علقما، وفي عطشي يسقوني خلا"[2] بعدها وضع العامة على رأسه إكليلا من الشوك ليسخروا منه. فقال لتلاميذه: الآن تيقنت من الآية "[22] لتصر مائدتهم قدامهم فخا، وللآمنين شركا"[3] فيقوم الفجار ومن آمن به وينضموا إلى التلاميذ الثلاثمئة وعشرة ويحملون السلاح استعدادا لقتال اليهود. ودارت معركة حامية بينهم. فكان الأب يقتل ابنه والابن يقتل أباه وكانت الغلبة فى النهاية لبنى إسرائيل. فقال يسوع لتلاميذه: "لا تستفزوا الكافرين بى لأن أبى الذى فى السماء قد قضى بذلك وأنا يجب أن أحقق ما قاله النبى " [6] بذلت ظهري للضاربين وخدي للناتفين. وجهي لم أستر عن العار والبصق."[4] مع هذا فإنى أسامحهم وأعفو عنهم برحمتى لأن النبى قد تنبأ بكل ذلك وأنا أتقبل الآلام بحب. وأريد أن أحدثهم وأقول لهم إننى المقصود بالآية التى تقول: "[13] هوذا عبدي يعقل، يتعالى ويرتفع ويسامى جدا"[5] حتى نهاية النبوءة "[1] روح السيد الرب علي، لأن الرب مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأعصب منكسري القلب، لأنادي للمسبيين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق"[6] وإن

---

[1] الخروج 23: 5

[2] المزامير 69: 21

[3] المزامير 69: 22

[4] إشعياء 50: 6

[5] إشعياء 52: 13

[6] إشعياء 61: 1

كل ما تريدون فعله بى عرفته من أبى الذى فى السماء قبل مجيئى إلى العالم. كما قال لى أبى الذى فى السماء أن كل ما يفعلونه به من عذاب الموت لا تحاسبهم عليه، وأن كل ما ستفعلون بى كالذى تفعلون بحجر لا يشعر، كما أخبر النبى عنى " لاشمتي بي يا عدوتي، إذا سقطت أقوم. إذا جلست في الظلمة فالرب نور لي.[1] فيقبض اليهود على يسوع ويضعونه فى السجن. وعندما يسمع الفجار ذلك يتجمعون ويجهشون بالبكاء حتى سمع صوتهم من بعيد. ثم قاموا بعدها ورجموا اليهود بالحجارة وضربوهم بالسيوف والسهام وحدث اضطراب كبير بين اليهود وفروا من أمامهم وذهب الفجار إلى السجن وكسروا الأقفال وأطلقوا سراح يسوع وأخذوه مع تلاميذه إلى مدينة أنطاكية.

9) فماذا فعل يسوع؟ قال لتلاميذه: "انتظروا هنا لأن أبى يناديني وسوف أعود إليكم". فخدعهم لأنه رأى أنه لا يستطيع أن يأتى بالمعجزات مستعينا باسم الرب لأنه تنجس. فذهب إلى مصر ليتعلم السحر ، ومكث فيها أيامًا طويلة تعلم فيها السحر ثم عاد إلى أنطاكية على ظهر حماره فاستقبله تلاميذه بفرح شديد وركعوا وسجدوا له، وقال لهم :"هكذا أمرنى أبى الذى فى السماء وهكذا تنبأ بى النبى "[9] ابتهجي جدا يا ابنة صهيون، اهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك. هو عادل ومنصور وديع، وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان."[2] واستعد للذهاب إلى أورشليم فى وقت ذهاب إسرائيل إلى الحج وتجمع كثير من بنى إسرائيل للذهاب إلى أورشليم واختلط بهم كى لا يعرفوه. و أمر يسوع تلاميذه بأن يرتدوا جميعا لونا واحدا وأن يسيروا جماعة

[1] ميخا 7:8

[2] زكريا 9:9

إلى أورشليم كالحجيج. وحلف كل منهم له ألا يكشفوا أمره. ووعدهم بأن يأتى هناك بمعجزات وآيات كبرى. وكان من بين تلاميذه رجل يدعى بابا بن رصيصتا، وكان يعتبر كل أعمال يسوع هراء وخداعا وكذبا. ورافقه إلى أورشليم ليلة الفصح وعند وصوله ذهب بابا هذا إلى الأحبار وكشف لهم أعمال يسوع وخدعه. فطلب الأحبار منه أن يسلمهم يسوع ووعدوه بأن يرفعوا مكانته بينهم. فقال لهم: "هو الآن فى أورشليم وقد استحلف تلاميذه ألا يكشفوا أمره لأى إنسان. فقال بابا للأحبار إنه سيسجد ليسوع إشارة له كى يعرفوه. وهذا ما فعل. تجمع الأحبار فى أورشليم كما يتجمع الحجيج القادمون للاحتفال بعيد الفصح فى هدوء شديد، ونظروا فوجدوا الفجار جميعا يرتدون لونا واحدا ولا يتميزون عن بعضهم البعض لكنهم، فجأة، رأوا بابا يأتى ويسجد أمام يسوع. حينئذ انقض الأحبار عليه وقالوا: "أنت يسوع المحرض المخادع بقولك إنك المسيح ابن الله. فأين آياتك ومعجزاتك؟ فارتجف ووقف كالأصم الذى لا يسمع والأخرس الذى لا يتكلم. وعندما رأى الفجار ذلك سارعوا إلى قتال الأحبار وإنقاذه كما فعلوا أول مرة. لكنهم لم يستطيعوا لأن اليهود فى هذه المرة كانوا أكثر عددا كما هى العادة فى أيام الحج. وعندما رأى يسوع أنه لا يستطيع الفرار قال لتلاميذه: "قد قلت لكم إن ذلك سوف يحدث، والآن لماذا تقاتلوهم وقد كتب عنى " **لأننا من أجلك نمات اليوم كله. قد حسبنا مثل غنم للذبح**"[1] والتوراة تصرخ أمام الرب الذى فى السماء "... **وقتلوا أنبياءك بالسيف،...**"[2]. وبكى التلاميذ بكاء شديدا وقاموا بأعمال سحر لكنهم لم يستطيعوا تخليصه من أيدى اليهود.

[1] المزامير 44: 22

[2] الملوك الأول 19: 10

علم يسوع أنه سيموت رجما بالحجارة. وكان ذلك مساء السبت. قال الأحبار لنصلبه ونحقق ما قيل " [illegible] فأخذوه وشدوا وثاقه وأحضروه أولا إلى بيت الرجم ورجموه بالحجارة فمات. وفى المساء صلبوه على شجرة، لكن الشجرة لم تقبله (لأنها حلفت ألا تقبل جثمان يسوع). وهكذا كان مع بقية الشجر حيث تحطم تحته. وعندما رأى التلاميذ هذه الآية، أى عجز الشجر عن حمله، اشتد إيمانهم بيسوع وقالوا إن هذا دليل على مكانته وعلى أنه ابن الله. وكان من الأحبار رجل يدعى يهوذا بن برتوتا ويكنى بيهوذا البستانى وكان له بيت وحديقة؛ وفى الحديقة لوح خشبى كبير لكنه ليس شجرة. قطع يهوذا اللوح وصلبوا يسوع عليه وظل على الصليب حتى صلاة العصر. وكان الفتية والفتيات يلقون عليه التراب ويرمونه بالحجارة. وفى المساء أرسل اليهود من ينزله عن اللوح الخشبى عملا بالوصية "[illegible] ودفنوه خارج المدينة. وبكى الفجار وتلاميذه على قبره.

10) تشاور الفجار فى أمر رفع جثمان يسوع ودفنه فى مكان آخر ثم القول بأنه صعد إلى السماء كما وعدهم فى حياته. فإذا بيهوذا البستانى يمر من هناك ويسمع حديثهم. ولكى يحبط مخططهم حفر قبرا فى حديقته وخرج ليلا وأخرج جثمان يسوع من قبره ووضعه فى القبر الذى فى حديقته ورش الماء فوق القبر كى لا يعرفوا مكانه. وذهب الفجار لأخذ جثمانه وفتحوا القبر فلم يجدوه إذ نقله يهوذا البستانى منه. فقال الفجار: "الآن أيقنا أن يسوع ابن

[1] التثنية 5:13

[2] التثنية 21:23

الله وأنه المسيح وأنه صعد إلى أبيه فى السماء. والآن سننتقم من الأحبار". وذهبوا من فورهم إلى الملكة وقالوا: "مولاتى الملكة؛ هاهو ابن الله الذى جاء بالآيات والمعجزات وأحيا الموتى فى حياته، يثبت أيضا بموته أنه قام من قبره وصعد إلى السماء وحقت عليه الآية التى تقول "[15] **إِنما اللهُ يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني. سلاه"**[1] وقتله اليهود اعتقادا منهم بأنه نبى كذب.

والآن لتتفضل الملكة بطلبه من اليهود وإن لم يأتوا به أمامك حيا أو ميتا يعاقبون بالموت أو الغرامة وأن يقدم كل واحد منهم وزنه فضة". فأرسلت الملكة فى طلب الأحبار وقالت لهم: "ماذا صنعتم فى من ادعيتم أنه نبى كذب؟ فأجابوا بأنهم قتلوه رجما بالحجارة وصلبوه تنفيذا لأحكام الشريعة. فقالت لهم: "ماذا فعلتم به بعد أن صلبتموه؟ قالوا: دفناه. فقالت: إذهبوا إلى قبره وانظروا إن كان جثمانه به، فأتباعه يقولون إنه صعد إلى السماء وإن جثمانه ليس فى قبره". وأرسلت الملكة رجالا مخلصين مع الأحبار فى طلبه وجاءوا إلى قبره فلم يجدوه فعادوا إلى الملكة وقالوا "لم نجده". حينئذ صدقت الملكة كلام الفجار بأن يسوع ابن الله وأنه قام من قبره وصعد إلى السماء. وقالت الملكة للأحبار لكنكم أذنبتم بقتل ابن الله. فقالوا لها: أمهلينا خمسة أيام للبحث عنه، فأمهلتهم.

11) ساد فى ذلك الوقت الحزن الشديد فى بنى إسرائيل وفرح الفجار كثيرا. وعندما اقترب اليوم الخامس ولم يجدوا يسوع فر كثير منم تاركين المدينة خشية العقاب ومطاردة الفجار. كما ترك الحبر تنحوما المدينة وظل يتنقل من فوق أسطح البيوت باكيا قلقا على حياته. فإذا به يجد يهوذا البستانى يأكل من حديقته ويشرب فى جذل وفرح. فسأله الحبر تنحوما: "ألست

[1] المزامير 49: 15

يهوديا؟! لم لم تهرب وقد عم الحزن الجميع؟ فأجابه رابى يهوذا: "أنا لم أسمع بذلك. وما السبب؟ فقص عليه الحبر تنحوما ما حدث. وعندما سمع ذلك قال له إن جثمان يسوع مدفون فى حديقته وإنه أخرجه من قبره لأنه خشى أن يسرقه الفجار ويدفنوه فى مكان آخر ويقولون إنه صعد إلى السماء. فأسرع تنحوما إلى الشيوخ والأحبار وقال لهم: "أبشروا فقد وجدنا جثمان يسوع فى حديقة يهوذا". فهرع الجميع إلى بستان يهوذا البستانى وقالوا له: اعطنا جثمان يسوع. فقال لهم: "لن أعطيكم إياه لأننى سأبيعه بثلاثين قطعة فضة". فأعطوه الفضة وذهبوا إلى قبره وفتحوه وأخرجوه وربطوا قدميه بالحبال وجروه فى أسواق أورشليم حتى وصلوا إلى الملكة هيلانا وقال لها شيوخ إسرائيل: "هاهو ذا يسوع الذى زعم الفجار إنه صعد إلى السماء" وحكوا لها ما كان من أمره. ورأت الملكة أن الأحبار صدقوا عندما قالوا إنه نبى كذب ومحرض ومضل؛ فوبخت الفجار وأثنت على الأحبار. فطلب الأحبار بأن تسمح لهم الملكة بمحاكمة الفجار كما فعلوا بيسوع. فأذنت لهم الملكة بأن يفعلوا بهم ما يشاءون. فقتلوا منهم الكثيرين وفر البقية إلى الممالك الأخرى حيث شرعوا فى الدعوة لعقيدتهم.

القصة الثانية

1) عاش بنو إسرائيل أيلما عانوا فيها تحت وطأة الحكام الطغاة، كما أذاقهم الأمراء مرارة العيش، وذلك فى عصر حكم مملكة روما (المملكة الظالمة وكل أمرائها والعاملون فيها ظالمون) ليهوذا. وفى ذلك الصيف استغاث بنو إسرائيل بربهم ليخلصهم من هذه النوائب وقضوا كثيرا من أيامهم صائمين مصلين زاهدين فى كل مباهج الحياة وانصب اهتمامهم على الله أملا فى أن يخلصهم وأن يأتى المسيح وتمنوا كل يوم مجىء الملك الذى يخلصهم من كل شر إذ

تمت فى ذلك الوقت السبعين سنة التى قال بها دانيال: «[24] سبعون ، أسبوعا ، قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا، و لكفارة الإثم، ولتأتى بالبر الأبدي ، ولختم الرؤيا والنبوة، ولمسح قدوس القدوسين. [25] فاعلم وافهم، أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا، يعود ويبنى سوق وخليج في ضيق الأزمنة."[1] لذا كان من السهل على أى امرء أن يدعى أنه نبى وأنه المسيح. وظهر فى هذه الأيام رجل من إحدى بلدات الأردن يدعى يوحنا ويكنى بالمعمدان. كان يوحنا من الزاهدين فى مباهج الحياة؛ وكان يلبس وبر الجمال، وكان طعامه الجراد وعسل الغابات. كان يدعو إلى التوبة وتوجه إليه الناس من أورشليم ويهوذا فكان يعمدهم فى نهر الأردن ويعترفون له بذنوبهم. كان هناك فى ذلك الوقت فى الناصرة فى أرض الجليل رجل اسمه يوسف بنديرا وامرأته مريم. وكان القيصر أغسطس أمر بإحصاء سكان الأرض. فذهب سكان يهوذا والجليل إلى أورشليم ليتم إحصائهم فيها. سار يوسف وزوجته الحبلى من الناصرة وبلغا بيت لحم فى يهوذا. وهناك اكتملت شهور حملها فوضعت ابنها الأول فى مذود الإبل إذ لم يكن هناك مكان يسكنونه. سمى يوسف ابنه يسوع. وحدث بعد أيام عدة أن قام وأخذ زوجته وابنه وتركوا مدينة أبائه حتى بلغوا الإسكندرية فى مصر ومكثوا فيها فترة طويلة.

2) ويأتى يوم يرحل فيه يسوع عن الإسكندرية إلى أورشليم حيث المقدس وحجر الأنبياء الأوائل والذى كان يعرف باسم "السقاء". وعلى هذا الحجر نقش اسم الله الذى ان اطلع عليه أحد الناس وأدرك سره يستطيع أن يحيى الموتى وأن

[1] دانيال 9: 24-25

يفعل كل ما يحلو له. وعندما كان يسوع فى أورشليم نسخ الكلمات على ورقة وأتى بالكثير من المعجزات أمام الناظرين حتى جمع حوله كثيرا من عامة الشعب فى إسرائيل. وتكلم قائلا: "كيف يقول من يعرفنى إنى ابن يوسف بنديرا؟! الله أبى وأنا ابنه؛ وأمى لم تلدنى من علاقة مع رجل. وقال داود عنى: "[7] سإنني ،أخرج من جهة قـ ضاء الرب قال لي: « ،ـ أنت ابني، أنا ،اليوم ولدتك"[1].

فأجابه المؤمنون: "أرنا آية على أنك ابن الله وسنسجد ونشكر لك". فأمر بأن يأتوه برجل كسيح لم تطأ قدماه الأرض من قبل. ويقول: "ها أنتم ترون بأعينكم أن هذا الرجل كسيح وسأشفيه أمامكم". وأخذ يتمتم بكلمات بصوت خافت فإذا بالكسيح ينهض قائما على قدميه كسائر الناس. ثم أتوا إليه برجل أبرص من قدميه إلى رأسه ففعل له كما فعل بسابقه؛ فيبرئه من برصه. حينئذ قال له من تجمعوا حوله: "حقا أنت ابن الله" وخروا له ساجدين. ويطوف يسوع الجليل ويعظ فى دور العبادة ويشفى المرضى. فذاع صيته فى بلاد الشام وتوافد عليه المرضى والمعاقون فيشفيهم، فيتبعه الناس من الجليل ومن أورشليم ويهوذا وعبر الأردن وكان يتبعه كل يوم كثير من الناس (ممن يحبون حياة عدم الالتزام). سمع بنو إسرائيل بهذا فخافوا وأرسلوا إليه رجلا يتعقبونه ويعرفون مكنونه. وجاءه الرجال وسألوه قائلين: "بأمر من تفعل هذا كله؟ فيجيبهم: "بأمر أبى الذى فى السماء الذى أرسلنى". فيعود الرجال ليحكوا ما أخبر به. حينئذ خاف كبار أحبار إسرائيل وأخذتهم الرجفة لما سمعوا؛ إذ كان أتباعه يزدادون يوما بعد يوم واشتعلت نار الفتنة ولا تجد من يخمدها.

[1] المزامير 2: 7

3) سار **ذلك الرجل** وأتباعه فى الجليل الأعلى وازدادوا قوة. فأرسل أحبار إسرائيل يدعون أتباعه قائلين: "أسرعوا إلى يسوع وقولوا له: "سمعنا عنك من الرجال الذين أرسلنا إليك فى الجليل الأعلى. والآن تعال إلينا كى نبجلك". وعندما سمع يسوع هذا الكلام مثل أمام أحبار إسرائيل. وقبل أن يأتوا إليه طلب الأحبار من ربهم أن يكشف لهم أمر **ذلك الرجل**. فاستجاب لهم ربهم فعرفوا أن **ذلك الرجل** (يسوع) اطلع على الاسم (اسم الله) وبه يفعل ما يفعل. فاتفقوا على أن يسمحوا لأحد الأحبار أن يطلع على الاسم وأن يحارب **ذلك الرجل** وأتباعه. فاختاروا رجلا يدعى يهوذا وأمروه بأن يفعل ما يقولون له. وعلى الفور دخل يهوذا قدس الأقداس[1] واطلع على اسم الله. وجاء يسوع فى أتباعه وجاء الأحبار وأتباعهم. جلس الأحبار أمام يسوع وأتباعه. حينئذ بدأ **ذلك الرجل** حديثه قائلا للأحبار: لقد قال عنى موسى: "[15]« **يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي. له تسمعون**"[2] فيجيب الأحبار قائلين: "ليست هناك آيات ولا أى شىء لأننا سبق أن حذرنا من ذلك: "[3]**لا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم**"[3] فيبسط ذلك الرجل ذراعيه فيرتفع عن الأرض كالنسر وترى الناس ذلك فتعمهم الدهشة ويقول كل واحد لأخيه: "أليس هذا ابن يوسف الأصم من الناصرة الذى عرفناه؟!

---

[1] مصطلح «قدس الأقداس» تقابله في العبرية كلمة «دبير»، ويبدو أنها من أصل عبري بمعنى «تكلم»، أي أن الإله تكلم وأعطى المشورة والوحي. وهو أقدس الأماكن في هيكل أورشليم. وقدس الأقداس عبارة عن مكعب حجري مصمت (بدون نوافذ) أقيم على مستوى أعلى من الجزء المسمى بـ «الهيكل» في هيكل سليمان. وكان قدس الأقداس يضم تابوت العهد (تملما مثل قدس الأقداس في خيمة الاجتماع) والذي كان يزينه ملاكان يشبهان الملائكة التي تظهر في الرسوم البابلية، وربما كان لهما وجهان بشريان مثل تلك الرسوم.

[2] التثنية 18: 15

[3] التثنية 13: 3

أليست أمه مريم وأخوته يعقوب وشمعون ويهوذا وكل أخوته معنا؟! من أين له بكل هذا؟ فأشار الأحبار على الفور إلى يهوذا فانطلق خلفه وارتفع عنه وأمسكه وأسقطه أرضا فوقف **ذلك الرجل** (يسوع) ليردد الاسم ليحلق مرة أخرى ويسقط يهوذا على الأرض. وعاودا ذلك مرات ومرات ولم يتغلب أى منهما على الآخر. ثم يحلق يهوذا كما فعل أول مرة؛ فيتبعه **ذلك الرجل** فيبول يهوذا عليه ويسقط كلاهما على الأرض. فيمسك الأحبار **بذلك الرجل** من رأسه ويصيحون قائلين: " إن كنت ابن الله حقا فأرنا آياتك" ويحاول **ذلك الرجل** أن يأتى لهم بآيات فلا يستطيع.

4) فأخذوه على الفور ووضعوه فى سجن طبرية ويجتمع أتباعه أمام السجن ويحاولون بالخداع أن يطلقوا سراحه فلا يستطيعون. فخضعوا للأحبار وكذلك خضع **ذلك الرجل** قائلا: "ها أنا بين أيديكم، فافعلوا بى ما شئتم". ووقف هناك مقيدا يوما وليلة حتى منتصف الليل. وحدث هرج كبير بين تلاميذه وبدأوا يصيحون ضد الأحبار. وفى تلك الأثناء يفلح **ذلك الرجل** فى الهرب من السجن. وجاء أتباعه قبل عيد الفصح وكان عيد الفصح فى ذلك العام فى يوم السبت فيقول لتلاميذه: "تعالوا نصعد إلى أورشليم!" ويقومون جميعا للذهاب إلى أورشليم ويركب الحمار وعند وصولهم أمام بوابة المدينة تجمع حوله كثير من أتباعه وسجدوا له وقالوا: " مرحبا بك باسم الرب" فيقول لهم: "لقد تنبأ بى النبى "[9] **ابتهجي جدا يا ابنة صهيون، اهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك. هو عادل ومنصور وديع، وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان**"[1]. ويأمر يسوع أتباعه بأن يرتدوا جميعا ثيابا بيضاء متشابهة حتى لا يميزون بعضهم من بعضهم واستحلفهم جميعا

[1] زكريا 9:9

بالوصايا العشر بألا يكشفوا أمره. ففعلوا ما أمرهم به وارتدوا ثايبا بيضاء من أقدامهم حتى رءوسهم. لبسوا هذه الملابس فوق ملابسهم وجاءوا إلى المدينة وسار يسوع إلى بيت شمعون الأبرص فى بيت هينى خارج المدينة ليبيت عنده. وفى اليوم التالى دخل مع أتباعه وسط القادمين إلى أورشليم للاحتفال بعيد الفصح. وعندما رآهم الأحبار أدركوا أنهم أتباع يسوع وأنه لابد أن يكون فيهم. فخرجوا إلى أبواب الهيكل كى لا يهرب منهم وحتى يتعرفوا عليه ويقبضون عليه حيا. وبحثوا عنه لكنهم لم يعرفوه. وكان من بين رجال يسوع رجل اسمه يهوذا الإسخريوطى، لم تكن عقيدته راسخة وكان يرغب فى أن يسلمه إلى الحراس ليقبضوا عليه ليرى كيف تكون نهايته. جاء الرجل سرا إلى أحد الحراس وقال له: "أنا من أتباع يسوع وهو بيننا وأريد أن أسلمه لكم لكن كى لا أخون العهد الذى عاهدته به سأفعل الآتى: عندما أمر أمام يسوع سوف أطأطئ رأسى أمامه كما لو كان احتراما له؛ فيكون ذلك الرجل هو يسوع فافعلوا به ما شئتم، وأكون أنا بريئا أمام الله وأمام إسرائيل"!. وفعل يهوذا ما قال. فمر أمام **ذلك الرجل** وطأطأ رأسه فلاحظ الحارس ذلك وأعطى الإشارة للأحبار فأتوا فجأة وأمسكوا به قائلين: "أأنت مفسد بنى إسرائيل؟ أرنا آياتك ومعجزاتك وكيف ستنجو من أيدينا؟" فخاف **ذلك الرجل** من الأحبار وأراد تلاميذه أن يخلصوه ولكنهم لم يستطيعوا. علم **ذلك الرجل** أن الأحبار ينوون قتله فقال: قال عنى داود: "[22] **لأنا من أجلك مات اليوم كله. قد حسبنا مثل غنم للذبح."**[1] وقيل عنكم "[10] **فقال: « قد غرت غيرة للرب إله الجنود، لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك، وقضوا مذابحك، وقتلوا أنبياءك بالسيف، فبقيت أنا وحدي، وهم يطلبون**

[1] المزامير 44: 22

ضي ليأخذوها»"[1] لكنهم لم يريدوا قتله وأمروا بتقديمه للمحاكمة وفكروا فى الحكم عليه بالرجم لما ورد فى التوراة: "[10] **ترجمه بالحجارة حتى يموت،**
لأنه التمس أ ن يطو حك عن الربإلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية."[2] وأن يعلقوه بعدها على شجرة وفقا لما ورد فى المشنا "**كل مرجوم يعلق**"[3] ونادى المنادى فى أورشليم وخارجها بأن "يسوع بن يوسف بنديرا الناصرى سيرجم لتضليله إسرائيل وسيعلق بعدها على شجرة". ولم يكن الموت بالنسبة **لذلك الرجل** أمرا مهما مثلما كان لدى تلاميذه الذين يشاهدون مسيحهم يرجم. فيقول بصوت مسموع: "سأسعد لأنى سأجد قبرا؛ حينئذ سيظهر ملكوتى للعالم كله. وهذه آية لكم؛ فبعد ثلاثين يوما من دفنى تأتون إلى قبرى ولن تجدونى لأنى سأصعد لأجلس على يمين أبى الذى فى السماء". ويأمر الأحبار بربطه إلى عامود ويظل كذلك حتى اليوم التالى لإنهاء محاكمته. ويجتمع كثير من أتباعه وينقضون على حاكم السجن ويطلقون سراحه ويهربون به ولا يطاردهم أحد. فيسرع **ذلك الرجل** قائلا: "أنزلونى إلى البئ ر لأطهنفسى مما حدث بالأمس. فينزل ويغطس ويأمرهم جميعا بالنزول والغطس مع توخى الحذر من أن يكون الأحبار فى أثره. فيفعلون ما أمرهم. وعندما غطس بدأ "اسم الرب" فى العمل كما كان فى السابق. فقال لأتباعه: "أنظروا الآية التى سآتى بها أمامكم ولينظر مبغضى وليخجلوا لأن الرب مد لى يدا". وأمر بأن يأتوه بحجر وألقاه إلى جوار نهر الأردن. وكان هذا الحجر ثقيلا يحمله ثلاثة رجال. وجلسوا جميعا على الحجر، وكانوا حوالى خمسة

---

[1] الملوك الأول 10:19

[2] التثنية 10:13

[3] المشنا، سنهدرين 4:6

آلاف بالإضافة إلى النساء والأطفال. فيسير الحجر على سطح الماء. ويأخذ خمسة أرغفة من الخبز ويعطيها لتلاميذه فيقدمها التلاميذ إلى الشعب ويأكلون جميعا ويشبعون ويملأون من الفتات المتبقى اثنتا عشرة سلة. كما همس إلى البحر فإذا بثياب جميلة تخرج منه . فعندما خرج من الماء كان يستطيع أن يفعل ما يريد مستعينا بـ "اسم الرب". ودعا تلاميذه وأعطاهم السلطة على الأرواح النجسة لطردها ومداواة المرضى. وعندما سمع الأحبار أن قوته عادت إليه ندموا على تلكؤهم فى محاكمته وتشاوروا فيما بينهم فى وسيلة يقبضون بها عليه ثانية. وأرسل الأحبار إلى يهوذا الإسخريوطى قائلين: "لك ما شئت إن سلمته لنا" فيقول يهوذا: "سأفعل ما تريدون". ويعطيه الأحبار ثلاثين قطعة فضة. ثم ذهب الأحبار إلى المكان الذى يسكن فيه يسوع وأتباعه عبر نهر قدرون. وعند وصولهم يمسك به يهوذا من عنقه ويصيح قائلا هاهو مسيح الله إياه نعبد لأنه أبونا وملكنا، ويحتضنه ويقبله. وعندما سمع خادمو الكهنة والأحبار الذين وقفوا هناك بالمشاعل والسلاح صاح يهوذا قائلا إنه هو فانقضوا عليه بكامل قوتهم وقيدوا يديه وساقيه وأتوا به إلى أورشليم هو وأتباعه جميعا. وسأله الكاهن الأكبر: "هل أنت المسيح؟" فأجاب "أنا هو. وستجدونى أجلس إلى يمين الله القهار قادما مع سحاب المجد!" فيحبسوه ويرسلوه إلى الحاكم بيلاطس. وسأله الحاكم: "أأنت ملك اليهود؟" وكان ذلك بعد أن أخبر الأحبار بيلاطس بكل أعماله، ولم يحر يسوع جوابا. وعندما علم بيلاطس أنه من الجليل التابعة لحكم هيرودس أرسله إلى هيرودوس الذى كان فى أورشليم فى ذلك اليوم. فيوبخه هيرودوس ويحقره ويلبسه ثوبا كلباس الملك ويعيده إلى بيلاطس. ويأخذه جنود بيلاطس إلى المحكمة ويجردونه من ثيابه ويلبسونه لباسا أرجوانيا ويصنعون إكليلا من الشوك ويضعونه على رأسه ويخرون له ساجدين قائلين: "سلام لك يا

ملك اليهود". ثم يبصقون عليه ويأخذون عصا ويضربونه بها على رأسه. ويسخرون منه ويجردونه من ثيابه الأولى ويجرونه كى يصلب ويكتبون تهمته ويضعونها فوق رأسه باللغات اليونانية والرومية والعبرية: "هذا يسوع ملك اليهود". وظلوا أربعين يوما يرددون "يسوع الناصرى سيرجم لأنه أضل إسرائيل. وكل من عرف له فضيلة فليأت ليعرف حقيقته". ... وكان ذلك عشية عيد الفصح. ثم أخذوه إلى بيت الرجم ورجموه بالحجارة فمات. وفى الساعة الثالثة بعد الظهر صلبوه على شجرة؛ وعند الغروب أنزلوه ودفنوه خارج المدينة. حين تذكر الأحبار كل ما قاله **ذلك الرجل** فى حياته، من أنه سيقوم من قبره بعد ثلاثة أيام ويصعد إلى السماء ويجلس عن يمين أبيه، قالوا: ربما أخرجه تلاميذه من قبره كى تصدق أقواله التى قالها فى حياته". فأسرع أحدهم وذهب مع الذاهبين إلى قبره وتصنع البكاء والنحيب طوال الليل. وفى الصباح، وبعد انصراف أتباعه، يتظاهر بأنه ذاهب معهم ثم يعود إلى القبر ويخرج جثمانه ويأخذه إلى بستانه ويدفنه فيه. ولم يكشف ذلك لأحد حتى لزوجته وأولاده. وذهب تلاميذ **ذلك الرجل** إلى القبر فوجدوه مفتوحا والميت غير موجود فيه ففرحوا فرحا كبيرا وقالوا: "ها هى أقوال مسيحنا واضحة وحقيقية لأنه صعد إلى السماء ليجلس عن يمين أبيه كما قال. وسيكون الخزى من نصيب الأحبار الآن وستشحب وجوههم وتأكدنا الآن أنه مسيح الله". ويجتمعون ويذهبون إلى بيلاطس قائلين: "اتضح الآن أن الأحبار كذبوا فى شأن مسيح الله، فأرسل معنا، فقد قال أنه سيصعد إلى السماء فى اليوم الثالث للجلوس إلى يمين أبيه، وهذا ما حدث، فقد صعد وقبره مفتوح". أرسل بيلاطس إلى الأحبار والسنهدرين فحضروا أمامه وقال لهم: "أجيبونى، إن نبيكم الذى قتلت بناء على طلبكم قال إنه سيصعد إلى السماء، وهكذا فعل". فأجابه أحد الأحبار: "كذب لأن جثمانه فى بستانى".

فقال له بيلاطس: «ائتنى به». فدخل الأحبار على الفور إلى بستانه وأخرجوا جثمان يسوع وعادوا به إلى بيلاطس. فقال لأتباع يسوع: "ها هو قد عاد مسيحكم من السماء وهو ملقى أمامكم فانظروا إليه ربما كان نائما وسيستيقظ". ففر أتباعه عندما رأوه واختبأوا فى الكهوف وأخذوا يتنقلون من مدينة إلى أخرى وواجهوا كثير من المتاعب فى كل مكان حلوا به.

القصة الثالثة

(...وعاشت فى أورشليم) فتاة عذراء غير متزوجة اسمها مريم. وكان للعذراء مريم أموال وثروة كبيرة. وكان جارها شابا اسمه يوسف بندراى؛ وكان بيته أمام بيت مريم. كان ليوسف ثروة كبيرة وعمل كثير؛ وكان من عائلة وضيعة. يتعلق الفتى يوسف بمريم ويهيم بها حبا. وكان يمر يوميا ببيت العذراء ليشغل قلب الفتاة كى يتزوجها ولم تكن الفتاة تعيره انتباها لأن قلبها لم يكن مشغولا به وكانت راغبة عن الزواج منه ... وكان فى ذلك الوقت فى أورشليم فتى من أثرياء اليهود اسمه يوحنا ... وكان من نسل بيت داود. فزوجت الملكة هيلانا قريبتها مريم من الفتى يوحنا. فخطب الفتى يوحنا العذراء مريم وتزوجها وفقا لشريعة موسى وبنى إسرائيل. وعندما رأى يوسف الشرير أنه لم يتزوج مريم وأنها تزوجت من شخص آخر اشتعلت نار الشوق فى صدره ومرض من فرط حبه مريم العذراء. وترى أم يوسف المرض يشتد بابنها وأنه شارف على الموت. فتدعو أقرباءه ومحبيه لينصحوه وينقذوه من مر هذا الموت. ويتشاورون جميعا ويجمعون على أمر واحد: "سيعيش إبنك إن فعلت ما نشير به عليك. أقيمى حفلا للشراب فى بيتك وادع كافة أفراد عائلتك إلى شراب تعدينه كما تدعين العذراء مريم ونقول أمام الحاضرين

إنها جارتك. وبعد أن تأكل وتشرب يمسك بها ابنك ويفعل بها ما يشاء. أليس ذلك بالأمر الهين! وبه تحيا نفسه من جديد".

يستحسن يوسف وأمه الأمر ويفعلون ما أشير عليهم به ... فينهضون للضحك والرقص مع مريم ويأتى إليها الشيطان يوسف ليرقص معها والناس كلهم وقوف رجالا ونساء، كبارا وصغارا، ويغادرون جميعا البيت ولا يبق من أحدٍ سوى الشرير يوسف ومريم العذراء كى ينجسها. وتتلفت مريم حولها فلا تجد أحدا ينقذها من بين يديه. فأمسكها من ثيابها وهم بأن يأخذها إلى الغرفة ليعتدى عليها ويشبع شهوته. فتصرخ وتترك ثيابها عنده وتلوذ بالفرار ... وعندما أدرك أن ما قام به وما فكر فيه محتقر فى إسرائيل مرض مرضا شديدا ... وقالت له أمه: "لماذا شحب وجهك هكذا؟ والآن اصنع يا بنى وستشفى من مرارة الموت. خذ هذا المال فى يدك واذهب إلى يوحنا واجلس معه شهرا أو بضعة أيام وادرس معه كل ما يدرس. عهدى بك أن قلبك كبير. ويتعلم يوحنا ويصادقك وتصادقه دون أن تلتفت يمينا أو يسارا. وفى كل شهر وفى كل سبت يزور يوحنا بيت خطيبته ليقبل يديها ويباركها بتحية السبت. اذهب معه إلى بيت مريم حتى تسنح لك الفرصة يوما فتشبع رغبتك منها، ويستحسن يوسف الشرير ذلك ....

(بعد أيام طويلة) يأتى يوسف إلى بيت يوحنا ليدعوه إليه إلى داره لعشاء أعده لأصدقائه فى ذلك السبت. وذهب يوحنا مع صديقه يوسف للعشاء الذى أعده يوسف ... فيأكلان ويشربان حتى منتصف الليل وأمامهم خمر كثير. ويشرب يوحنا كثيرا من الخمر فيسكر وينام فى بيت يوسف ولا يدرى بنفسه. وكانت ليلة ممطرة وأخذت أصوات الرعد والريح تدوى فيها طوال الليل.

دخل يوسف من نافذة بيت مريم إلى الغرفة التى تنام فيها وحدها وتظاهر بأنه يوحنا خطيبها وطرق الباب قائلا: ... "افتحى لى يا زوجتى؛ فقد ابتل رأسى بالمطر وأخشى أن أصاب بالرعد والبرق فأموت. أنا من بيت يوسف وكنت ذاهبا إلى دارى فأعاقنى المطر فأتيت إلى دارك لأستريح حتى يطلع الصبح. ربما توقف المطر فأعود إلى دارى". فنزلت مريم إليه وفتحت له نافذة الغرفة وقالت له: "فلتبت هنا الليلة". وبهذه الخدعة دخل يوسف إلى بيت مريم وهى لا تدرى بخديعته واعتقدت أنه يوحنا خطيبها. وفى ظلمة الليل يسرق يوسف قلب مريم دون أن يخبرها أنه يوسف ويقف فى زاوية الغرفة ووجهه إلى الحائط كما لو كان يصلى ولا يتوقف عن الكلام معها. وفى أثناء ذلك ينقض على مضجعها فجأة ويحتضنها ويقبلها. وتخاف مريم وتقول: "أنظر ما فعلت أمام الله وتوراته . باشرت إمرأة حائضا كما لو كان ذلك أمرا هينا". فيقول: "زوجتى حبيبتى؛ هل تعتقدين أنى قصدت أن أستهزئ بوصايا الرب كبيرة كانت أم صغيرة! لتعلمى أنه اليوم قد سنت شريعة جديدة فى بيت هامدراش تقول بأن "الخطيب مسموح له خطيبته حتى فى أيام الحيض". فتصدقه ... لأنها تثق فى خطيبها يوحنا وأنه لن يخطئ ولن يغضب الرب. ويأتيها وينام معها فى فراشها طول الليل .... وعند الفجر قال لها "سأعود إلى بيتى" فتقول "إذهب فى سلام كى لا يعلم أحد أنه جاء إلى أحد ليلا. يعود يوسف إلى بيته سعيدا بعد أن أشبع رغبته منها ونفذ مكيدته. ويوقظ يوحنا من نومه ويذهب يوحنا إلى بيته ولا يعلم من صديقه يوسف شيئا مما فعل بخطيبته....

اتضح بعد ثلاثة أشهر أن مريم حملت وكبرت بطنها ويتحدث الشعب عن يوحنا ومريم قائلين: "لقد غش يوحنا خطيبته وها هى حبلى». وأصبح يوحنا

ومريم حديث الناس. وعندما سمع يوحنا أن الناس تتحدث عنه بسوء جاء إلى معلمه الحبر شمعون بن شطاح باكيا متوسلا (والمعلم الذى علم بفعلة يوسف ينصح يوحنا بترك البلاد). وهرب يوحنا وذهب إلى بابل ولما رأى يوسف الآثم أن مؤامرته نجحت وأن يوحنا هرب رغما عنه من البلاد قال فى نفسه: "حان وقت الغناء؛ فيوحنا غير موجود والآن وقت إشباع الرغبات والاستمتاع بمحبوبتى مريم". فجاءها وفتحت له قائلة: "يوحنا غير موجود فى البيت فتعالى إلى وأشبع كل رغباتك" ومنذ ذلك الوقت سلمت له نفسها ولكل من رغب فيها مثلها مثل الزوانى فى كل زمان ومكان.

وأتمت شهور حملها التسعة فذهبت إلى بيت لحم وجلست فى المذود وولدت ولدا. وجاءت بهذه الحشرة بعد ثمانية أيام أمام الأحبار كى يختنوه وقالت إنها ولدت ولدا دون أن تضاجع رجلا لكنهم لم يصدقوها ولم يستمعوا إلى أكاذيبها. وختنوه وسموه يسوع كى يكون اسمه غريبا بين الناس ويتتبعوا أعماله ويعرفوا من أين جاء ويعلم الجميع أنه ابن زنا وأن اسم "يسوع" اختصار الكلمة العبرية "ليمحى اسمه وذكره יימח שמו וזכרו"، وكبرت هذه الحشرة.

وحدث أن كبر الفتى يسوع وأخذته أمه مريم (ليمحى اسمها יימח שמה) إلى بيت مدراش الحبر يهوشواع بن براحيا وقالت له: "هذا ابنى الذى ولدته من يوحنا الذى كان خطيبى وضاجعنى ونحن ما زلنا مخطوبين". فيصدقها الحبر يهوشواع ويجلسه أمامه. وكان الصبى يفوق سائر التلاميذ فى حكمته حتى أصبح مع الأيام تلمينا نجيبا فى كثير من أمور الشريعة؛ وأحبه الجميع وكذلك معلمه ...

وحدث ذات يوم أن كان معلم يسوع واقفا يصلى من أجل شعبه فجاء الشرير (يسوع) ووقف وراء معلمه وصاح كالحمار قائلا: "ليتهم يتخذونى إلها". وينظر معلمه وراءه فيجد الشرير (يسوع) واقفا فيقول له: "أيها الشرير كيف ترفع عينيك وقلبك كالإله؟ لن تموت إذن كسائر البشر؛ بل ستسقط كما يسقط الأشرارولن تقوم لك قائمة ولك سوء الخاتمة وبئس المصير".

الحبر يهودا اللاوى

قبل عام 1075-1141

شاعر وفيلسوف

هو ابن الحبر يهودا اللاوى فى الأندلس، وكان على ما نعلم من أسرة ثرية ومثقفة. حظى فى طفولته بتعليم شامل عبرى وعربى معا. وعندما شب تنقل من مدينة إلى أخرى حتى أننا لا نعلم ترتيب رحلاته التى قام بها بين كثير من الطوائف فى أنحاء ألأندلس. ومن المعروف أنه كان يستقبل هناك بكل احترام وتقدير. بل إنه كان على اتصال بالطوائف اليهودية فى شمال أفريقيا ومصر وفرنسا واشتغل بالطب والتجارة إلى جانب اشتغاله بالشعر وأمور الناس.

قرر الحبر يهودا اللاوى فى أواخر أيامه أن يرحل عن الأندلس ويهاجر إلى أرض فلسطين التى كان دائم الشوق إليها. وواجه كثيرا من المصاعب لتحقيق هذا الهدف، نظرا لأن أرض فلسطين كانت تخضع فى ذلك الوقت للحكم الصليبى. كان الطريق طويلا ومعقدا وكان الخطر يحدق بالمسافرين بحرا. وفى عام 1140 استقل الحبر يهودا اللاوى سفينة ووصل إلى الإسكندرية فى مصر واتجه منها إلى أرض فلسطين. ويبدو أن المنية وافته عند دخوله إلى أرض فلسطين. تقول الروايات الشعبية إن الحبر يهودا اللاوى دهسه فارس عربى عندما كان يقبل أرض فلسطين أى أنه قد قارب الأرض التى كان يحن إليها.

تتسم أشعار يهودا اللاوى بالرقى؛ وتعتبر من أرقى الأشعار العبرية على مر العصور. فهو يتطرق فى شعره إلى كافة الموضوعات المعروفة فى الشعر

الأندلسى فى ذلك الوقت، سواء فى الأشعار الدينية أو الدنيوية. ولكن ينبغى الإشارة إلى أشعار يهودا اللاوى فى صهيون والتى تعبر عن الرغبة فى الخلاص والحب الكبير لأرض فلسطين. ومن أشهر هذه الأشعار قصيدة تبدأ بالمصراع التالى: "ألا تسألى يا صهيون عن حال أسراكِ".

أما كتاب يهودا اللاوى الفكرى "**الحجة والدليل فى نصرة الدين الذليل- (الخوزرى)**" فهو كتاب لاهوتى تبريرى كتبه بالعربية. ويتحدث الإطار القصصى الخيالى لهذا الكتاب عن ملك الخزر – والمعلومات المتوفرة من الأدب عن تهود هذه المملكة قليلة- ومحاولة توضيح مبادئ الديانة اليهودية له.

تحكى القصة أن ملك الخزر كان يبحث عن طريقة للتقرب إلى الله. فدعا إلى قصره فيلسوفا وبعض حكماء الأديان المختلفة المسيحية واليهودية والإسلام. ويرتكز الكتاب على حوار بين الحبر اليهودى والملك حول الديانة اليهودية وعقائدها. ومن الموضوعات الأخرى مناقشة مختصرة حول يسوع الناصرى والمسيحية فى جوهرها. يؤرخ يهودا اللاوى ليسوع – فى فترة مابعد التلمود البابلى- فى عصر يهوشواع بن براحيا ويذكر فى عجالة "يسوع وأصدقاءه" كأحد الطوائف الموجودة فى شعب إسرائيل وفى نهاية أيام الهيكل الثانى، إلى جانب الصدوقيين[1] والبيتوسيين[1] ويفرد الحبر يهودا اللاوى

[1] «الصدوقيون» مأخوذة من الكلمة العبرية «صدوقيم» ، وقال لهم أحيانا «البويثيون Boethusian». وأصل الكلمة غير معروف على وجه الدقة. ومن المحتمل أن يكون أصل الكلمة اسم الكاهن الأعظم «صادوق» (في عهد سليمان) الذي توارث أحفاده مهمته حتى عام 162 ميلادية. و«الصدوقيون» فرقة دينية وحزب سياسي تعود أصوله إلى قرون عدة سابقة على ظهور المسيح عليه السلام. وهم أعضاء القيادة الكهنوتية المرتبطة بالهيكل وشعائره والمدافعون عن الحلولية اليهودية الوثنية.

مساحة كبيرة نسبيا للمسيحية، وذلك من خلال وصف أحد حكماء المسيحية لها أمام ملك الخزر.

نعرض فيما يلى لمقتطفات قصيرة من الكتاب تضم أقوال هذا الحكيم المسيحى أمام ملك الخزر. يورد الحكيم تاريخ المسيحية بإيجاز ويشير إلى يسوع والإيمان بإلوهيته وتجسد الإله فيه كأحد أهم مبادئ المسيحية. ويرد الملك على هذه الأقوال بأن هذا كلام لا يقبله المنطق "وأنه لا يمكن أن يقبل التناقض الواضح بينه وبين المنطق البسيط". ويبدو أن هذا هو موقف الحبر يهودا اللاوى من الديانة المسيحية؛ فهو يعرف بعض عقائدها كعقيدة التليث أو تمجيد المسيح والصليب الذى صلب عليه، ويعتقد أنه ليس فيها أى منطق ويجب رفضها تماما.

لم يقتنع ملك الخزر بأقوال الفيلسوف وقال فى نفسه: «فلأسأل المسيحيين والمسلمين فقد أجد فى إحدى هاتين الديانتين ضالتى. أما اليهود فيكفينى ما يراه الجميع من حالتهم المزرية وقلة عددهم وكراهية الجميع لهم (لذا فلا حاجة لمحاورتهم حول عقيدتهم، حيث أن وضعهم العام يشهد بأن لا فائدة ترجى منها)».

فدعا أحد حكماء المسيحيين وسأله عن شريعته وعن عمله فأجابه قائلا: أنا أؤمن بأن الجميع قد خلق وأن الخالق تبارك اسمه هو الأول الذى خلق العالم كله فى ستة أيام. كما أؤمن أن الناس جميعا من نسل آدم؛ وأؤمن بأن الله رقيب على المخلوقات كافة، ويتحد مع الإنسان لأنه يغضب ويرحم

[1] فرقة يهودية سميت على اسم مؤسسها **بيتوس** ظهرت فى عهد الهيكل الثانى عارضت عددا من مبادئ العقيدة اليهودية كالثواب والعقاب والبعث والنشور.

وأنه يتحدث إلى الأنبياء بتجليه لهم ورؤيتهم له وأنه شرف لمن يختارهم. مجمل القول إنى أؤمن بكل ما قيل عن هؤلاء فى التوراة وسفرى أخبار الأيام لبنى إسرائيل؛ وهى آيات لا يمكن الكفر بها لأنها مشهورة وموجودة منذ زمن طويل.

غير أنه فى نهاية تاريخهم فى الجيل الأخير لبنى إسرائيل تجسدت الألوهية فى صورة جنين فى جسد عذراء من أسرة عريقة من بنى إسرائيل وولدته بشرا فى الظاهر وإلها فى الباطن نبيا مرسلا وإلها يرسل الأنبياء سرا وهو المسيح الذى نسميه ابن الله وهو الأب والابن وروح القدس؛ ونحن نوحد الله فى الحقيقة وإن كان كلامنا عن ثلاثة. كما نؤمن بأن هذا المسيح جار شرف فى بنى إسرائيل لأنه تمسك بهم حتى مولده. ولكن بعد ما قاموا به مع المسيح وصلبهم إياه بدأ الغضب الإلهى يحل بهم والرضا الإلهى على من اتبع المسيح وعلى الأمم التى اتبعت رسله. ونحن المسيحيون من تلك الأمم وإن كنا لسنا من نسل بنى إسرائيل فإننا أحق بلقب بنى إسرائيل منهم لأننا اتبعنا المسيح ورسله من بنى إسرائيل وكانوا اثنى عشر كى يحلوا محل الأسباط الاثنى عشر. كما اتبع كثير من بنى إسرائيل الرسل الاثنى عشر وكانوا نصف أبناء الطائفة المسيحية والذين يستحقون مكانة بنى إسرائيل، وكتب لنا النصر وانتشرنا فى كل البلاد ودعيت كل الأمم إلى هذا الدين وإلى العمل بوصاياه: "تمجيد المسيح والصليب الذى صلب عليه".

الحبر[1] موسى بن ميمون (رامبام)

1204-1138

قاض وفيلسوف ومفسر

كان موسى بن ميمون على ما يبدو أشهر شخصية يهودية فى العصور الوسطى؛ فكان زعيم الطوائف اليهودية المصرية وما حولها. انتقل فى شبابه مع أسرته فى الأندلس إلى أرض فلسطين ومنها إلى مصر فى عام 1166 حيث استقر بها. أصبح مع الوقت من المقربين من بلاط صلاح الدين الذى جعل له راتبا سنويا بوصفه طبيب بلاط السلطان. شغل منذ السنوات الأولى له فى مصر مكانة كبيرة فى قيادة الطائفة اليهودية فيها. وبلغ هذه المكانة الكبيرة بشخصيته وعلمه الغزير بين طوائف اليهود من أشكنازوحتى اليمن.

تعتبر كتب رامبام وكتاباته مرجعا أساسيا فى مجالات الشريعة والفلسفة اليهودية ومن أشهرها المقدمة التى دون فى تفسيره فصول الآباء فى التلمود (والمعروفة باسم الفصول الثمانية) وردوده الكثيرة على قضايا شرعية سئل فيها، أو رسائله المشهورة، ومنها "رسالة اليمن". أرسل رامبام هذه الرسالة إلى الطائفة اليهودية فى اليمن فى عام 1173 بعد سؤال طرحه عليه أحد أحبار اليمن أراد به معرفة كيفية التعامل مع شخص ادعى أن المسيح موجود فى اليمن وأنه سيظهر قريبا. كما وضع رامبام كثيرا من المؤلفات الطبية التى

[1] «رابى» بالعبرية (ترد في صيغة الجمع إلا أنها تدل على المفرد وذلك للتعظيم) معناها الحرفي «سيدي»، أو «أستاذي»، وهي من كلمة «راف» العبرية ومن الجذر السامي «رب» بمعنى «سيد».

أظهرت موقفه من أسلوب الحياة الذى يجب اتباعه من أجل الشفاء. وينبغى الإشارة إلى مؤلفيه الشهيرين "دلالة الحائرين" المكتوب باللغة العربية وهو كتاب فى الفكر الدينى اليهودى، وكتاب "مشنا التوراة משנה תורה" (أو اليد القوية יד חזקה) وهو كتاب تشريعى يشمل كافة مناحى الحياة اليهودية؛ وهو باللغة العبرية ويعرض لأحكام ووصايا الشريعة الشفهية بترتيب منطقى وأسلوب واضح.

وكرجل شرقى عاش فى حمى الإسلام لم يكن ليسوع والمسيحية فى كتابات رامبام نصيب كبير. مع هذا فإنه يتطرق فى كتابه "مشنا التوراة" وفى "رسالة اليمن" إلى كل من يسوع ومحمد بإيجاز، ويرفض «مزاعم» المسيحيين والمسلمين بأن المسيح ظهر. وتكشف رؤية رامبام لكل من يسوع ومحمد فى "مشنا التوراة" عن اتجاه مهم (ربما كان أساسه عن سلفه يهوذا اللاوى)، حيث يرى موسى بن ميمون أن المسيحية والاسلام – على الرغم من «عيوبهما» ونظرتهما السلبية لبنى إسرائيل- لعبا دورا مهما فى اقتراب الناس عموما من الإيمان بإله إسرائيل. أما عن يسوع فيقول إنه نبى كذب، ومع هذا فإنه يعترف له بدور كبير كمرحلة فى نشر الدين الحق. أما فى "رسالة اليمن" فيشير رامبام إلى أصل يسوع بشكل أكثر عدائية، وكذلك مسألة أنه المسيح ونهايته؛ بل إنه يكاد يعترف بأن للأحبار يدا فى موت يسوع. ومع ذلك فإنه يقول إن المسيحية بنت شريعتها على أساس واهٍ وإن يسوع نفسه لم يكن شريكا فيما أخبر به تلاميذه على لسانه.

ويجب الإشارة إلى أن أقوال رامبام عن كل من يسوع ومحمد حذفت من الطبعات العادية لكتاب "مشنا التوراة" نتيجة للرقابة الأجنبية التى لا

تستحسن هذا الكلام. ولا عجب أن كان من بين بنى إسرائيل من آثر حذف تلك العبارات لجرأتها.

مشنا التوراة[1]

إذا وقف ملك من بيت داود يحكم بالتوراة ويهتم بالوصاياكداود أبيه ... ويجبر إسرائيل جميعا على إتباعها (التوراة) ويخوض حروب الله – فهو المسيح ولا شك. وإذا نجح فى بناء الهيكل فى مكانه (الصحيح) وجمع شتات إسرائيل- فإنه المسيح لا ريب ... وإذا كان لم ينجح حتى الآن أو قتل فمن المؤكد أنه ليس من أخبرت به التوراة (وأنه ليس المسيح) وأنه كسائر ملوك بيت داود ممن ماتوا من قبل ... وحتى يسوع الناصرى الذى توهم أنه المسيح وقتل فى المحاكمة تنبأ به دانيال حين قال " **وبنو العتاة من شعبك يقومون لإثبات الرؤيا ويعثرون.**"[2] وفى ذلك فشل كبير، فقد أشار الأنبياء كافة إلى أن المسيح هو إسرائيل هو الذى سيجمع شتاتهم ويدعم وصاياهم. وكان هذا (أى يسوع) سببا فى تشتيت بنى إسرائيل وإذلالهم واستبدال الشريعة وإضلال معظم العالم ليعبدوا إلها غير الله .... فكل كلمات يسوع الناصرى والإسماعيلى الذى جاء من بعده (محمد) ليست إلا تمهيدا لظهور الملك المسيح وجعل العالم كله يعبد الله ... كيف؟ سمع العالم كله (بعد أعمال المسيح ومحمد) بأقوال المسيح والتوارة ووصلت الكلمة إلى الجزر البعيدة وإلى الشعوب الكثيرة الضالة وهم يناقشون هذه التوراة وتلك الوصايا وهم

[1] هذه النصوص من كتاب: "مشنا التوراة"، رامبام، مؤسسة الحبر كوك، القدس، 1962 (وفقا لمخطوطة يمنية موجودة لدى الحبر يوسف قابج). رسالة اليمن، الطبعة العاشرة، شيلات، معاليوت، القدس، 1987.

[2] دانيال 11: 14

يقولون إن هذه الوصايا كانت حقا وغير صالحة للعصر الحالى ولا للأجيال الأخرى. ويقول الآخرون (المسلمون) إن فيها اختلافا كبيرا، وإن المسيح جاء ليظهر اختلافها (المقصود إن رسالتى يسوع ومحمد جعلتا الناس يفكرون فى التوراة ووصاياها لا سيما فيما يخص المسيح. وهكذا تهيأ الناس لاستقبال المسيح (الحقيقى). وعندما يأتى الملك المسيح (الحقيقى) وينجح ويعلو ستعلم الأمم أن أباءهم أورثوهم الكذب وأن أبناءهم وأنبياءهم قد أضلوهم.

رسالة اليمن

كان أول من تآمر على هذه المشورة يسوع الناصرى تحطمت عظامه (أى لتتحطم عظامه فى قبره) وهو من بنى إسرائيل. ومع أن أباه كان من غير بنى إسرائيل وأمه من بنى إسرائيل (والقاعدة الفقهية تقول أن الأجنبى أو العبد الذى يتزوج إسرائيلية يكون المولود إسرائيليا – التلمود البابلى، يباموت 45: 72) غير أنهم اعتبروه "ابن زنا" إمعانا فى تحقيره. واعتقد أنه رسول الله أرسله ليبين لهم شبهات التوراة وأنه المسيح المنتظر الذى تنبأ به كل نبى وفسر التوراة تفسيرا يبطل التوراة ووصاياها وأحل كل ما حرِم فيها ... وأحس الأحبار بنواياه قبل أن يذيع صيته فى الأمة وفعلوا به ما يستحق (قتلوه) وظهرت بعده بفترة طويلة شريعة (المسيحية) نسبوها إليه ولم يكن ذلك مراده.

الحبر داود قمحى

1235-1160

عاش الحبر داود وعمل فى نرفونا بإقليم بروفانس؛ واشتغل بدراسة اللغة العبرية وتفسير العهد القديم. كان أبوه الحبر يوسف قمحى (1105-1170) مفسرا دينيا ونحويا باوزا بين أبناء شعبه. كتب يوسف قمحى الذى انتقل مع أسرته من الأندلس إلى بروفانس "كتاب العهد" ويستشهد به ابنه كثيرا. يهاجم يوسف قمحى فى هذا الكتاب العقيدة المسيحية. وقد يكون هذا أول كتاب جدلى كتب فى عالم مسيحى. كما يهاجم الاعتقاد بأن الله تجسد فى صورة يسوع وأن الله كان يجب أن يولد كأحد البشر ويكبر طفلا رضيعا بين الأطفال، فيقول: "**كيف أؤمن بالله العظيم ... الذى دخل فى بطن إمرأة بين أمعاء نجسة كريهة الرائحة دون الحاجة إلى ذلك؟ (وكيف أؤمن) بالله الحى الذى كان مولودا لإمرأة، طفلا بلا رأى أو عقل لا يعرف يمينه من شماله ويرضع من ثدى أمه ويجوع ويعطش ويبكى من شدة العطش وتحنو أمه عليه وإن لم تكن ترضعه لمات من الجوع كسائر البشر؟**" فقد داود قمحى والده فى شبابه وتعلم التوراة من أخيه موسى. وحظى بشهرة كبيرة فى مجال اللغة والتفسير الدينى. وأشار فى اثنين من أعماله هما كتاب "**الجذور**" وكتاب "**الشامل**" ما استحدث أبوه وأخوه وما استحدث هو نفسه فى قواعد العبرية وذلك بلغة واضحة. يتميز تفسيره للعهد القديم بتعامله المبسط مع النص. وفى هذا التفسير – لا سيما تفسير سفر المزامير- جدل ضد المسيحية التى اتخذت من سفر المزامير أساسا لها.

نستعرض فيما يلى جزءا من المؤلف المنسوب لداود قمحى على الرغم من وجود شكوك حول ما إذا كان هو الذى كتبه ويمكن نسبه له؛ فالمقدمة تركز على تفسير داود قمحى لسفر المزاميركما يذهب إفرايم إلى أن الكتاب دو ِن فى العصر الذى عاش فيه داود قمحى وفى المكان الذى كان فيه.

صيغ الكتاب كعظة من مؤمن ضد المسيحية، وتضمن ادعاءات ضد ألوهية يسوع نعلم من خلالها الجدل الداخلى الذى ثار بشدة فى العالم المسيحى فى عصر داود قمحى حول ماهية يسوع. كان بعض حكماء المسيحيين يرون أن الألوهية تجسدت فعلافى صورة بشر فى شخص يسوع. وقال البعض فى المقابل إن يسوع كان الروح فقط دون أى بعد جسدى. فهم لا يستطيعون قبول أن أمه حملت فيه كسائر النساء. ويعتقدون أنه دخل بطن أمه عن طريق أذنها ومكث فى رحمها فترة حتى ولدته. كما ذهبوا إلى أن يسوع لم يأكل أو يشرب شيئا فى بطن أمه لأنه روحانى غير جسدى. يتطرق داود قمحى فى هذا الجزء المنسوب إليه إلى هذين الادعاءين ويسخر منهما وينكرهما.

- "قال (المؤمن): عندما كان (يسوع على الصليب) يضرع قائلا" [illegible] الأسد،"[1] فى المزمور (الذى يبدأ بكلمات) "إلهي، إلهي، لما ذا تركتني"[2] ألم يرد خلاصه، أم لا؟ إن قلت إنه أراد ذلك (فمعناه أن يسوع) نسى سبب نزوله كى يتلقى العذاب (نسى أنه جاء إلى العالم كى يعانى ويخلص بنى البشر)، أو أنه ندم. ولو قلت إنه لم يرد الخلاص فإنه أحمق من يبتهل بكلمات لا

[1] المزامير 22:22

[2] المزامير 1:22

يقصدها ... كما أود أن أسألك: عندما كان (يسوع المصلوب) يصرخ لخلاصه، أكان يستطيع أن يخلص نفسه أم لا؟ فإن قلت إنه كان يستطيع، فإنه كان أحمق: لأن من يستطيع أن يخلص نفسه لا يصرخ كى يخلصه أحد. وإن قلت لا يستطيع أن يخلص نفسه ... فهو ضعيف، وأنتم تقولون أن الله إتحد مع اللحم (فيسوع مكون من أساس روحانى وأساس جسدى). وإن كان ضعيفا كله فالله كذلك. ولا يحتمل أن يكون بعضه (الشق الجسدى) ضعيفا وبعضه (الشق روحانى) قويا؛ لأنه مكون من كليهما....

- رأيت أنا الشاب أن أكتب بعض الكلمات باختصار ضد نوايا ضعفاء العقول ممن يقولون إن مريم حملت بيسوع دون التقاء ذكر بأنثى. كما يقولون إن الملك جبريل المبشر قال لها " سلام لك، أيتها المنعم عليها! ، الرب معك. مباركة أنت في النساء"[1] ويقولون إن روح القدس فى تلك اللحظة دخلت أذنيها فحملت. وأنت تجيبهم: يعلم كل عاقل أن المخلوقات جميعا - سواء أكانوا بشرا أو بهائم أو طيورا أو حيوانات- يخرج المولود منها من المكان نفسه الذى دخلت منه. لذلك كان من الجدير أن يخرج يسوع من الأذن التى دخل روح القدس منها فى بطنها وهذا لم يحدث؛ بل خرج من المكان الذى يخرج منه الناس جميعا. ومن المعروف للجميع بل للحمقى أيضا، أن كل إمرأة تحيض من سن الثالثة عشر وما فوقها شهريا . وعندما تحمل يتوقف الحيض لأن الجنين يتغذى طوال الأشهر التسعة فى بطن أمه من دم الحيض. حتى بعد أن تلد المرأة ببضعة أيام يصعد هذا الدم إلى ثدى المرأة ويتحول إلى حليب (كان هذا المعتقد شائعا فى العصور القديمة والعصور الوسطى). لذا فعندما يرضع الولد من ثدى أمه فإنها لا تحيض لأن الدم يصعد إلى الثديين، كما

[1] لوقا 1: 28

ذكرنا. ... واعلم أن دم الحيض سم مميت أو يكاد. ولو شرب شخص منه كوبا واحدا لمات فى بضعة أيام أو أصيب بالبرص لأنه دم نجس قذر. ومعجزات الله جل جلاله كبرى لأن الجنين يتغذى بهذا الدم دون أن يصاب بضرر، لكنه يضعفه. وعندما يخرج من رحم أمه لا تكون لديه القوة الكافية للسير على قدميه لأنه تغذى على ذلك الدم طوال تسعة شهور فى بطن أمه. على عكس البهائم التى تقف على قدميها فور خروجها من الرحم، لماذا؟ لأن البهائم والحيوانات جميعا لا تحيض وتتغذى أجنتها من دم القلب (الدورة الدموية) وهو دم طيب وصحى ونقى. لذا فالحيوان حين يخرج من بطن أمه ينهض على قوائمه على الفور. ولو كان يسوع الذى حملته أمه من روح القدس لم يتغذ على الدم النجس، كان يجب عليه أن يقف على قدميه بعد مولده مباشرة وأن يتكلم ويصبح عاقلا كما لو كان ابن ثلاثين عاما. فى حين أنه (أى يسوع) خرج من المكان المعلوم صغيرا كسائر الأطفال ويقضى حاجته ويبول كسائر الاطفال ولم يأت بأية معجزة عند هبوطه مصر مع أبيه وأمه؛ وفى مصر تعلم الكثير. وبعد عودته إلى أرضه جاء بالمعجزات المذكورة فى كتبكم. كل هذا بقوة المعرفة التى اكتسب فى مصر. وعلمتم من قبل بما قام به موسى أمام فرعون وما قام به سحرة فرعون (ما يعنى أن يسوع تعلم السحر الذى ليس بأعمال إلهية أو معجزات...).

- كما قيل لى، احى نفسك: أنت تعلم أن إيليا معروف بإحياء الموتى "[22] **فسمع الرب لصوت إيليا، فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش**"[1] وشاهده الجميع وهو يفعل ذلك؛ وكانوا يقولون هذا هو الرجل الذى أحياه إيليا. كما أحيا إليشع اثنين من الموتى واحدا فى حياته والثانى بعد موته (الملوك الثانى

[1] الملوك الأول 17: 22

4: 35-13: 21)، كما أبرأ الأبرص قائد جيوش ملك آرام (الملوك الثانى الاصحاح الخامس) وحكوا عنه ومجدوه كثيرا. وهذا ما قام به يسوع فى معتقدهم: أحيا الموتى وأبرأ الأبرص والمرضى. وهذا ما امتدحوه ومجدوه عليه، وللإله الذى منحه تلك القوة. فإن كان الأمر كذلك فلماذا عندما أحيا نفسه لم يذهب إلى المدن والبلدان ويقول لهم "أنا هو الذى ضربنى وعذبنى أحبار إسرائيل؟! ها أنا ذا حى كأى واحد منكم". أو على الأقل أن يظهر فى نفس المحكمة التى حكمت عليه بالموت، حينئذ كان سيؤمن به كل بنى إسرائيل بلا شك. ولكن بعد أن قتلوه وصلبوه لم يظهر ثانية ولن يظهر أبدا (من هنا نجد أنه ليس هناك أية حقيقة فى قصة قيام يسوع من بين الموتى).

الحبر يعقوب بن رؤبين

(القرن الثانى عشر)

ليس بين أيدينا إلا القليل من المعلومات عن رابى يعقوب بن رؤبين مؤلف كتاب "**حروب الرب**". ويتضح من المقدمة التى وضع لكتابه أنه كان من أسرة متواضعة، حيث يقول عن نفسه "**من أنا؟ ومن أهلى؟ ألست من أصغر أسباط إسرائيل؟! وعائلتى أصغر عائلات أبى؟**". كما يحكى أنه عندما نفى من بلده إلى بلد آخر صادق أسقفا متعلما وتجادلا فى أمور دينية. يعتقد البعض أن رابى يعقوب بن رؤبين كان من إسبانيا ثم انتقل منها إلى جنوب فرنسا. على أية حال نحن نتحدث هنا عن يهودى عاش فى القرن الثانى عشر فى إحدى دول غرب أوروبا. وضع رؤبين مؤلفات أخرى، حيث يشير هو نفسه إلى تفسيره سفرى المزامير وأشعياء وبعض أجزاء من التلمود، ولم تصل هذه الكتب إلينا.

فى مقدمة كتابه "**حروب الرب**" يبين الحبر يعقوب بن رؤبين الغرض من الكتاب فيقول: «عقيدة هؤلاء المسيحيين وما يمارسون من عبادات ... يتبين لكل ذى عقل أنها باطل وهباء ... وعلى أن أفند مزاعمهم وأقوالهم لكثير من أبناء شعبنا، حيث لا يتعمق العقل فى أعماقها».

يدافع الكتاب عن ديانة بنى إسرائيل فى مقابل المسيحية التبشيرية؛ والغرض منه مساعدة ضعفاء المجتمع اليهودى ممن يمكن أن يسقطوا فى شباك الدعاة المسيحيين. إن الحاجة إلى كتاب كهذا لا تقل عن الجهاد فى سبيل الله وشعبه؛ وهو يسمح لليهود ممن يخشون الرب – كما يقول المؤلف

- أن يفندوا المزاعم المسيحية. ويشير الحبر يعقوب بن رؤبين فى مواضع عديدة من كتابه إلى كتاب الأسقف نسطور ويبدو أنه تأثر به كثيرا.

ينقسم الكتاب إلى إثنى عشر فصلا بعدد أسباط بنى يعقوب، على غرار تقسيم الدعاة المسيحيين كتبهم الجدلية إلى إثنى عشر فصلا بعدد تلاميذ يسوع وهم الرسل.

والكتاب فى صورة جدل بين "**البائد**" وهو المسيحى الذى يقول الكذب و «**الموحد**» وهو اليهودى المؤمن بوحدانية الله. وهو من أقوى كتب الجدل التى دونت فى العصور الوسطى؛ ولا يتضح ذلك فى لغته اللاذعة وحسب، بل فى النقد الشديد الذى يوجه للعهد الجديد (فى الفصل الحادى عشر من الكتاب) وكذلك فى البراهين الفلسفية التى يعرض لها ضد المسيحية (الفصل الثانى عشر). أما الفصول الأخرى من الكتاب فيعرض المؤلف فيها للتفسيرات المغلوطة التى يقدمها المسيحيون لآيات العهد القديم حتى تناسب آراءهم وأسس عقيدتهم كالتثليث وولادة العذراء مريم.

يبدو أن الكتاب لقى نجاحا كبيرا لأن الكنيسة حاربته فى الفترة بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر، واستعان به اليهود كمرجع فى كتب الجدل التى كتبت بعده.

صدر الكتاب أول مرة فى عام 1963 على يد يهودا روزنطال معتمدا على المخطوطات. وسنعرض لبعض أجزاء من الكتاب التى تهتم بيسوع من الفصل الحادى عشر، والتى تقدم حوالى عشرين إشكالية فى صدقية أناجيل العهد الجديد لا سيما إنجيل متى. يعرض المؤلف فى البداية فقرة من العهد الجديد ثم يحلل ما جاء بها ويشير إلى ما فيها من تناقض.

الفصل الحادى عشر

اكتملت تساؤلات «البائد» وسأسأله من الأناجيل. (من قصيدة فى مقدمة هذا الفصل) **وأنا الفقير المذكور / أباع على الأبواب/ وعانى قلبى لأجيب على الإدعاءات (أى ادعاءات** المسيحيين)/ وأطرح تساؤلات من كلامهم (العهد الجديد) ... لذلك ذكرت بعض أخطاء كتابهم. ولم أذكر إلا القليل لأننى خفت.

قال الموحد: "فى كتاب تاريخ يسوع (المسيح) بن داود بن إبراهيم ورد أن إبراهيم أنجب إسحق (نسل يسوع كما ورد فى إنجيل متى بما فى ذلك ذكر أربع نساء هن ثامار، راحاب، راعوث وامرأة أوريا إلى مولد متان). وأنجب متان يعقوب؛ وأنجب يعقوب يوسف رجل مريم الذى أنجب يسوع الذى يدعى المسيح. هكذا بالفعل كانت بداية شهادتهم الجديدة (=بداية العهد الجديد) وهنا أسأله: لماذا ذكر ثامار إمرأة يهوذا ولم يذكر إحدى نساء إبراهيم أو إسحق أو يعقوب؟ لماذا ذكر راحاب الزانية وامرأة أوريا وراعوث المؤابية ولم يذكر إحدى نساء الرجال الآخرين. لأن هؤلاء قاذورات (إذ تنكرت ثامار فى زى زانية وضاجعت حماها، وراحاب كانت زانية، وبات شيفاع امرأة أوريا ضاجعت الملك داود وراعوث كانت من بنات مؤاب الذين كانوا يغشون محارمهم (سفر التكوين 19). وكيف تشهدون هذه الشهادة على إلهكم وكنتم كمن يلصق به الذنب لأنكم ذكرتم هؤلاء النسوة الفاسدات وتركتم الصالحات؟! وإضافة إلى ذلك فكل فتاة تستطيع أن تنتقل من سبط أبيها إلى سبط آخر عن طريق الزواج من رجل من سبط آخر؛ فينسب أبناؤها إلى سبط أبيهم، باستثناء الفتاة الوارثة حتى لا ينتقل الميراث إلى سبط آخر (كما ورد فى العهد القديم حول بنات صلفحد اللائى،طب منهن الزواج من رجال

من سبطهم حتى لا يخرج ميراثهن من أبيهن من السبط). وما يثبت أن مريم كانت وارثة (إذ مات أبوها ولم يكن له بنين. لذا كان عليها الزواج من يوسف من سبط يهوذا. وكذلك فإن كانت وارثة ما يثبت أنها من نسل بيت داود، لأنها من الممكن أن تتزوج من أى أحد من بقية عائلات يهوذا؟ (وهذا يعنى أنه لا يمكن نسب يسوع إلى سبط يهوذا لمجرد أن زوج أمه ينتسب إلى هذا السبط. من الممكن أن يكون يوسف بالفعل من سبط يهوذا، لكن مريم التى أنجبت يسوع من روح القدس وليس من يوسف يمكن أن تكون من أى سبط آخر. ولا مجال لقبول مزاعم المسيحيين بأن يسوع كان ينتمى أيضا إلى هذا السبط إلا إذا ثبت أن مريم كانت وارثة أو أن أباها كان من سبط يهوذا. ولكن لم يتم إثبات أى من هذين الادعائين.)

ورد أيضا (الموحد عن المكتوب فى إنجيل متى 3: 13-17): "[13] حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الأُرْدُنِّ إِلَى يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ. [14] وَلكِنَّ يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلاً: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!» [15] فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ:« اسْمَحِ الآنَ، لأَنَّهُ هكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرٍّ». حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ. [16] فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، [17] وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً:« هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ»" يبدو الآن أن روح الرب تنزلت فى أثناء التعميد، لكنها لم تكن موجودة فيه قبل ذلك. فكيف تزعمون أنه خلق من روح الرب بعد أن دخلت بطن أمه؟ فإن كان من روح الرب فلماذا احتاج إلى روح الرب فى أثناء التعميد؟

وورد أيضا (الموحد عن المكتوب فى إنجيل متى 4: 1-11): "[1] ثُمَّ أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ. [2] فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا

وأربعين ليلة جاع أخيرا. [3] فتقدم إليه المجرب وقال له:«إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا». [4] فأجاب وقال:« مكتوب: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله». [5] ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة، وأقامه على جناح الهيكل، [6] وقال له: « إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب: أنه يوصي ملائكته بك، فعلى أيديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك». [7] قال له يسوع: « مكتوب أيضا: لا تجرب الرب إلهك». [8] ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عال جدا، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، [9] وقال له: « أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي». [10] حينئذ قال له يسوع:« اذهب يا شيطان! لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد». [11] ثم تركه إبليس، وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه."

ماذا فى أن يصوم إله أربعين يوما وأربعين ليلة ثم يجوع بعدها؟ ألم يصم موسى الذى لم يكن إلها أربعين يوما وأربعين ليلة وعندما نزل من الجبل (لم يكن جائعا) كان وجهه مضيئا "[29] وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة في يد موسى، عند نزوله من الجبل، أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع في كلامه معه"[1]

وكذلك كيف أجاب يسوع إبليس: « ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان"؟» وإن كان يسوع إلها حقا فكان سيشبع نفسه بكلامه ولقال: "**بل بكل كلمة تخرج من فمى يحيا الإنسان**".

[1] الخروج 34: 29

كما قال (الموحد حول ما ذكر فى إنجيل متى 11: 25-26): "[25] في ذلك الوقت
أجاب يسوع وقال: « أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض، لأنك أخفيت
هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال. [26] نعم أيها الآب، لأن هكذا
صارت المسرة أمامك." إن كان يسوع إلها حقا كما تزعمون فكيف يحمد أمام أبيه؟ ألا تقولون أن كل ما هو الأب هو الابن وكل ماهو الابن هو الأب والروح، وهذا يدل على كذبكم.؟

كما قال (الموحد حول ما ورد فى إنجيل متى 12: 1-4): "[1] في ذلك الوقت
ذهب يسوع في السبت بين الزروع. فجاع تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل
ويأكلون. [2] فالفريسيون لما نظروا قالوا له: «هوذا تلاميذك يفعلون ما لا
يحل فعله في السبت!» [3] فقال لهم: « أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو
والذين معه؟ [4] كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لم يحل له
ولا للذين معه أن يأكلوا إلا الكهنة فقط." إن كان مسيحكم إلها فكيف يسمح بتدنس السبت وكان قد أمرهم بتقديسه "[12] احفظ يوم السبت لتقدسه
كما أوصاك الرب إلهك. [13] ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك"[1]؟
وكيف يقدم داود برهانا، الذى فر من شاول وأسرع فى الهروب حتى أكل خبز الهيكل؟ وإن كان داود قد أخطأ فقد كان مضطرا ولم يعد إلى تكرار ذلك، فكيف يسمح مسيحكم بقطف سنابل القمح فى يوم السبت سماحا مطلقا؟ وإن كان قد سمح بكل شيء فلماذا لم يسمح بمضاجعة المرأة المتزوجة حيث قام داود بذلك مع امرأة أوريا؟!

[1] التثنية 5: 12-13

كم قال (الموحد حول ما ذكر فى إنجيل متى 8: 1-4): "[1] ولما نزل من الجبل تبعته جموع كثيرة. [2] وإذا أبرص قد جاء وسجد له قائلا: «يا سيد، إن أردت تقدر أن تطهرني». [3] فمد يسوع يده ولمسه قائلا: «أريد. فد اطهر!». وللوقت طهر برصه. [4] فقال له يسوع: «انظر أن لا تقول لأحد. لكن اذهب أر ِ نفسك للكاهن، وقدم القربان الذي أمر به موسى شهادة لهم». وقد قال مسيحكم "[13] فاذهبوا وتعلموا ما هو: إني أريد رحمة لا ذبيحة. لأني لم آت لأدعو أبرارا بل خطاة إلى التوبة»."[1] قد يبدو أنه أراد ذبيحة كما أراد أن يخفى صنيعه فطلب من الرجل الأبرص ألا يخبر أحدا بأمر شفائه.

وفى مرة أخرى يخرج الجن من جسد رجل استنجد به. وبعد أن شفاه طلب الرجل مرافقته لكن يسوع رفض قائلا: "[39] «ارجع إلى بيتك وحدث بكم صنع الله بك». فمضى وهو ينادي في المدينة بكم صنع به يسوع."[2] وفى مواضع أخرى يحكى أن يسوع قال "[33] ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضا قدام أبي الذي في السماوات"[3] ففى هذه المواضع يطلب من الناس أن يخبروا بصنيعه وعدم إخفائه. وهذا يناقض ما قاله للشخص الأول فهو هنا يناقض نفسه وليس فى أفعاله أى منطق.

كما قال (الموحد حول المذكر فى إنجيل متى 21: 19): "[19] فنظر شجرة تين على الطريق، وجاء إليها فلم يجد فيها شيئا إلا ورقا فقط. فقال لها: «لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد!». فيست التينة في الحال." إن كان حقا إلها

---

[1] متى 9: 13

[2] لوقا 8: 39

[3] متى 10: 32

فكيف لم يعلم وهو فى مكانه (قبل أن يذهب إلى الشجرة) أن ليس بها ثمارا؛ وبعد أن يذهب إليها هباء لماذا غضب على الشجرة ولعنها ويبسها؟ أليس هو القائل: " **وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم**" [1]؟ وهذه الشجرة التى لم تقترف إثما ولم تنادِه قائلة تعالَ كى من ثمارى، لماذا يعاملها مسيحكم بهذه الصورة؟ ...

كما قال (الموحد حول بعض المواضع من أعمال بطرس): "**هاهو الشيطان يريد قتلى فطلبت من الله أن يقصر حياتى ولا يدعنى فى يد الشيطان**" لم لا تخجل من كلامك بأن يسوع إله؟ وهو الذى يتوسل للآخرين ويجثو على ركبتيه. كما أنه شهد على نفسه قائلا: **أنا عبد ونبى ورسول الله**" وقال مرة أخرى "**أعبد الله سيدى وسيدكم**"؛ وهو القائل: «**لأننى لم أتحدث من قلبى لكنه أرسلنى**». وغيرها من المواضع التى يتضح منها أنه كان يؤمن بالله ولم يكن يعتبر نفسه إلها؛ ومع ذلك فأنتم تميلون إلى تأليهه.

[1] متى 5: 44

الحبر إفرايم بن شمشون

القرن الثالث عشر

أحد مفسرى العهد القديم

لا نعلم الكثير عن الحبر إفرايم بن شمشون. ويبدو أن أباه كان الحبر شمشون (عاش فى الفترة 1150-1215 م تقريبا) وكان من أهم من وضعوا الـ «توسفتا». وهو من أحبار أشكناز فرنسا الذين خصصوا جزءا كبيرا من أعمالهم لتفسير راشى[1] والتلمود ومناقشته. يشير الحبر إفرايم فى تفسيره التوراة – الذى لم يحفظ إلا فى مخطوطة - راشى وأتقياء أشكناز الحبر يهودا ورابى إليعازر. من هنا يمكن أن نؤرخ لهذ التفسير ببداية القرن الثالث عشر.

كان إفرايم ككثير من أمثاله فى أشكناز يكثر من الاستعانة بحساب الجمل والاختصارات ونهايات الكلمات. وحساب الجمل عملية مدراشية معروفة ومشهورة فى أدب الأحبار (حازل) وأتباعهم تتحول الكلمة فيه إلى قيمة عددية، ويتعلمون من ذلك شيئا جديدا. فكلمة "**יבוא אהרון אל הקודש**"[2] (جاء أهرون إلى القدس) على سبيل المثال تساوى فى حساب الجمل العدد 41؛ وهى مدة الهيكل الأول وخدمة الكهنة من نسل هارون فيه. وهذا ما فعل الحبر إفرايم من أجل الحصول على أفكار جديدة من

[1] الحاخام شلومو إسحق أكبر مفسرى العهد القديم والتلمود من اليهود. عاش فى القرن الحادى عشر الميلادى.

[2] اللاويين 16: 3

خلال ضم الحروف التى تبدا بها كلمات العهد القديم أو نهاياتها. فعلى سبيل المثال وجد أن الاسم «يسوع» **ישו** موجود فى نهاية كلمات **השביעי ויקדש אותו** (السابع وقدسه).

تهدف معظم تفاسير الحبر إفرايم إلى إظهار إشارات العهد القديم لكل حدث فى تاريخ إسرائيل بما فى ذلك المسيحية وأعلامها. هكذا وجد الحبر إفرايم يسوع وأمه مذكورين فى مواضع مختلفة فى العهد القديم وهى ظاهرة شديدة الندرة فى الأدب الأشكنازى فى العصور الوسطى. وأصل ذلك الإيمان بأن ليس هناك شىء فى العالم لم يذكره العهد القديم. من هنا برزت الحاجة إلى إظهار حتى العدو المسيحى، بل إشارات أيضا إلى شريعته.

تظهر طبيعة أقوال الحبر إفرايم عداء كبيرا ليسوع وذلك نتيجة للحروب الصليبية ونتيجة الأحكام التى عاناها يهود أشكناز فى تلك الأيام.

"ויברך אלוהים את-יום השביעי ויקש אותו" ([3] وبارك الله اليوم السابع وقدسه)[1]، نهاية الكلمات العبرية يتكون منها لفظ **ישו** (يسوع) ويشير إلى أن يسوع سوف يبطل يوم السبت ويجعل من يوم الأحد عيدا. لذلك قيل "وبارك الله اليوم السابع" أى احذروا أن تضلوا خلف يسوع ولا تجعلوا راحتكم يوم الأحد لأن الله إختار اليوم السابع وباركه.

"[1] وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية" [2] و"أحيل" فى حساب الجمل تساوى كلمة يسوع (316) (**ערום**=**ישו**) لأن الحية ويسوع أرادا دمار العالم،

[1] التكوين 2: 3

[2] التكوين 3: 1

هى بالجسد وهو الروح. كلمة "בן שמונת ימים" " ﴿مِن ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ"[1] تساوى كلمة يسوع لأنه كان من المنتظر أن يظل الختان على الرغم من أنه هو نفسه مختن.

"ابن الغريب" غريبة أعماله، "ليس من نسلك" ابن لأبيه فى السماء – أى أن حمل يسوع لم يكن من الحلال؛ بل حملت به أمه سفاحا. "כי יסיחך אחיך בן-אמך" ﴿وَإِذَا أَغْوَاكَ سِرًّا أَخُوكَ ابْنُ أُمِّكَ"[2] تساوى فى حساب الجمل كلمة يسوع الناصرى. وهذا برهان ضد الكافرين لإيمانهم بيسوع وليقل لهم من يجادلهم: قد سبقكم موسى وأمرنا بعدم الإيمان لمن تقولون أنه سوف يولد من أم بدون أب (لذكره ابن الأم وليس ابن الأب).

سمعت من الحبر تام[3] أنه سأل صاحب الرؤى (شخصية إعجازية تنبئ الإنسان بأسرار السماء) إن كان يسوع وأمه ذكرا فى التوراة؟ فأجاب صاحب الرؤى: " ﴿آلِهَةِ الأَجْنَبِيِّينَ فِي الأَرْضِ"[4] وهى فى حساب الجمل يسوع ومريم. "צלי-אש ראשו" " ﴿مَشْوِيًّا بِالنَّارِ. وَرَأْسُهُ" نهاية الكلمات العبرية "ישו" "يسوع" أى أن رأسه تشوى فى جهنم ليل نهار.

---

[1] التكوين 17: 12

[2] التثنية 13: 7

[3] من أحبار أشكناز فى القرن الثانى عشر وحفيد راشى

[4] التثنية 31: 16

الحبر موشيه بن نحمان (رامبان)

1270-1194

فيلسوف ومفسر وشاعر ومتصوف

من كبار أحبار إسرائيل فى العصور الوسطى، ولد لأسرة معروفة من رجال الدين؛ درس التوراة على يد كبار أحبار الأندلس وفرنسا؛ كما درس العلوم العامة ومارس الطب. عرف بتأثيره الكبير فى حياة اليهود فى عصره وعاد عليه تفسيره التوراة بمكانة رفيعة فى مجال التفسير. من أعماله مؤلفات فى الشريعة وتفاسير للتلمود وأعمال فى القبالاة[1]. وفى عام 1267 طالب رجال الدين المسيحى بمعاقبة رامبان لمساسه بالمقدسات المسيحية ففر هاربا من الأندلس إلى فلسطين وعاش فى أورشليم وعكا وسعى كثيرا إلى تنظيم حياة اليهود فى هاتين المدينتين.

فرض عليه الملك يعقول الأول ملك أرجونيا بالأندلس فى عام 1263 مجادلة علنية مع يهودى متنصر يدعى بابلو كرستيانى. أراد اليهودى المتنصر أن يثبت أن الأدب التلمودى يشتمل إلى جانب سب المسيحية على إشارات تدل على مصداقية الدين الجديد واعتراف بأن يسوع هو المسيح الذى جاء إلى العالم. وقف رامبان، الذى سمح له الملك بحرية الحديث، أمام بابلو ودافع بشدة عن العقيدة اليهودية ورفض مزاعم بابلو. استمر هذا الجدل

[1] يعرف التراث الصوفي اليهودي باسم «القبالاه» التي مرت بمراحل عديدة أهمها «قبالاة الزوهار» وتسمى أيضا «القبالاه النبوية»، و«القبالاه اللوريانية» التي يمكن تسميتها «القبالاه المشيحانية».

أربعة أيام وانتهى دون الوصول إلى نتيجة واضحة. يحكى رامبان عن هذه المناظرة فى كتاباته بالتفصيل ويزعم أنها انتهت بانتصاره الحاسم. وكان جوهر الحوار يدور حول قضية ظهور المسيح بالفعل، ونوقشت شخصية يسوع على هامش هذا الحوار. وسنعرض لجزء صغير من هذه المناظرة المعروفة باسم "مناظرة برشلونة" والتى يصفها رامبان بغياب المنطق فى قصة مولد يسوع وحياته، كما يبرهن على أن أوان المسيح لم يأن بعد.

"وقف "باولو" وقال: سأثبت أن أوان المسيح فات. فقلت: مولاى الملك، اصغ إلى قليلا.... إن أساس الخلاف بين اليهود والمسيحيين هو فى ما تقولون من أن أساس الالوهية أمر شديد المرار. وأنت يا مولاى مسيحى ابن مسيحى ابن ميسحية واستمعت طوال حياتك إلى الأساقفة والواعظين يتحدثون عن مولد يسوع وملأوا رأسك وعظامك بهذا الكلام وأصبحت تردد ما يقال (أصبحت قصة مولد يسوع وإلوهيته أمرا مسلما به من كثرة تكرارها). لكن ما تؤمنون به والذى هو أساس عقيدتكم (قصة مولد يسوع وإلوهيته) لا يقبله عقل ولا يتفق مع نواميس الطبيعة ولم يقل الأنبياء به قط. حتى المعجزات لا يمكن أن تصل إلى ذلك الحد. فعندما أوضح بالبراهين المطلقة فى حينها أن خالق السماوات والأرض وما بينهما يكون جنينا فى بطن إحدى اليهوديات ويكبر فيها مدة سبعة أشهر (كما قيل عن يسوع فى الروايات المسيحية من أنه ولد فى الشهر السابع من حمله) ويولد صغيرا ويكبر بعدها ثم يتم تسليمه لأعدائه فيحاكموه ويقتلوه؛ ثم تقولون بعدها إنه عاد إلى الحياة وعاد إلى مكانه الأول. وما من يهودى أو أى إنسان ليقبل بهذه الفكرة. وكل أقوالكم باطل وهباء لأن هذا أساس الخلاف بيننا. لكننا سنتحدث أيضا عن المسيح تلبية لرغبتكم.

قال باولو: أتؤمن بأن المسيح جاء؟ قلت: كلا، بل أؤمن وأعلم أنه لم يأت ... ومستحيل أن أؤمن بمسيحيته (أى يسوع). فالنبى يقول فى المسيح "8 ويملك من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصي الأرض"[1]، وهو (يسوع) لم تكن له حكومة؛ بل ظل طوال حياته مطاردا من قبل أعدائه واختبأ منهم وفى النهاية سقط فى أيديهم ولم يستطع تخليص نفسه، فكيف يخلص إسرائيل؟ وحتى بعد مماته، لم يكن ليسوع حكومة لأن حكومة روما (الإمبراطورية الرومية فى عصر يسوع) لم تقم من أجله ولأجله. وكانت روما قبل أن تؤمن به تحكم معظم العالم؛ وبعد أن اعتنقت عقيدته (بعد تحول إمبراطورية الروم إلى إمبراطورية مسيحية) خسرت الكثير من الممالك التى كانت تحكم. وأتباع محمد لديهم الآن حكومة أكبر منهم (المسيحيين). وكما يقول النبى أن فى زمن المسيح " لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر."[2] كما يقول "4 فيقضي بين الأمم ويصنف لشعوب كثيرين، فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفا، ولا يتعلمون الحرب في ما بعد."[3]، ومنذ عصر يسوع إلى الآن والعالم ملىء بالظلم والنهب، والمسيحيون أكثر سفكا للدماء من سائر الأمم. وكم يكون من الصعب عليك، مولاى الملك، وعلى فرسانك ألا تخوضوا حربا أخرى.

---

[1] المزامير 72: 8

[2] إشعياء 11: 9

[3] إشعياء 2: 4

كتاب المناظرة القديم

نهاية القرن الثالث عشر

كتاب جدلى مجهول

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من الأجزاء المجمعة من كثير من كتب المجادلة ومرتبة وفقالترتيب فقرات العهد القديم أو وفقالترتيب الأناجيل. ومن مصادر هذا الكتاب، الذى لا نعرف مؤلفه، الكثير من المصادر التى ذكرناها من قبل مثل "الأسقف نسطور" و"تاريخ يسوع" وكتابات رابى يوسف قمحى وولده داود وكتاب "حروب الرب" وغيرهم.

أراد الكاتب وضع كتاب يناسب جميع الشعوب لذلك توجد فيه كثير من أسس الفلكلور الشعبى والشعر المنثور. ويمكن تأريخ هذا العمل، وفقالما جاء فيه ووفقاللإشارات التاريخية الواردة فيه، بنهاية القرن الثالث عشر، و يمكن القول، وفقاللغة المستخدمة، أنه وضع فى ألمانيا.

عنوان الكتاب "**المناظرة**" وموضوعه الجدل. أما التسمية القديمة فقد أعطيت له للتفرقة بينه وبين كتاب "**المجادلة**" الذى كتبه بعد فترة متأخرة عنه رابى يوم طوف ليفمان ميلهويزن. يعتبر هذا الكتاب بمثابة دليل لمن يريد مجادلة المسيحيين من منطلق "إعلم بماذا ترد" فهو يمد كل مجادل بالمعلومات الوفيرة وفقرات من العهد الجديد وأسئلة توجه الى المسيحيين والإجابات التى يجب رفضها ومهاجمة العقيدة المسيحية من منطلق الدفاع عن التراث اليهودى.

تشير المادة المسيحية الوفيرة فى هذا الكتاب الى انفتاح المجتمع اليهودى فى وسط أوروبا على العالم المسيحى. ومن المحتمل أن تكون قد وصلت المعلومات الموجودة فى الكتاب الى المؤلف عن طريق الاتصالات التجارية أو بسبب عيش اليهود والمسيحيين معا وربما عن طريق مسيحيين تهودوا وأخبروا اليهود عن حياة المسيحيين وصلواتهم وعقائدهم وطقوسهم. ويحتمل أيضا أن يكون قد قرأ القارئ النصوص المسيحية بلغتها الأصلية وترجمها الى العبرية. يقول المؤرخ حاييم هلل بن ساسون: "إن كتاب المجادلة القديم تعبير واضح عن فكر وتعامل يهود وسط أوروبا فى نهاية فترة الحملات الصليبية. ولا يوجد مثل هذا الكتاب ليعبر عن مشاركة اليهود فى العالم المسيحى المحيط به وكذلك موقف اليهود من نوحيده والأزمات النفسية والاجتماعية الناتجة عن ذلك".

يخصص المؤلف جزءا كبيرا لشخصية المسيح وأعماله ويتحدث عنه من منطلق كونه شخصية تاريخية وأن كل ما نسبه إليه العهد الجديد قد حدث بالفعل. ولا ينكر المؤلف قصص الأناجيل ولايزعم أن ما ورد فيها ليس له أساس لكنه يرجع المعجزات الى قام بها يسوع الى القوة السحرية التى امتلكها. تتسم كلمات المؤلف عن يسوع بالعداء الشديد والسخرية وتمتلئ بالألفاظ الاستنكارية فيسميه فى بعض الأحيان بـ"**ذلك الرجل**" أو "**الملعون**" أو "**المصلوب**".

سنعرض بعض أجزاء من هذا الكتاب وفقا للطبعة التى نشرها مردخاى بروبار- والتى تطرقت الى يسوع وشخصيته. ومن قرأ، حتى الآن، هذه

المجموعة من المصادر يشعر بالتأكيد أن لصاجب كتاب "المجادلة" تجديدات حقيقية لكنه رويدارويدا يستخدم هذا الجنس الأدبى من كتب المجادلة من حيث الشكل وربما قلده.

"25) (فيما يخص رؤية رئيس السقاة التى رآها) "[10] **وفي الكرمة ثلاثة قضبان، وهي إذ أفرخت طلعها، وأنضجت عناقيدها عنبا**"[1] فإنهم يقولون أقوال كفر ويحرفون الكلام كى يكون عن **المصلوب** وأشار: كما صلب هذا فإن يسوع قد صلب. و"إن القضبان الثلاثة" (فى رؤيا رئيس السقاة) هى الأيام الثلاثة التى دفن فيها (أى أن فى العهد القديم إشارة الى صلب يسوع والأيام الثلاثة التى مكثها فى قبره). ويجب الرد على ذلك بالأتى: إن رئيس الخبازين لم يكن قد خبزه كما ينبغى، وكذلك يسوع فالشريعة التى أراد تقديمها لم تكن ديانة كاملة وأنه كما صلب رئيس السقاة وذهب عن العالم هكذا صلب يسوع وذهب عن العالم. كما يجب الرد: أيها الضالون لماذا تشبهونه برئيس الخبازين؟ ولتشبهوه بابن ملك، أبشالوم الذى صلب، فكما سرق هذا معرفة البرايا لما ورد "[6] **وكان أبشالوم يقف على جانب الطريق عند مدخل الباب، وكان كل رجل له دعوى يأتى الى الملك للقضاء، فدعا أبشالوم اليه وقال له من أى مدينة أنت، فيقول عبدك من سبط من أسباط إسرائيل. فيقول له أبشالوم انظر أمورك صالحة وحقة ولكن ليس من يسمع لك من قبل الملك. وقال أبشالوم من يجعلنى قاضيا فى الأرض فيأتى الى كل انسان له دعوى أو حق فأقضى له بالعدل. وكان اذا تقدم اليه انسان ليسجد له مد يده وأمسكه وقبله. وهكذا فعل أبشالوم لجميع إسرائيل الذين كانوا يأتون لأجل الحكم الى الملك، فسرق أبشالوم قلوب رجال إسرائيل.**"[2] وهكذا صنع يسوع وقد تمرد أبشالوم على أية حال، وهكذا فعل يسوع مع أبيه فى السماء!.

[1] التكوين 10:40

[2] صموئيل الثانى 6:15

67) " إذا كان لرجل ابـ ـن معاند ومارد لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه، ويؤدبه فلا يسمع لهما."[1] إتفق رابى شلومو بن رابى أبون (فرنسا- القرن الثانى عشر) معهم ومع ما يقولونه عن الآية التى تقول "قال الرب لربي: « اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك»."[2] فقد قال الأب لإبنه (الله ليسوع): "إجلس عن يمينى فى السماء ولا تنزل بين أعدائك اليهود حتى أخضعهم لك وأضعهم تحت قدميك." لكن الابن تمرد ولم يصغ لأبيه وهبط على عكس رغبة أبيه فيعاقبه الأب ويجعل بنى إسرائيل يحاكموه مثل الابن العاصى لأن الاسرائيليين هم أبناء الأنبياء وعلموا أن هذا هو حكم أبيه فى السماء وقتلوه لعصيانه أمر أبيه. وعندما لم يستطيعوا تنفيذ حكم المارق العاق فيه لما ورد فى سفر التثنية (21: 18-21) لسحره فنفذوا فيه الحكم المقارب له " وإذا كـ ـان على إنسان خطية حقها الموت، فقتل وعلقته على خشبة"[3].

157) "[1] إلهي، إلهي، لمـ ـاذا تركتني بعيدا عن خلاصي، عن كلام زفيري؟"[4] يفسر المسيحيون هذا المزمور قائلين أن يسوع قال أثناء صلبه " إيلي، إيلي، لمـ ـا شبقتني؟» أي: إلهي، إلهي، لمـ ـاذا تركتني؟"[5]. هاهو ترى أن يسوع قد اعترف بنفسه أنه مخطئ، فكيف تقولون أنه الله؟ كما نجد أنه يشكو من

[1] التثنية 21: 18

[2] المزامير 110: 1

[3] التثنية 21: 22

[4] المزامير 22: 1

[5] متى 23: 46

ترك الله له، أى أنه لم يكن حتى صديقا لما ورد فى سفر المزامير "[25] أيضا وكت فتى وقد شخت، ولم أر صديقا تخلى عنه، ولا ذرية له تلتمس خبزا"[1].

186) أكتب لهم: "[53] ولما أكمل يسوع هذه الأمثال انتقل من هناك.[54] ولما جاء إلى وطنه كان يعلمهم في مجمعهم حتى بهتوا وقالوا:« من أين لهذا هذه الحكمة والقوات؟ [55] أليس هذا ابن النجار؟ أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا؟ [56] وأليست أخواته جميعهن عندنا؟ فمن أين لهذا هذه كلها؟» [57] فكانوا يعثرون به. وأما يسوع فقال لهم:« ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته». [58] ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم."[2] وأنا أتساءل هل كان لمريم أبناء وبنات غير يسوع (حيث أن ذكر أخوة وأخوات ليسوع مشكلة من منطلق الرؤية الكاثوليكية التى تقول أن مريم ولدت يسوع عندما كانت عذراء وحتى بعد ذلك لم يضاجعها أحد). وهل كان ليوسف النجار أبناء وبنات إذا فقد صدق اليهود الذين عرفوه وإن قلتم أنه لم يكن ليوسف أبناء وبنات غير يسوع فلماذا قال اليهود: [56] وأليست أخواته جميعهن عندنا؟ ولماذا يسمونهم بأسمائهم يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا ولماذا لم يرد يسوع عليهم: أيها الضالون إن ما قلتم به من أن لى أخوة وأخوات كذب فأنا بن النجار وليس لى أخوة وأخوات. وإن كنتم مندهشين من حكمتى فلا تندهشوا لأننى أمتلك كل حكمة العالم. لكنه قال لهم كم يقول العازفون فى العصور الوسطى الذين ينتقلون من مكان الى آخر: فى كل مكان يذهبون اليه يكرمونهم أكثر مما فى ديارهم. وكذلك: من كانوا الأخوة الذين ذهبوا معه الى كفر ناحوم "[12] وبعد

[1] المزامير 37: 25

[2] متى 13: 53-58

هنا اخبرإ ـ لى كورناحوم، هو وأمه وإخوته وتلاميذه وأقاموا هناك أياما ليست كثيرة"[1]؟ فإن قلتم أنهم تلاميذه، ألم يرد ذكرهم قبل ذلك الأخوة. لما ورد " هو وأمه وإخوته وتلاميذه" (أى أن إخوته وتلاميذه ليسوا نفس الشئ" وإن قلت: كان كل بنى إسرائيل يسمون الأخوة، ألم يرد ذكر بنى إسرائيل بالاسم فى الأناجيل؟" (متى 13: 53-58) أى أنه لا يمكن تفسير كلمة الأخوة على أنها بنى إسرائيل بل المقصود أخوة يسوع. من هنا نعود الى نفس السؤال: **من أين جاء الأخوة؟**

206) ورد فى إنجيل لوقا 23: 32-34 "[32] وجاءوا أيضا باثنين آخرين مذنبين ليقتلا معه.[33] ولما مضوا به إلى الموضع الذي يدعى « جمجمة» صلبوه هناك مع المذنبين، واحدا عن يمينه والآخر عن يساره.[34] فقال يسوع: « يا أبتاه اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون». وإذ اقتسموا ثيابه اقترعوا عليها." إن كان إلها حقا فلماذا سمح لهم أن يلحقوا به ذلك الخزى والعار بصلبه مع اللصوص.

218) مكتوب لديهم[2] وقف يسوع على نبع المياه وأكل وشرب الماء وجاء رجل وقال له: سيدى سمعت أنك إله وتستطيع أن تساعدنى فى شدتى، فأجابه يسوع: بل الإنسان الذى الذى ولد مبصراولا يستطيع أن يرى. فإنك ترانى من لحم ودم كالآخرين، فكيف لى أن أكون إلها (معنى ذلك أن يسوع يعترف ببشريته).

---

[1] يوحنا 2: 12

[2] مصدر القصة غير معروف

220) مكتوب لديهم[1] إن مريم تنام فى أحضان يسوع وهو يرثيها كى تموت. إن كان إلهاحقافلماذا يقتل أمه؟ اليس مكتوب "[12] **أكرم أباك وأمك**"[2] ولو قلت أن الم ـ لك وليس يسوع هو الذى قتلها. أليس الملك رسول يسوع وأنه كان فى استطاعته أن يوقف ذلك ولم يفعل وذلك كما لوكان قتلها بنفسه.

221) مكتوب فى أناجيلهم [3] أنه عندما ولدت مريم يسوع فى عصر الملك أغسطس أرسل للبحث عنه والقضاء عليه فخبأته أمه فى مذود الحمار. فلماذا لم يحم نفسه؟ ولماذا لم يظهر لمن يبحثون عنه وقال لهم: هآنا ذا وأنتم لا تستطيعون أن تصنعوا بى شيئالأننى ولدت وسأكبر حتى سن الثالثة والثلاثين؟ (...) ولماذا طار فى الهواء للفرار من الموت حتى جاءه يهوذا الأسخريوطى وطار إليه وأسقطه على الأرض رغماعنه، وصلبوه؟ بل كان عليه أن يقول لهم: هآنذا لتصنعوا بى ما شئتم لأنى جئت لذلك كى أتألم وأموت وأنقذ العالم من جهنم. وكذلك المعجزات التى صنعها، لماذا انتظر حتى كبرليصنعها؟ فقد كان يستطيع أن يصنع المعجزات وهو فى بطن أمه ور ضيعاوطفلاحينئذ كان سيصدقه كل العالم. ولتعلموا أنه كان ساحرا وأن كل أعماله كانت سحرية لذلك حكم عليه بالموت لما أمر به إلهنا سبحانه وتعالى.

247) فلتسألهم: كم كانت تبلغ مريم من العمر عند ولادتها **المصلوب**؟ ألا تذكر الأناجيل أنها كانت ابنة الثالثة عشر، وإن كان كما تقولون قدولد

[1] مصدر القصة غير معروف

[2] الخروج 12:20

[3] مصدر هذه الأقوال غير تطابق فى بعض الحالات لما ورد فى العهد الجديد مثل لوقا

بدون أب، فلماذا أظهر قوته فى ابنة الثالثة عشر وليست الثالثة أو الرابعة التى لا تحمل؟ حينئذ كان كل العالم سيعترف بالمعجزة الجديدة التى لم يسمعوا بها من قبل. ولتعلموا جيدا أن يوسف قد ضاجعها وأنجبه (يسوع) منها.

الحبر يوم طوف ليفمان ميلهويزن

القرنان الرابع عشر والخامس عشر

فيلسوف وعالم شريعة

لا نعرف الكثير عن الحبر يوم طوف ليفمان ميلهويزن. فلا نعرف مكان مولده أو تاريخ ميلاده أو وفاته؛ ولكن من الواضح أن مكان عمله الأساسى كان فى مدينة براغ التى مات فيها بعد عام 1420م. وهو يعد من أشهر أحبار تلك الفترة واشتغل كثيرا باللاهوت سواء فى اتجاهه الفلسفى أو الصوفى. ترك مؤلفات عدة فى مجالات الشريعة والأسئلة والأجوبة وتفسيرات الصلاة والعهد القديم وغيرها. والحدث الوحيد الذى عرفنا منه تفاصيل أخرى من حياة الحبر يوم طوف هو طلب المرتد بساح بيتر الذى وشى بأخيه لدى السلطات. وهو حدث عرفناه من كتاب "المجادلة" إضطهاد اليهود حتى الموت، من رابى يوم طوف، مناظرة المرتد علانية (عام 1399م). وأدت أحداث تلك الفترة إلى إعدام ما يقرب من ثمانين يهوديا.

أشهر مؤلفات الحبر يوم طوف ليفمان كتابه الجدلى "كتاب المناظرة"؛ والغرض منه مد يد العون لليهود الراغبين فى مجادلة المسيحيين أو المضطرين إلى ذلك حول حقيقة الأديان المختلفة وكذلك لمن يريد مجادلة اليهود المتشككين فى عقيدتهم. ينقسم الكتاب إلى ثلاثمئة وأربعة وخمسين عنصرا بعدد أيام السنة القمرية. ينم الكتاب عن إلمام تام باللغة اللاتينية وعن قدر من معرفة العهد الجديد والتفسيرات المسيحية للعهد القديم. نظرا لأسلوبه الدارج ولغته السهلة كان للكتاب تأثير كبير على يهود شرق ووسط

أوروبا. أما المسيحيون الذين عرفوا الكتاب فوضعوا فى المقابل مؤلفات خاصة بهم.

نعرض فيما يلى لعنصرين من كتاب "المناظرة" يتناولان قصة مولد يسوع وقصة صلبه. تنم القصتان عن إلمام تام من جانب المجادل بتفاصيل الرواية المسيحية. ويطرح فيهما الحبر يوم طوف تساؤلات وإشكاليات يمكن لليهودى أن يستعين بها لإحراج مجادله وليثبت له ألا مجال لقبول قصص العهد الجديد أو التفاسير المسيحية لبعض أجزاء العهد القديم (ومنها المزمور الذى يتحدث عن يسوع). نجد بعض الأقوال المذكورة أيضا فى الأدب الجدلى السابق على الحبر يوم طوف ليفمان (كمجادلة الأسقف نسطور أو كتاب المجادلة القديم) وذلك لأن مؤلفى الكتب الجدلية بدأوا بمرور الوقت فى تكرار أقوال بعضهم البعض.

- يبدأ إنجيل متى بنسب يسوع ويبدأ الحساب من عصر الملك داود: فلان أنجب فلانا حتى أنجب يوسف زوج مريم التى ولدت يسوع المسمى بالمسيح. إن لم يكن يوسف أباه فما علاقة يوسف بالمسيح؟ يقول حكماؤهم (المسيحيون) إن أمه كانت خطيبة يوسف ومن هنا علموا أنها أيضا من عائلة داود لأن الأجيال الأولى كانت تتزوج من العائلة نفسها كما ورد فى سفر العدد 36: 11. وهذا أيضا باطل لأن ما ورد فى سفر العدد 36: 11 حول بنات صلفحاد كان المقصود به البنت الوارثة ... ولم يرد فى أى من كتبهم أن مريم ورثت. بل هناك دليل على أن مريم كانت من سبط يهوذا؛ فكيف يبرهنون على أنها كانت من عائلة داود؟ وهل من المنطقى أن ينسب المسيح بصورة غير مباشرة إلى قريب أمه بدلا من نسبه إلى أبى أمه وحساب نسب مريم إلا إذا كان يوسف الأب الحقيقى ليسوع؟

- يقول المسيحيون إنه من قبيل الإعجاز أن تلد مريم بدون منى رجل. وبدلا من أن يأتى بنصف معجزة، أى أن يولد من رحم إمرأة بدون منى رجل، كان حريا به أن يأتى بمعجزة كاملة ويولد بدون منى وبدون رحم وأن يولد من فم مريم؛ وبذلك لما كان هناك شك فى المعجزة. ولكن بما أنهم يؤمنون بأن هناك ضرورة للرحم فكذلك هناك ضرورة للمنى.
- يقول المسيحيون إن مريم لم تحمل عن طريق الرحم؛ بل دخلت الروح فيها عن طريق المخ. وسيضحك كل من يسمعنى لأنه يجب أن نقول إنه نزل من المخ إلى الجسد ومن الجسد إلى البطن حتى دخل الرحم. والسؤال هو: لماذا لم يتخذ الطريق نفسه عند الولادة؟ وهو ما كان من شأنه أن يصبح معجزة تامة. ... من الظاهر ومن المعروف أن ليس فى أى من مخلوقات الله سبحانه وتعالى أنجس من أعضاء المرأة الجنسية؛ ممر البول والدم. وكم يتدنى المسيحيون بإلههم إذ يقولون إنه كبر فى رحم أمه تسعة أشهر وسط نجاسة البطن. ويقولون هم أنفسهم إن أمه كانت تتنجس (تحيض) كأى امرأة أخرى كما ورد فى إنجيل لوقا 2: 22: « ولما تمت أيام تطهيرها، حسب شريعة موسى، صعدوا به إلى أورشليم ليقدموه للرب» ولماذا انتظر ليولد حتى بلغت أمه ثلاثة عشر عاما؟ كان من الممكن أن يولد عندما كانت ابنة عامين أو ثلاثة وهذا إعجاز بلا شك. وإن قالوا إن هذا يتنافى مع الطبيعة، أولا يتنافى الحمل عن طريق المخ بلا منى مع الطبيعة أيضا؟ لكنها كانت كبيرة وولدت كسائر النساء وليس لديهم أى دليل على صدق زعمهم. ...
- كما يصعب عليهم فهم أن مريم ماتت كما يموت الناس. ووفقا لأقوالهم لماذا قتل يسوع (الذى يعتبرونه إلها) أمه ولم يحيها كما أحيا حانوخ وإيليا؟
- "إلهي، إلهي، لماذا تركتني" يقول المسيحيون إن يسوع قال ذلك عندما صلبوه: «إيلي، إيلي، لما شبقتني». والمزمور كله يجافى المنطق. وأسالهم ماذا

كان لدى إلههم ليسأل الله لماذا تركه. ألم يكن يعلم أنه سيموت؟! ولأنه مات رغما عنه فأية إلوهية فيه؟ ألم يعترف بأن هناك إلها غيره حين قال "إلهى إلهى" ولم يقل "أبى" ... وأى إله هذا الذى يتخذون ويضلون من أجل خلاصه وهو لا يملك القدرة على تخليص نفسه؟ .... ومن الواضح أن من قيل عنه هذا المزمور كان له أباء وأخوة: "[4] عليك اتكل آباؤنا. اتكلوا فنجيتهم"[1]، "[22] أخبر باسمك إخوتي. في وسط الجماعة أسبحك"[2] فكيف يقولون إن يسوع لا أب له ولا أم وإن أمه كانت عذراء بلا أبناء؟ ... لا حاجة لشرح هذا المزمور؛ فمن الواضح تملما أن داود وضع هذا المزمور عن نفسه.

[1] المزامير 22: 5

[2] المزامير 22: 23

الحبر إسحق بن موشيه اللاوى

(بروبياط دوران)

(القرنان الرابع عشر والخامس عشر)

حبر وعالم لغة

ليست لدينا معلومات وافرة عن بروبياط دوران. هو يلقب أيضا بـ "أبادى". ولد على ما يبدو فى قطلان. واكتسب كثيرا من المعرفة فى العلوم واللغات وكان مقربا من مختلف الشخصيات من عائلات قرشقاش، لا سيما الحبر حسداى قرشقاش الفيلسوف والزعيم اليهودى فى مدينة سرقسطة. وتمكنا من الاطلاع على رسالتين جدليتين كتبهما بروبياط دوران ضد المسيحيين فى السنوات ما بين 1396-1397م، الأولى بعنوان «**لاتكن مثل آبائك**» والأخرى بعنوان «**كتاب فضيحة الأغيار**» (غير اليهود).

الحدث الرئيس فى حياته أحكام عام 1391 والذى شهد اضطرابات وأعمال قتل ضد يهود الأندلس ممن رفضوا الدخول فى المسيحية. وتقول بعض الروايات إن دوران كان من بين من أجبروا على دخول المسيحية. وأجبر أحد أصدقائه على اعتناق المسيحية وأصبح مسيحيا مخلصا فدون له دوران رسالة بعنوان «**لا تكن مثل آبائك**» وهى رسالة هجائية يتظاهر فيها دوران بأنه مسيحى مؤمن ينصح الآخرين من أمثاله بالتحول إلى المسيحية. والرسالة مكتوبة بلغة ساخرة لاذعة. وهناك من خدع بها بالفعل واعتقد أنها دعوة حقيقية إلى تغيير الديانة. ولا تتطرق الرسالة كثيرا إلى يسوع

وحياته. المهم فى موضوعنا هو كتاب "**فضيحة الأغيار**" الذى يناقش اثنى عشر من أسس الديانة المسيحية وينتقد العهد الجديد ويصفه بأنه ملىء بالتناقضات ويتسم بعدم الدقة وبالتحريف. وضع دوران هذا الكتاب بدعوة من الحبر حسداى قرشقاش؛ ويبدو أنه أراد لهذا الكتاب أن يكون عونا للحبر حسداى الذى أراد أن يستعين به فى وضع كتاب جدلى خاص به بعنوان "**إبطال أسس المسيحية**" (كتبه عام 1397م). حظى كتاب "**فضيحة الأغيار**" بتقدير كبير ويعتبر هو ورسالة "**لا تكن مثل آبائك**" من الكتب الرئيسة فى أدب الجدل اليهودى.

يتناول دوران فى هذا الكتاب حقيقة قصص يسوع ويقول إن تحديد زمن يسوع بفترة ما بعد التلمود فى عصر الحبر يهوشواع بن براحيا فى العصر الحشمونائى، أمر غير ملزم (يخالف دوران ما شاع فى أدب الجدل الذى يقول بأن يسوع كان من تلاميذ الحبر يهوشواع بن براحيا، الذى عاش قبل حوالى مئة وخمسين عاما من خراب الهيكل الثانى. وتخالف هذه الرواية الادعاء المسيحى بأن خراب الهيكل كان عقابا على طلب يسوع ويبدو أن دوران لم يخش هذا الادعاء). كما قارن دوران بين يسوع وتلاميذه من ناحية وتلاميذ تلاميذهم من ناحية أخرى وقال: "**إن يسوع الناصرى وتلاميذه ورسله والذين أسميهم أنا "الضالين" لأنهم ضلوا ولم يصل إلى مرتبة التضليل غيرهم سوى القليل .... أما من جاءوا بعدهم من زعماء هذه الأمة فأنا أسميهم "المضلين" لأنهم مع ضلالهم وصلوا إلى مرتبة تضليل غيرهم**". **ويبدو أن الأخيرين، على حد قول دوران، بدلوا نوايا الأولين: "إن المسيح المزعوم لم يقصد أبدا أن يجعل نفسه إلها وكذلك الضالون. كما لم يفكر يسوع فى المساس بالتوراة ونسخها؛ بل من جاء بعده هو الذى**

ألصق به هذه الفكرة." مع هذا يصف دوران يسوع وتلاميذه، كشعوب الأرض، بأنهم ضالين وجهلة، علمهم بالتوراة سطحى حتى أنهم لا يعرفون صلاة "**إسمع يا إسرائيل**[1]". وكل ما عرفوه وسمعوه من الخطب الدينية الضعيفة.

يعزو دوران المعجزات التى جاء بها يسوع إلى قوى سحرية، لكن لأن يسوع حرف فى التوراة التى سمعها هكذا حدث له عندما اكتسب علما من العلوم السرية "**لأن يسوع استعان بالجانب الأيسر، وهو الجانب النجس من علم الغيب**."

ونعرض فيما يلى لبعض الفصول من كتاب دوران يركز فيها على شخصية يسوع، ولكن ينبغى أن نشير إلى أن الكتاب فى معظمه يركز على أسس الديانة المسيحية بدرجة أكبر من تركيزه على صاحبها.

الفصل الأول

لم يقصد المسيح المزعوم ولا تلاميذه أن يتخذوا منه إلها، وذلك على عكس اعتقاد من جاءوا بعدهم. ... فالمسيح المزعوم لم يقصد قط أن يجعل من نفسه إلها، ولم يقصد الضالون ذلك أيضا. ولا نجد فى كل ما كتبوا فى الأناجيل والرسائل فى العهد الجديد أنهم اتخذوه إلها؛ بل يشيرون إليه دائما بعبارة "السيد يسوع" أو "سيدنا يسوع" ولم يقولوا قط "إلهنا يسوع". لكنهم اعتبروه أفضل الجنس البشرى وأفضل من سيدنا موسى عليه السلام. لذا أطلق يسوع على نفسه "ابن الله" وناداه تلاميذه بهذه العبارة للدلالة على

[1] صلاة يهودية تبدأ بعبارة «اسمع يا إسرائيل».

سمو مكانته. وبما أن موسى عليه السلام، وفقا لاعتقادهم الخطأ، كان فى مرتبة العبد كما ورد "عبدى موسى"[1] و"موسى عبد الله"[2] فإن يسوع فى مرتبة الابن الحبيب.

الفصل الثانى

... سمعت فى شبابى عندما كنت فى المدرسة الدينية من أحد الأشكناز العالمين بالتلمود ومن رجال القبالاة أن يسوع الناصرى وتلاميذه كانوا من المتصوفة؛ إلا أن تصوفهم كان مغلوطا. ففى الشق العملى من هذا العلم (التصوف) أتى بأمور غريبة خارقة لقوانين الطبيعة. ولم يقبل الأشكنازى مقولة الأحبار بأن يسوع مارس السحر والتحريض والتضليل وأجاب بأنه استعان بالشق الأيسر (من القبالاة) وهو الشق النجس ...

الفصل الرابع

لم يفكر يسوع قط فى معارضة الشريعة الإلهية؛ بل أراد تطبيقها وتخليدها وكذلك اعتبرها تلاميذه أبدية لأنها فرضت عليهم.

لا نجد فى الأناجيل الأربعة أن يسوع فكر فى أن يأتى بشىء يخالف الشريعة الالهية وأن يغير فيها شيئا صغيرا كان أو كبيرا؛ بل يبدو أنه كان يريد تطبيق الشريعة وأنه آمن بخلودها واعتبر نفسه من أشد المتمسكين بها، ولكنه ضل عن ذلك. فورد فى إنجيل متى (5: 17) أن يسوع قال لتلاميذه: « لا تظنوا أني

[1] العدد 12:7

[2] يشوع 1:1

جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل". وكذلك في إنجيل لوقا (16: 17): «[17] ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس»؛ وفي إنجيل متى (23: 2-3): « على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون، [3] فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون». ومن يقول بأن يسوع أمر تلاميذه أن يفعلوا كل ما قال به الكتبة والفريسيون[1] الجالسون على كرسي موسى. وإن كان ما ورد من قصص حول صلبه حقيقي فإنكم لن تجدوا أن يسوع حوكم على خروجه على الشريعة؛ بل لزعمه أنه ابن الله وأنه المسيح.

الفصل التاسع: عن مريم أم يسوع وأمور أخرى

... تقول عقيدتهم إن مريم أم يسوع حملت به وهي عذراء من روح القدس. ورد هذا في إنجيل متى 1: 23-30. ولا نسمع عن مريم في أي من القصص باستثناء وقوفها في المكان الذي صلب فيه يسوع ومعها يوحنا صاحب الإنجيل الذي وقف معها. يقول الإنجيل: "[25] وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه، وأخت أمه مريم زوجة كلوبا، ومريم المجدلية. [26] فلما رأى

[1] كلمة «فريسيون» مأخوذة من الكلمة العبرية «بيروشيم»، أي «المنعزلون». وكانوا يلقبون أيضا بلقب «حبيريم»، أي «الرفاق أو الزملاء»، وهم أيضا «الكتبة»، أو على الأقل قسم منهم، من أتباع شماي الذين يشير إليهم المسيح عليه السلام. والفريسيون فرقة دينية وحزب سياسي ظهر نتيجة الهبوط التدريجي لمكانة الكهنوت اليهودي بتأثير الحضارة الهيلينية التي تعلى من شأن الحكيم على حساب الكاهن. ويرجع التراث اليهودي جذورهم إلى القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد؛ بل يقال إنهم خلفاء الحسيديين (المتقين)، وهي فرقة شاركت في التمرد الحشموني. إلا أن الفريسيين ظهروا باسمهم الذي يعرفون به في عهد يوحنا هيركانوس الأول (135 - 104 ق.م)، وانقسموا فيما بعد إلى قسمين: بيت شماي وبيت هليل. وكان الفريسيون يشكلون أكبر حزب سياسي ديني في ذلك الوقت إذ بلغ عددهم حسب قول يوسفوس نحو ستة آلاف. إلا أن هذا العدد قد يكون مبالغا فيه نظرا لتحزبه لهم، بل لعله كان من أتباعهم. ويقال إنهم كانوا يشكلون أغلبية داخل السنهدرين، أو كانوا أقلية كبيرة على الأقل.

يسوع لأمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفا، قال لأمه: «يا امرأة هوذا ابنك». [27] ثم قال للتلميذ: «هوذا أمك». ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته"[1]. وذات مرة دعى يسوع وأمه إلى وليمة عرس فى مكان ما بالجليل يسمى قانا ولم يكن لديهم خمر يشربونه. فقالت له أمه: «**ليس لديهم خمر**». فأجابها: "**ما شأنى بك يا امرأة؟**». وفى أعمال الرسل 1: 14 ورد أن مريم كانت تواظب مع النساء والرجال على الصلاة. وباستثناء هذه المواضع لا نجد لمريم ذكرا فى أى من القصص؛ ولكن جاء المضلون بعد ذلك وعظموها وحكوا عنها ومدحوها وحكوا عنها معجزات وعن أشياء أخرى لا تعقل كزعمهم بأنها ولدت يسوع وهى عذراء وأنها تساند يسوع بالجسد والنفس وأنها تصلى من أجل الخاطئين. وورد عنها فى إنجيل متى 1: 25 أن يوسف خطيبها لم يمسسها حتى ولدت ابنها البكر. وكلمة "**حتى**" هنا تشير إلى أنها لم تظل عذراء بعد ذلك. وفى الإصحاح 12: 47: « هوذا أمك وإخوتك واقفون خارجا طالبين أن يكلموك» أى أنه كان له إخوة (ولا يمكن الحديث عن مريم على أنها عذراء إلى الأبد).

الفصل العاشر: أخطاء ومغالطات من وضع يسوع وتلاميذه

لا شك فى أن يسوع وتلاميذه كانوا من الشعب ... كما أنهم أخطأوا فى قصص التوراة والأنبياء. وأعتقد ان استعانتهم بفقرات من العهد القديم لم يكن دقيقا؛ إذ كانت عادة بنى إسرائيل أن يخطبوا فى الناس كل يوم سبت ... وكان الضالون الذين لا يواظبون على سماع الخطب بسبب مساوئهم يسيئون فهم ما يسمعون. ونعرض الآن بعضا من هذه الأخطاء والمغالطات

[1] يوحنا 19: 25-27

على الرغم مما فى ذلك من تبديد للوقت .... ورد فى إنجيل متى 4: 7 أن يسوع قال للشيطان: « مكتوب أيضا: لا تجرب الرب إلهك" غير أن ما ورد فى سفر التثنية 9: 16 " الربإلهكم" بصيغة الجمع. وورد فى إنجيل متى 4: 10 أن يسوع قال للشيطان " اذهب يا شيطان! لأنه مكتوب: للربإلهك تسجد وإياه وحده تعبد" فى حين أن ما ورد فى سفر التثنية 6: 13"[13] الرب إلهك تتقي، وإياه تعبد، وباسمه تحلف". وفى الإصحاح الخامس من إنجيل متى 43 يقول يسوع لتلاميذه: « سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك». وأخطأ فى المكتوب فليست هناك فقرة كهذه فى العهد القديم (يواصل المؤلف سرد قائمة من الاقتباسات غير الدقيقة أو غير الصحيحة ليسوع وتلاميذه وتلاميذهم من العهد القديم).

يائير بن شبتاى مقوريو

(القرن السادس عشر)

معلوماتنا عن يائير بن شبتاى قليلة جدا.ءولد فى القرن السادس عشر لأسرة ثرية من عائلة قوريو فى شمال إيطاليا؛ وكان على ثقافة كبيرة ككثير من يهود إيطاليا فى ذلك العصر. يتضح من كتاباته أنه كان يبدى اهتماما كبيرا بالنحو العبرى وتاريخ نص العهد القديم وكذلك بعلم القبالاة (التصوف) والفلسفة. كما كان على دراية كبيرة بالأدب المسيحى المعاصر له. ومعروف أنه وضع كتابا باللغة اللاتينية لكننا لا نعرف عنوانه أو مضمونه. وفى كتابه "سيف ذو حدين" الذى يشير عنوانه إلى الحرب التى يريد أن يوقفها الكاتب ضد دعاوى المسيحية، يقدم يائير بن شبتاى جدلا حادا يمتزج بالدعابة الخفيفة حول دعاوى المسيحية ويفندها الواحدة تلو الأخرى. ويشير فى هذا الكتاب الذى وضع على ما يبدو فى ستينات القرن السادس عشر الميلادى إلى كفاح يهود إيطاليا فى ذلك الوقت ضد الكنيسة الكاثوليكية التى أرادت أن تسيطر على دول أوروبا فى عصر جلس فيه على كرسى البابوية فى روما رجال يكرهون بنى إسرائيل من أمثال باولو الرابع وبيوس الخامس (1555-1572). وزاد فى تلك الحقبة عدد من تحولوا عن اليهودية. على هذه الخلفية نعرف لماذا أراد يائير أن " يبدو بطلا يشهر سيفه ... ويشعل حربا ضد أعداء الله".

إن كتاب "سيف ذو حدين" عبارة عن مجادلة بين "غريب" و "عبرى". ولكن لابد أن نعترف بأنه لم يأت فيه بجديد؛ فكل ما جاء به ورد فى كتب الجدل التى سبقته. وسبق أن نوهنا إلى ذلك عندما ناقشنا "كتاب المناظرة"، حيث

تأصل أدب الجدل المناهض للمسيحية بمرور الزمن، وبدأ المنشغلون به فى تكرار ما أورد أسلافهم بشكل أو بآخر.

النقطة الرئيسة التى يناقشها يائير هى مسألة مسيحية يسوع. وأورد فى الفصل التاسع من الكتاب مئة وعد يفترض أن تتحقق فى أيام المسيح ولم تتحقق بعد؛ وهو أكبر عدد من الوعود فى أدب المجادلة الذى يدعو إلى عدم الاعتراف بيسوع مسيحا: "إن كل من له عقل فى رأسه ... يعلم ويعترف أن أيا من الوعود المئة التى ذكرت لم يتحقق بعد".

صدر الكتاب لأول مرة بجهود يهودا روزنطال. ونقدم فيما يلى جزءا من الباب التاسع حيث يرد "العبرى" على مزاعم «الغريب» بأن يسوع جاء بمعجزات منها شفاء المرضى وتحويل المياه إلى خمر. ولا يحاول العبرى أن ينكر ذلك؛ بل إنه يقبله كأمر محتمل، ولكنه يقول إنه أقل شأنا مما قام به أنبياء إسرائيل، وإن ما قام به يسوع كان من قبيل السحر (ذكر يائير ذلك رمزا).

- **الغريب**: سأقدم لك ستة براهين مادية وعقلية ومن التوراة ومن الأنبياء ومن المكتوبات ومن التلمود ليتضح لك أن المسيح المنتظر جاء فى عصر الهيكل الثانى. البراهين المادية أن مؤسسى ديانتنا أى رجال العقيدة حكوا لنا المعجزات التى جاء بها مسيحنا؛ فكان يشفى الأعمى والأكمه والأبرص والكسيح والمصروع وكان يحيل الماء خمرا ويسير على الماء وصام أربعين يوما وكان يحيى الموتى وغير ذلك من معجزات. وتجد فى التلمود أن كثيرا من

المعجزات تم باسمه؛ «إليعازر بن دما لدغه ثعبان وجاء إليه يعقوب من كفر سكنيا وشفاه باسم يسوع».[1]

- **العبرى**: ... لا أرى فيما لديك ما يمكن أن يضرنى قيد أنملة وسأعرض عليك قبل كل شىء مئة وعد وعد بها الله تعالى إسرائيل فى عصر مجىء المخلص لم يتحقق أى منهم حتى الآن. وستعلم أن **ذلك الرجل** (يسوع) ليس المسيح المنتظر. وها هى الوعود الإلهية المئة التى وعد بها الله تعالى شعبه إسرائيل من خلال أنبيائه المقدسين (تأتى قائمة النبوءات المئة بأن المسيح سيموت كما لم يمت أى شاب صغير (زكريا 8: 4) أو أن ضوء القمر سيصير كضوء الشمس (إشعياء 30: 26) ... وأن كل من له عقل فى رأسه ويعترف بتوراتنا المقدسة يعلم ويعترف بأنه لم يحدث أى من الوعود المئة التى ذكرت وأنها سوف تتحقق فى عصر المسيح.
- ونرد الآن على ما قلت من كلمات لا تصمد أمام الريح. ونبدأ بالرد المادى. فإذا كان الناصرى أتى بالمعجزات التى ذكرت فإن أنبياءنا جاءوا بمعجزات أكبر منها. قلت إن الناصرى كان يشفى الأعمى، وأنا أقول لك إن سيدنا موسى عليه السلام أضاء لبنى إسرائيل وأظلم للمصريين فى الوقت نفسه وفى المكان نفسه كما ورد فى سفر الخروج 10: 23. وتقول إنه (يسوع) كان يشفى الأكمه وأنا أقول لك إن عيدو النبى أصاب الملك يربعام بالبكم والصمم عندما أراد أن يقول اقبضوا عليه فشلت يديه (الملوك الأول 13 :4). وتقول إنه كان يبرئ الأبرص والكسيح وأنا أقول إن موسى عليه السلام أبرأ أخته مريام من البرص (العدد 12) ومن لدغة أفعى (العدد 21). كما شفى **أليشع** نعمان من برصه وأصاب **جيحزي** بالبرص (الملوك الثانى 5: 27)

[1] توسفتا حولين 2: 22

.... وتقول إن يسوع أحال الماء خمرا وأنا أقول إن سيدنا موسى عليه السلام أحال الماء دما (الخروج 7: 20). وتقول إنه أطعم كثيرا من الناس بقليل من السمك والخبز؛ وأنا أقول إن سيدنا موسى عليه السلام ظل يطعم الشعب طوال أربعين سنة بالمن المرسل من السماء (الخروج 16: 35). وتقول إنه طار فى الهواء وسار على الماء وأنا أقول إن حانوخ ذهب إلى الله (التكوين 5: 24)، وسار إيليا فى عاصفة السماء (الملوك الثانى 2: 1) وموسى شق البحر (الخروج 14: 21) ويشوع شق نهر الأردن (يشوع 3: 16-17). وتقول إنه صام أربعين يوما وأنا أقول إن سيدنا موسى صام أربعين يوما ثلاث مرات (التثنية 9: 18). ... وتقول إن الناصرى أحيا الموتى وأنا أقول إن ـ أليشع أحيا الموتى فى حياته وبعد مماته (الملوك الثانى 13: 21).... وواضح كالشمس أن أنبياءنا كانوا يأتون بالمعجزات تمجيدا لله أما هو (يسوع) فإن جاء بشىء فإنه جاء به سعيا إلى مجد ذاتى؛ حيث نصب نفسه إلها. والرب تبارك وتعالى أمر بعدم صنع ألهة أخرى (الخروج 20: 2). ولا تدهش لما أتى به (يسوع) إن لم يرسله الله، لأن الرب تبارك وتعالى يؤتى الحكمة من يشاء لكن الإنسان يستعملها وفق هواه سواء فى الشر(السحر) أو فى الخير. وليس من قبيل المديح ما ذكره الأحبار فى التلمود حول ما أتى به الناصرى من شفاء هو أو تلاميذه حيث كان من الواضح لهم أنه يقوم بذلك بفعل السحر.

رابى يهودا أريه من مموديا

1648-1571

رجل دين وكاتب ومفكر

ولد رابى يهودا أريه فى البندقية – إيطاليا، لعائلة ثرية من التجار والصيارفة أصلها من فرنسا. سكنت هذه العائلة أماكن مختلفة فى إيطاليا بما فى ذلك مدينة موديا. ونظرا لتنقلات العائلة المتكررة درس رابى يهودا أريه من موديا (ريام) التوراة على أيدى معلمين مختلفين كما درس العلوم الدنيوية كما هو متبع فى إيطاليا فى القرن السادس عشر، أو كما قال: "**درست قليلا من العزف والغناء والرقص وقراءة وكتابة اللغة اللاتينية**" كما اهتم رابى يهودا بالمسرح والموسيقى بل وألف بعض المسرحيات الكوميدية ونظم عروضا مسرحية وحفلات موسيقية. ومع الوقت ذاع صيته كأحد أفضل وعاظ عصره. وقد حضر للإستماع الى مواعظه ليس اليهود فقط بل جماهير الشعب ونبلاؤه والأساقفة المسيحيون. عمل فى الأعمال الدينية الى جانب الوعظ مثل كتابة الرسائل والقصائد الدينية كما عمل فى الترجمة والسمسرة وكان فى آخر أيامه فقيرا جدا.

شهد رابى يهودا زيادة الحركة الرجعية الكاثوليكية ومال كثيرا من يهود إيطاليا الى تغيير دينهم الى المسيحية. ولقد نهض زعماء االيهودية الروحانيون ومن بينهم رابى يهودا الى الدفاع عن دينهم. ولقد جادل رابى يهودا فى هذا الاطار الكثير من المسيحيين جدلا شفهيا. لكنه فى آخر أيامه بدأ فى وضع كتاب جدلى منظم ضد المسيحية أسماه "**الدرع والسيف**" "**الدرع**" لأنه يدافع

به ضد هجوم المسيحيين على اليهود و"**السيف**" لأنه يقدم لليهود السلاح لاثبات فساد عقيدة المسيحيين.

يختلف كتاب رابى يهودا عن باقى الكتابات الجدلية لسابقيه لأنها لا تحتوى على أى قدر من التبريرات. ومكتوب بأسلوب معتدل نسبيا من منطلق الدعوة الى استخدام المنطق للتفريق بين الحق والباطل. هاجم رابى يهودا الأدب الشعبى حول تاريخ المسيح واعتبر ذلك كذب وافتراء.

كان من المفروض أن يضم الكتاب تسعة أو عشرة فصول لكن رابى يهودا مات بعد وضع خمسة منهم فقط: آدم والتثليث والتجسيد وولادة مريم العذراء وعن المسيح. وكان من بين الفصول المخطط لها فصل عن موت يسوع وإحيائه.

سوف نعرض لثلاثة أقسام (معارك على حد قوله) من الفصل الثالث (معسكر). إن التقسيم الى معارك ومعسكرات إنما يأتى ليضيف جو من المعارك والانتصارات. يعتبر رابى يهودا يسوع فريسيا تمرد على معلميه فى مسائل تشريعية هامشية. وأدى هذا الخلاف، فى رأى الكاتب، الى التفريق بينهم. ولرفع مكانته بين الناس قدم يسوع نفسه على أنه ابن الله. وذلك مثل الشخص القريب من الله قربا نفسيا وروحيا خاصا لكنه لم يفكر أبدا فى أن يعتبر نفسه تجسيدا لله على الأرض. ونجد هنا نظرة فاحصة للأحداث وعلاقة حذرة تثير الدهشة حول شخص المسيح.

المعركة 8 – لا يوجد فى جميع الأناجيل أنه سمى نفسه الله

وفقالرواية الأناجيل فإن من الأحداث التى حدثت وما قاله يسوع أثناء موته وطريقة موته فإن كل ذلك يدل على أنه لم يكن إلها(...) فلن تجد فى الأناجيل أنه قال أنه كان إلهالكن بشرا بل أقل من غيره. وإن كان قد أطلق على نفسه أحيانا ابن الله فسوف نعرض لذلك بالتفسير مؤخرا (فى المعركة الثامنة حتى العاشرة التى لم تكتب فى النهاية).

فى البداية يقولون أنه صلى على نفسه (المزمور 22) وأنه قال فى أثناء موته "إلهي، إلهي، لماذا تركتني" وقال "أما أنا فدودة لا إنسان. عار عند البشر ومحتقر الشعب"[1]. ورغم كل محاولات المسيحيين القول أنه كان يتحدث عن الجزء البشرى فمن الواضح أنه سمى نفسه إنسانا. (...) ونرى فى الأ ناجيل أنه دعا نفسه دائما إنسانا ورجلا فى عدة مواضع وأنه أرجع قوته وأهميته بالنسبة للعالم الى أبيه فى السماء (...) وعندما غسل قدميه قال "ثم صب ماء في مغسل، وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان متزرا بها"[2]. إذا فقد سمى نفسه بشرا. وكذلك فى الصلاة التى صححها لهم حيث قال " فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض. خبزنا كفافنا أعطنا اليوم. واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا. ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير. لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد. آمين. فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم

[1] المزامير 6:22

[2] يوحنا 5:13

يغفر لكم أيضا أبوكم السماوي. [15] وإن لم تغفروا للناس زلاتهم، لا يغفر أبوكم أيضا زلاتكم."[1]. ولقد سأله تلاميذه فى إنجيل مرقس 13: 3- عن يوم القيامة وبعث الموتى وقالوا له : متى سيكون ذلك اليوم؟ أجابهم : "ما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن، إلا الآب" من هنا نجد أنه صنف نفسه مع بنى البشر فهو لا يعرف موعد يوم القيامة.(...) كما يقول فى إنجيل متى 21: 18-19 [18]" وفي الصبح إذ كان راجعا إلى المدينة جاع [19] فنظر شجرة تين على الطريق، وجاء إليها فلم يجد فيها شيئا إلا ورقا فقط. فقال لها:« لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد!». فيبست التينة في الحال" فلو تجاهلنا مقولة أن الله قد جاع، لكن ما ذنب شجرة التين؟ ونقول لو كان إلها حقا أو ابن الله فكيف تخفى عليه معلومة صغيرة كانت أم كبيرة.؟ (...) وإن كان لا يعلم فلا يمكن القول أنه كان إلها.

المعركة 9 – رأيى فى ما صنعه الناصرى

فكرت ملياً فى كيف بدأ وكيف وصل صنع الناصرى وماذا قصد من أقواله ومواعظه وأعماله من أجل أن يعظم شأنه. وعندما علا شأنه وصف نفسه بأنه ابن الله. ففى القصة التى رأيتها مع أحد أبناء شعبى (كتاب تاريخ يسوع) حول أخطاء شبابه وجرائم حياته وكيف صنع المعجزات وحتى موته، يبدو لى أن كل ذلك كذب وافتراء كتبه شخص كان ضده من البداية ليلحق به العار. والواقع أنه عار على بنى إسرائيل أن يصدقوا ذلك لأسباب كثيرة. وعندما درست كتبهم شعرت أننى عشت معه فى عصره. ونعلم أنه فى تلك

[1] متى 6:9 -15

الأيام، نهاية الهيكل الثانى، كان اليهود طوائف عدة تعترف جميعها بتوراة موسى لكنها تختلف على تفسيرها ووصاياها. ومن هذه الطوائف الفريسيين والكتبة الذين كتبوا المشنا وكذلك الصدوقيين وغيرهم. (...) لقد اختار الناصرى من بينهم الطريق الحقيقية واتبع الفريسيين فى كل أقوالهم فى العقيدة. ونرى بوضوح فى الأنجيل أنه قال لتلاميذه "[1] حِينَئِذٍ خَاطَبَ يَسُوعُ الْجُمُوعَ وَلاَمِيذَهُ [2] قَائِلاً: «عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى جَلَسَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ، [3] فَكُلُّ مَا قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَافْعَلُوهُ، وَلكِنْ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ لاَ تَعْمَلُوا، لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلاَ يَفْعَلُونَ."[1]. فنجد أنه لايعترف فقط بتوراة موسى المكتوبة بل بالشفهية أيضاوالتى قبلها أيضا(...) فلو أنه أراد تغيير شيئا بسيطا من التوراة المكتوبة فلن يصغ له أحد ولكن اضطهده الجميع. لذلك اعترف دائما بالتوراة " لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ"[2] كما قال "[18] فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ"[3] ولقد قال فى بعض الأحيان أنه لم تكن هناك شريعة لموسى فى سيناء لكن ذلك من ابتداع الفريسيين، وبدأ فى استفزازهم والتعالى عليهم. فنرى أنه كان يستنكر وصية غسل اليدين والمباركة عليهما "مبارك أنت يا الله يا إلهنا يا ملك الدنيا الذى قدسنا وأمرنا بتنفيذ وصاياه" فستجد فى الأناجيل أن الفريسيين يؤنبوه "[1] حِينَئِذٍ جَاءَ إِلَى يَسُوعَ كَتَبَةٌ وَفَرِّيسِيُّونَ الَّذِينَ مِنْ أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: [2] «لِمَاذَا تَتَعَدَّى تَلاَمِيذُكَ تَقْلِيدَ

---

[1] متى 23: 1-3

[2] متى 5: 17

[3] متى 5: 18

الشيوخ ، فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزا؟» [3] ، فأجاب وقال لهم:« وأنتم أيضا، لماذا تعصون وصية الله بسبب تقليدكم؟ [4] فإن الله أوصى قائلا: أكرم أباك وأمك، ومن يشتم أبا أو أما فليمت موتا. [5] وأما أنتم فتقولون: من قال لأبيه أو لأمه: قربان هو الذي تنتفع به مني فلا يكرم أباه أو أمه. [6] قد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم!"[1] وعندما سمع الفريسيون أن ذلك الرجل يخالفهم وهو مازال صغيرا خافوا من أن تكون هناك طائفة أخرى ممن يغيرون أقوال التوراة مثل الصدوقيين وأمثالهم فبدأوا فى متابعته وتكذيب أقواله وأعماله. وكان وقتها قد أصبح أكثر قوة واتبعه البعض من العامة الذين أصبحوا فيما بعد تلاميذه ومتبعيه ولأنه لم يكن يقول بترك شئ من التوراة واجههم وحاول أن يثبت كونه إلهاومخلصا أكبر من أى نبى. وألصق بنفسه لقب ابن الله ولم يقم أحد من قبل بتلك الخدعة من أجل تحقيق هدفه فذلك أكثر أمناله من المحاكمة، فأصغ كيف قام بذلك.

المعركة 10 – تفسير أقوى الخدع، وصف نفسه بابن الله ولماذا؟

ليس لدى شك فى أن الناصرى لم يجرؤ يوما أن يقول أنه إلهاأو جزءا منه كما يدعى المسيحيون اليوم ويؤمنون أنه كان كذلك. ومما نستطيع أن نحكم عليه، من أقواله وأفعاله، لا نجد أنه طرأ بباله أن يكون إلها. لم يكن أحمقا وعرف حقيقة حاله ورأى أن كل من أراد أن يصنع نفسه إلهاكان من الملوك الكبار، مثل هؤلاء الذين ذكرهم الحاخامات (فى الأدب المدراشى) فرعون، حيرام، نبوخذ نصر، الأسكندر المقدونى..(...) وذلك لعظمتهم وتراثهم

[1] متى 15:1-6

فكانوا يستطيعون أن يتعالوا على الناس وأن يخفوا عيوبهم. أما من لم يكن ملكا كبيرا فلا يستطيع أن يصنع ذلك إلا عن طريق الزهد الشديد وأن يكون نبيا ليس أكثر. فهاهو محمد زعيم الاسماعيليين والذى كان قائدا عسكريا وحاكما عظيما لم يفكر يوما فى نفسه أن ينسب لنفسه الالوهية بل رسولا كبيرا مقربا من الله. فإن كان الأمر كذلك فلا يجب أن نصدق أن الناصرى أراد أن يصنع نفسه إلهاوأن يروه فى ذلك الوقت يأكل ويشرب وينام ويقضى حاجته ولا يختلف عن بقية الناس فى شئ. وألا يحدث ما حدث من الموت ومطاردة الفريسيين له وعلم أنهم سيخبرون الجميع أنه كذب. وكيف كان ليسوع أن يعلم ماذا ستقول الأجيال من بعده؟ فى أن يأتى بعد موته من يختلق أشياء ويقول أن يسوع كان إلهاوبشرا فى نفس الوقت، وأن من مات هو البشر وليس الاله؟ مع هذا يقولون أن الشق الالهى مات كى يكفر عن خطيئة الانسان الأول ويخلص العالم وابتداعات كثيرة نسبها اليه من أتوا بعده. أشياء لا يقبلها عقل إنسان. ولم يخف عنه أنه لو قال أنه إله أو جزء من الله لقام الشعب عليه بل والمؤمنون به ورجموه بالحجارة دون أن يقدم للمحاكمة- أكان يسوع حقا يريد أن يظهر فى عيون الناس أنه أكثر من نبى وأن يكبر ويتعاظم أكثر من أى مرتبة ومن مجرد مخالفة الحاخامات الفريسيين، واختلق لنفسه صفة بن الله.

فإنه بهذه الطريقة كان سوف يتعالى على جميع الشعب وأن يعاملوه على أنه أكثر من مولود لإمرأة وأكثر من أى نبى بل وأكثر من سيدنا موسى عليه السلام. بل وأكثر من جميع الملائكة لأن مكانة الابن عند الأب أكبر من مكانة العبد والخادم (...). وإن كان هو بن الله وأنه أعظم من الآخرين فإنه بهذه الصفة (ابن الله) سيصبح هو وتلاميذه أعلى من مرتبة كل الأنبياء بل ومن

ملائكة السماء والشعب كله. لكن مع هذا لانجدهم نادوه بالله حتى بعد وفاته بفترة. ونلاحظ أنه كان يعتذر للسنهدرين[1] والقضاة عن هذه الصفة ويقول أنه لم يقصد أن تنسب له الالوهية. (...) انظروافهم أن يسوع قال إن الأب قدسه وأرسله الى العالم وأنه كان يقول فى كل مكان أن الأب أرسله، الذى يعرفه الذى أعطاه الحكم وأنه لم ينجيه وأنه نفسه ليس إلها(...) لأنه لا إله إلا الله وأنه ملاذ الأتقياء.

[1] ويشار إليه بلفظ «سنهدرين» فقط. و«السنهدرين» صيغة عبرية للكلمة اليونانية «سندريون» وتعني «مجلس». وقد كان هذا الاسم يطلق على الهيئة القضائية العليا المختصة بالنظر في القضايا السياسية والجنائية والدينية المهمة في المناطق التي كان يعيش فيها اليهود في فلسطين. **(المترجم)**

العصر الحديث

تسفى جريتس

(1891-1817)

من كتاب تاريخ بنى إسرائيل

تلقى تسفى جريتس فى طفولته تعليما يهوديا تقليديا. وعندما شب علم نفسه عددا من اللغات الأوروبية وأكثر من القراءة فى آدابها. أدى اتصاله بالثقافة العامة إلى تطويره رؤية نقدية لأسس العقيدة اليهودية. دعى فى عام 1853 إلى العمل مدرسا فى كلية برسلاو اللاهوتية لإعداد المعلمين، وعمل بها حتى وفاته محاضرا فى العهد القديم وفى تاريخ بنى إسرائيل. تم تعيينه فى عام 1869 أستاذا شرفيا فى جامعة برسلاو. و منذ عام 1871 ركز اهتماماته البحثية فى مجال العهد القديم وتاريخ بنى إسرائيل.

يعد ما وضعه جريتس من تاريخ بنى إسرائيل أساسا لكتابة تاريخ اليهود ومازال له تأثيره حتى اليوم. وضع هذا المؤلف فى ألمانيا وترجم إلى لغات عديدة. وكانت أول ترجمة إلى العبرية بعنوان "أخبار أيام إسرائيل" تحت إشراف جزئى من جريتس نفسه. وقام بالترجمة شاؤل بنحاس رابينوفيتش (وارسو 1882-1897).

يرى جريتس فى الديانة اليهودية كيانا سياسيا دينيا فريدا "**التوراة روحه والأرض المقدسة جسده**". أو بمعنى آخر "**التوراة والأمة الإسرائيلية والأرض المقدسة مرتبطان (..) برباط قوى غير مرئى**". ومن منطلق تمسكه الفكرى باليهودية، ومن منطلق رد الفعل النفسى لأعمال المسيحية ضد بنى إسرائيل

على مر التاريخ، توصل جريتس إلى رفض المسيحية رفضا تاما بل وانتقد مصادرها الأدبية انتقادا شديدا.

ونعرض فيما يلى لأجزاء مفصلة من الباب الثالث من المجلد الثانى: "**ظهور المسيحية: يوحنا المعمدان ويسوع الناصرى**" كما وردت فى ترجمة سطرون لكتاب جريتس عام 1936. يسعى جريتس إلى التوصل إلى النواة التاريخية لروايات الأناجيل حول يسوع. ويقوم بذلك من خلال عرض ظروف الحياة الخاصة فى منطقة الجليل وسكانها فى عصر يسوع، من منطلق محاولة التفرقة بين الأحداث التاريخية كما هى وبين الروايات الأسطورية المتأخرة التى نسجت حول شخصية يسوع. يرى جريتس أن هذه الروايات جاءت لتضخيم شخصية يسوع من ناحية وإلصاق التهم والافتراءات باليهود من ناحية أخرى.

ويسوع عند جريتس شخصية تعاليمها قليلة الشأن انجذب بقوة إلى تعاليم الأسينيين[1] وأراد أن يحدث مضموناً أخلاقيا جديدا فى الديانة اليهودية دون أن يهدمها. وجاءت نهاية يسوع المأساوية نتيجة سلسلة من

[1] الأسينيون، فرقة دينية يهودية لم يأت ذكرها في العهد الجديد، ويتسم ما ورد عنها في كتابات فيلون ويوسفوس بالتناقض. ولعل هذا يدل على وجود خلافات بين الأسينيين أنفسهم والذين لم يزد عددهم عن أربعة آلاف. كانوا يمارسون شعائرهم شمال غرب البحر الميت في الفترة ما بين القرنين الثاني قبل الميلاد والأول الميلادي. والأسينيون (فيما يبدو) جناح متطرف من الفريسيين، وتقترب عقائدهم من عقائد ذلك الفريق، ويظهر هذا في ابتعادهم عن اليهودية كدين قرباني مرتبط بهيكل القدس. وكان الأسينيون يؤمنون بخلود الروح والثواب والعقاب؛ وكانوا يرفضون العبودية والملكية الخاصة، بل التجارة أيضا. وانسحبوا تماما من الحياة العامة (على عكس الفريسيين). وعاش الأسينيون حياة زهد في جماعة مترابطة؛ يلبسون ثيابا بيضاء ويتطهرون ويطبقون شريعة موسى تطبيقا حرفيا. واختفى الأسينيون عن آخرهم في أواخر القرن الأول الميلادي. وكان فكر الأسينيين متأثرا بالفكر الهيليني وأفكار فيثاغورث، وبآراء البراهمة والبوذيين، وهو ما كان منتشرا في فلسطين (ملتقى الطرق التجارية العالمية في القرن الأول قبل الميلاد). ويقال إن المسيحية الأولى تأثرت بهم. كما يقال إن يوحنا المعمدان كان قريبا من الأسينيين، وإن المسيح عليه السلام كان عضوا في هذه الفرقة الدينية وإنه تأثر بفكرهم (ومن المعروف أن المسيح طرد التجار والمرابين من الهيكل). **(المترجم)**

الأخطاء وللرومان دور كبير فيها. وليس من الصعب الشعور بالاتجاه التبريرى للدفاع عن بنى إسرائيل ليحله من الاتهام بقتل بطل المسيحية. كما يقول جريتس إن يسوع ابن امرأة، وما قام به بعد موته أكثر مما قام به فى حياته، وفى ذلك إشارة واضحة إلى معاناة اليهود بسبب اتهامهم بقتل يسوع.

«ولد يسوع قبل أربع سنوات من تقويم المسيحيين فى الناصرة، وهى بلدة صغيرة فى الجليل السفلى جنوب صفورى. وكان الابن الأكبر للنجار الذى لا يعرفه الكثيرون، يوسف وزوجه مريم أو ماريا التى أنجبت له أربعة أولاد آخرين هم يعقوب ويوسى وشمعون ويهوذا، وعددا من البنات.

ليس هناك أى دليل على أن يوسف أو مريم كانا من نسل داود، ولا يمكن إثبات ذلك. لم يبق أى ذكر لأيام شباب يسوع ومدى معرفة الناس به؛ ولكن يمكن الاستنتاج من الحالة الثقافية الموجودة فى ذلك الوقت فى الجليل مسقط رأسه. كان أهل الجليل الذين كانوا بعيدين عن أورشليم والهيكل يتلقون العلم بالتوراة والشرائع من أهل يهوذا. أما مناقشات تلاميذ الأحبار حول العقائد ومناظراتهم فى الشريعة - وهو ما ساعد على نشر المعرفة بالتوراة بين زوار الهيكل - فلم يكن مسموحا بها فى الجليل. وكانت هذه البلاد قبل خراب الهيكل فقيرة جدا فى مدارس تعليم التوراة. ومع ذلك فإن أهل الجليل كانوا حريصين على تطبيق الشرائع والعادات ولم يتهاونوا فى أى منها؛ بل هناك أمور كان مسموحا بها فى يهوذا ولكنها محرمة فى الجليل.

كان من السهل إثارة غضب أهل الجليل. فهم ورثوا عن جيرانهم من أهل الشام العديد من المعتقدات الباطلة؛ فانتشر الدجالون والمشعوذون فى الجليل. ونظرا لقربهم من أهل الشام لم يكن أهل الجليل يدققون فى لغتهم؛

فكانت اللغة الدارجة على لسانهم تختلط باللغة الآرامية. ولم يكن نطقهم العبرية صحيحا؛ حيث كانوا يبلعون ويبدلون الحروف الحلقية. وكان أهل يهوذا يسخرون منهم أحيانا لهذا السبب.

لم تتميز الناصرة محل ميلاد يسوع بأى شيء؛ فكانت منطقة صغيرة تقع فى منطقة جبلية ولم تكن أراضيها أكثر خصوبة من بقية أراض الجليل، ولا يمكن مقارنتها بأرض نابلس الغنية بالآبار والعيون. ونظرا لكون يسوع من أهل الجليل فما كان له أن يصل فى معرفة التوراة إلى المستوى الذى وصلوا إليه فى يهوذا فى مدرستى "بيت شماى[1] وبيت هلل [2]" الدينيتين. فلم يتمكن من التأثير إلا على أهل الجليل لقلة معلوماته ولغته المختلطة بالآرامية. وكان ما ينقصه من معرفة يكمله بصفاته؛ فيعتقد أنه كان ذا أخلاق رفيعة وروح تقية ورعة. ويشبه يسوع فى تواضعه هلل، الذى يبدو أنه اعتبره قدوة له وكان مبدأه «حب لأخيك ما تحبه لنفسك». وكان يسوع كهلل يعتبر السلم والعفو أسمى الدرجات. وكان ورعا ومع الله دوما. وكان على ما يبدو محبا للإنسان وتخطى مرتبة اليهودية الفريسية التى تدعو إلى أن تكون "من

[1] الحبر فريسي من معلمي المشناه (تنائيم)، ترأس هو وهليل السنهدرين. له مدرسة في التفسير أطلق عليها «بيت شماي»، واشتهرت بتعنتها. وعارض شماي «مبدأ النية»، وهو المبدأ القائل بأن موقف الشرع من أفعال المرء يتوقف أيضا على نواياه. والواقع أن تشدده كان نتيجة خوفه على اليهود من الاندماج في الشعوب الأخرى، خاصة أنه كان يعيش في عصر كانت حضارة الروم فيه آخذة في الانتشار بين شعوب الشرق. وقارن بيت شماي عادة ببيت هليل في الأدبيات الدينية اليهودية. وكانت الغلبة لمدرسة هليل في نهاية الأمر في المدارس الدينية اليهودية إلا أن ذلك لا يمنع من إيراد العلماء رأي مدرسة شماي للمقارنة من حين لآخر. **(المترجم)**

[2] هو من أشهر أحبار اليهود في فترة معلمي المشناه (تنائيم) في بابل تعلم فيها ودرس على يد معلمين فريسيين. وهو يعد من أهم المعلقين اليهود على العهد القديم ومن أهم مفسري التراث الديني اليهودي. ورئس هو وشماي السنهدرين ضمن الأزواج (زوجوت). وكان هليل (الأول) يشغل وظيفة الناسي من عام 30 ق.م حتى عام 10 ميلادية؛ كما كان صاحب مدرسة في التفسير كان يطلق عليها «بيت هليل» وكانت تتسم بالمرونة. ويأخذ اليهود حاليا بأحكام هذه المدرسة، بينما أصبحت المدرسة المنافسة (بيت شماي) ذات أهمية تاريخية وحسب. **(المترجم)**

المظلومين لا من الظالمين ومن يسمعون إهانتهم ولا يردون ويتصرفون من منطلق المحبة وسعداء بآلامهم." ويعتقد أن يسوع كان محلا للإعجاب وكان يجذب القلوب بحسن منظره. لذا كا ن كلامه يترك انطباعا مهما على مستمعيه.

إضطر يسوع إلى الانجذاب لطائفة الأسينيين لطبيعة أخلاقه. لذلك عندما جاء يوحنا المعمدان أو الأسينى ودعا الشعب إلى التعميد فى نهر الأردن والعودة إلى الله والتقرب إليه ذهب يسوع وراءه فعمده يوحنا. وإن لم يكن هناك أى دليل واضح على انضمام يسوع إلى طائفة الأسينيين، فإن أعماله وسلوكه يدلان على ذلك حيث اعترف بالنهج الأسينى. اتبع يسوع الأسينيين فى الإعلاء من شأن الزهد الذى اتبعه هو نفسه وانتقد الثراء والثروة. ... كما كان يسوع مثل الأسينيين ضد الزواج وقال : "ليس من الطيب اتخاذ زوجة" وامتدح الناس الذين أخصوا أنفسهم من أجل ملكوت السماء. وفيما يتعلق بتقاسم الثروات لم يكن كالأسينيين وحسب، بل أوصى بذلك فى شريعته. كما حذر كالأسينيين تلاميذه من حلف الأيمان؛ فقال لهم "لا تحلفوا لى بالسماء والأرض وبأى قسم آخر بل يكون كلامكم بنعم أو لا" كما أن شفاءه المرضى عن طريق المعجزات وطرده الأرواح الشريرة بالكلمات كان معروفا عند الأسينيين.

عندما قبض هيرودس على يوحنا المعمدان باعتباره خطرا على المملكة قرر يسوع الاستمرار فى طريق سيده وقال: "عودوا لأن ملكوت السماء قد اقترب". ربما لم يفكر أنه نفسه سوف يحتل المكانة الأولى فى هذا الملكوت أى منبر المسيح. غير أنه أدرك أنه كى لا يكون صوته كصوت المعمدان، بل صوت يدوى فى الفضاء ويترك تأثيرا كان عليه أن يتوجه لا إلى الشعب اليهودى كله

بل إلى طبقة محددة فيه، هى أبناء الطبقة المتوسطة من اليهود. أما سكان المدن الكبرى والصغرى فكان معظمهم يخشون الله ويحفظون وصاياه وعلى خلق قويم. لذا لم يكن هناك داع لدعوتهم إلى الرجوع عن الضلال وأن يحسنوا عملهم. ... وصدق يسوع عندما لم يدع هؤلاء إلى التوبة حتى أنه لم يدع الأثرياء والنبلاء وأصدقاء الروم وعائلة هيرودس. إذ كانوا سيسخرون منه بالطبع لو دعاهم إلى الأخلاق والإخلاص. لذلك اتجه يسوع إلى المنبوذين من اليهود. كان فى أرض يهوذا كثيرون ممن لا يعرفون الكثير عن التوراة وشرائعها أو عن تاريخ بنى إسرائيل ولا عن آماله فى المستقبل. فكان منهم المجرمين لأخطائهم ضد الدين ونبذوا من جماعاتهم ولم يرغبوا أو لم يستطيعوا العودة إليها؛ وكان منهم جباة الضرائب ومن يساعدون مملكة روما؛ وكانوا موضع كره اليهود المخلصين لشعبهم. وكان منهم المخالفين للقانون وعديمى الأخلاق ممن لم يهمهم ماض أو مستقبل. (..) توجه يسوع إلى هذه الطبقة من الشعب لينقذهم من هاويتهم ويقربهم من الله وشريعته. فأراد "إنقاذ قطيع بنى إسرائيل الضال". أما الأقوياء العالمون بالشريعة والمتمسكون بها فلم يكونوا فى حاجة إلى طبيب كما قال، لكن المرضى هم المحتاجون إليه "كى لا تضل نعجة واحدة هزيلة".

بدأ يسوع دعوته فى مدينة الناصرة بدعوة الكثيرين ممن نسوا الله والمجرمين والجباة والزوانى إلى الله وتهيئة قلبهم لما يوافق مبادئ الأسينيين واستعدادا لقدوم المسيح. غير أن الناس سخروا منه فى مدينته. فعندما دعا الناس إلى التوبة فى أحد أيام السبت فى المعبد، تساءل السامعون: "أليس هذا بن يوسف النجار؟ ألا تجلس أمه وأخواته معنا؟" وهناك من قال: "أيها

الطبيب إشف نفسك أولا!" وبسبب هذه السخرية من أبناء مدينته قال: "لا ،يهان النبى فى بلدته وبيته" وترك الناصرة ولم يعد إليها قط.

نجح يسوع فى دعوته فى كفر ناحوم، على الساحل الشمالى الغربى لشاطئ بحيرة طبرية. ويختلف سكان هذه المدينة ذات المناظر الطبيعية الخلابة عن سكان الناصرة كاختلاف المناخ بين الساحل والجبال. وكان فى كفر ناحوم كثير من الباحثين عن الشهوات والغارقين فى الخطيئة. وكان الفارق بين الأغنياء والفقراء كبيرا. لذا أصبحت هذه البلدة مرتعا خصبا لنشاطه فلقيت كلماته النابعة من العقل والقلب آذانا صاغية؛ فتبعه الكثير من أبناء الطبقات الفقيرة. وكان من أوائل تلاميذه شمعون المسمى بطرس وأخوه أندرياس وأبناء يونا وهما صيادان. كما تبعه كل من يعقوب ويوحنا ابنى رجل يسمى زباديا، وأحد الأغنياء من الجباة تسميه بعض الأناجيل متتيا والبعض الآخر لاوى. كان يسوع يجلس فى بيته بشكل دائم ويجاور أتباعه من أبناء الطبقة الفقير والحقيرة فى نظر الناس. كما تبعه نساء سيئات السمعة حظيت إحداهن بشهرة كبيرة هى مريم المجدلية. دل يسوع هؤلاء الخطاة المنبوذين على طريق التوبة. وكان ذلك أمرا لم يحدث من قبل؛ أى تعاطف المعلم اليهودى مع النساء بل الغانيات منهن.

وكانت معجزة يسوع الكبرى نجاحه بكلماته الطيبة وأعماله فى اجتذاب المذنبين والجباة والأشرار إليه. وكان يسوع أولا وقبل كل شىء يعلم تلاميذه وتلميذاته فضائل أخلاق الأسينيين والإخلاص والتواضع ونبذ الرشوة والصبر وحب السلام. فأمر أتباعه ألا يأخذوا معهم ذهبا ولا فضة ولا نحاسا، فلا يحملون معهم إلا ملبسهم ونعالهم. ودعاهم إلى الاقتداء بالأطفال وإلى العودة ليصبحوا أنقياء مثلهم، وأن يتغيروا ويصبحوا أناس آخرين ليستطيعوا

الانضمام إلى إخوانهم الذين سيحظون بالصعود معه إلى ملكوت المسيح القريب....

لم يمس يسوع أصول اليهودية ولم يخطر بباله أن يعدل فى التوراة الموجودة بين يدى الأمة أو أن يدخل عليها أى تجديدات. كل ما أراده هو تعليم العصاة روح العدل وسبيل القديسين ليفوزوا بأيام المسيح. وكان يؤكد على وحدانية الله بصورة خاصة؛ بل إنه لم يخطر بباله أن يغير شيئا من مصطلحات الألوهية الموجودة فى اليهودية. ... وقال لتلاميذه الذين بقوا مخلصين لليهودية على لسانه: " لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل"[1] وقال "[18] فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل" وكان أفضل ما قام به يسوع ولا يجب أن نسخر منه أنه فعل ما فعل هلل حيث أضاف المشاعر الروحية إلى الشرائع اليهودية التى فهمها بقلبه....

لو اكتفى يسوع بالمواعظ الشفهية لما استطاع أن يجذب إليه تلاميذ مخلصين أو أن يقوم بأى عمل ناجح. فاستعان بالأعمال الخارقة للطبيعة. كما كان لحسن منظره وحماسه الشديد وكلامه الذى ينفذ إلى القلب أثر بالغ، لكنه كان فى حاجة إلى معجزات لإثارة الحماس لدى جماهير الشعب التى اتبعته وليحض على الإيمان التام به. وهاهى الأناجيل مليئة بالقصص والروايات المختلفة حول شفائه المرضى بالمعجزات وطرده الأرواح الشريرة. وأصبح تلاميذه يفاخرون بتلك الأعمال المعجزة أكثر من فخارهم بطريق

[1] متى 5: 17

التقوى والعدل. فانفعلت الجماهير بتغلب يسوع على الأرواح الشرير أكثر من انفعالهم بأخلاقه الطيبة. وكان فى نظر الفقراء من الناحية الفكرية مخلوقا غير طبيعى وذلك بشفائه المرضى بالرقية أو ربما بقوة التأثير على الخيال.

اختار يسوع من بين تلاميذه مستشارين وأمناء سر؛ وهم أشجعهم وأفضلهم فهما والقادرون على مساعدته فى أعماله. وكشف يسوع يوما عن مكنون قلبه وعن الغرض من أفكاره لهذه المجموعة من التلاميذ فأخذهم إلى مكان منعزل عند سفح جبل الحرمون ... عند منبع نهر الأردن بين الصخور الضخمة. وفى هذه البيئة الصخرية وافق على أن يكشف لهم عن مكنون سره. (... فأفضى يسوع لتلاميذه بأنه المسيح وأوصاهم بالاحتفاظ بذلك السر وأن الوقت لم يحن بعد لكشفه. وقال إن الوقت سيحين وسيكون من الممكن أن يبوحوا للشمس بما قال لهم فى الظلام وفوق أسطح المنازل ما قيل لهم همسا. لكن حدث عكس ما توقع يسوع وتلاميذه؛ ويبدو أن تلاميذه لم يحفظوا السر؛ فافتضح الأمر بأن يسوع لا يعد الجيل لملكوت السماء؛ بل هو المسيح المنتظر نفسه. فعارضه الشعب. انتظر الشعب أن يبرهن على مسيحيته بالآيات والمعجزات فلم يستطع أن ينفذ ما طلبوا منه وتهرب من الإجابة عن الأسئلة التى عرضوا عليه فتركوه وانفضوا من حوله. وكا ن عليه أن يفعل شيئا ليستعيد تلاميذه؛ فإما أن يفعل ما ينبغى للمسيح أن يفعل وإما الفشل. فانتظروه وكان عليه أن يذهب أولا إلى أورشليم ويثبت أمام الشعب أنه المسيح. ... لذا كان على يسوع أن يقرر بنفسه أن يسير فى ذلك الطريق الخطر. فلم يكن آمنا حتى فى الجليل حيث تربص به جواسيس هيرودس فاضطر إلى الانتقال من مكان لآخر. ... وتحكى الأساطير عن ظهوره فى أورشليم، لكن الأصل التاريخى فى تلك الروايات ضعيف، فتقول

الأسطورة إن الشعب استقبله بالغناء والاحترام الكبير فى أورشليم وقالوا له " ِصغا" لكن هذا الشعب طالب بعد أيام عدة بأن يحكموا عليه بالموت. وهنا نجد أمرين متناقضين؛ الأول: استقبال الشعب له على أنه المسيح، والآخر تعليق مسؤولية محاكمته على بنى إسرائيل كلهم. فلا أساس تاريخى للرواية. (إنجيل متى 21: 12-...) [حول أعمال العنف التى قام بها يسوع فى الهيكل حيث قلب موائد الصيارفة وطرد بائعى الحمام].

أما أهم فصل فى حياة يسوع موقفه من الشعب والسنهدرين فى أورشليم. وما إذا كان قال إنه المسيح! فقد روى ذلك بأشكال مختلفة إلى درجة لا يمكن الفصل فيها بين النواة التاريخية وبين الإضافات الأسطورية. كانت هناك بالفعل أخبار مسبقة عنه فى العاصمة أورشليم. وكان المثقفون من أبناء الشعب أقل الناس انتظارا لأن يأتى رجل من الجليل لم يرد له ذكر فى التوراة وأن يكون هو المسيح ولهذا كان مجىء المسيح من أرض الجليل أمرا يتعارض مع ما هو معروف منذ مئات السنين بأن المسيح المنتظر سيأتى من بيت لحم من نسل داود ... وزاد من استياء المتدينين ذهابه مع العصاة والجباة والزوانى ومشاركتهم عيشهم. حتى تلاميذ يوحنا المعمدان لم يرقهم ذلك. كل هذه العلامات غير الموافقة لصورة المسيح أدت إلى عدم اكتراث أعيان الشعب والكتبة به فلم يلقوه بالترحاب فى أورشليم.

سمح يسوع لمعارضيه بالمساس به حيث انتشرت شائعات بأنه يزعم أنه «ابن الرب». ولو أخذنا هذا التعبير كما هو سنجد أنه تآمر على أسس العقيدة اليهودية، وهذا ما لم يكن ليسمح به المتدينون. ولكن كيف استطاعت المحكمة التأكد من أنه هو الذى قال ذلك عن نفسه حقا؟ وماذا كان غرضه من هذا اللقب؟ وكيف استطاعت المحكمة معرفة ما إذا كان

ذلك سرا فى مجموعة صغيرة، وكيف علمت المحكمة بنواياه؟ لذا كانت هناك حاجة إلى شخص خائن من المجموعة ليأتى ويفضح أمره على الملأ. وكان هذا الخائن يهوذا الإسخريوطى الذى اعتبر يسوع مسيحا؛ فسلمه للمحاكمة جشعا وطمعا.

وبعد أن قبض الحراس على يسوع انفض تلاميذه من حوله وفروا بأنفسهم ولم يبق إلا شمعون (بطرس) يتبعه من بعيد. وفى الرابع عشر من شهر نيسان، فى ليلة عيد الفصح، عرض يسوع على السنهدرين. وكان الكاهن الأكبر هو يوسف قيفا رئيس المحكمة فى هذه الجلسة. حقق القضاة معه وسألوه إن كان قال عن نفسه كما يقول الشهود بأنه "ابن الرب" ... وأتهم بسب الرب. وسألوه إن كان يريد أن يكون ابن الرب؛ فسكت ولم يحر جوابا. وعندما أعاد عليه رئيس المحكمة السؤال إن كان ابن الرب حقا أجاب قائلا: "أنت قلت" وأضاف قائلا: " **من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة، وآتيا على سحاب السماء**". ثبت للقضاة من هذه الأقوال، إن كان قالها حقا، أنه يعتبر نفسه ابن الرب. فمزق الكاهن الأكبر ملابسه وحكمت عليه المحكمة بحكم من سب واعتبر مذنب وفقا لظاهر الأمور؛ واتخذ السنهدرين قرارا بإعدامه بناء على تفويض من الحاكم بيلاطس الذى دعى فى العيد إلى أورشليم. ... وليس حقيقيا ما تردد عن أن بيلاطس وجد يسوع بريئا وأراد أن ينقذه وأن اليهود أرادوا قتله وإنهم أساءوا معاملته ووضعوا إكليل الشوك على رأسه للسخرية من تاج ملكه. كل هذه أمور لم يقم اليهود بها؛ بل جنود الروم المرتزقة الذين فرحوا بالسخرية من كل الشعب اليهودى. أما قضاة اليهود فلم يظهروا للمحكوم عليه أى نوع من الكراهية؛ بل على العكس عاملوه مثلما عاملوا كل محكوم عليه بالموت فأسقوه كأسا من

الخمر لتشويش فكره وتخفيف آلامه. وإن كان يسوع تعرض للجلد قبل موته فقد قام بذلك بيلاطس طبقا لقانون الروم، لأن المرء لا يجلد قبل موته فى الشريعة اليهودية. وإن كان الجنود الروم عذبوا بالسياط أو بالحبال من سمى بـ "ملك اليهود" فهم أيضا الذين صلبوه بأمر بيلاطس وقتلوه قتلا مخزيا وفقا لقوانين الروم. بل إن الحاكم الرومى الذى كان مصير أهل البلاد وحياتهم وموتهم بيده هو الذى أصدر الحكم بإعدام يسوع. فالمحكوم عليه ليس من بنى شعبه بل تم تسليمه إلى حكومة الروم. وليس سنهدرين اليهود؛ بل بيلاطس هو الذى أمر بقتل يسوع بدعوى أنه يدعو إلى التمرد فى المملكة.

يقول الرواة المسيحيون إن يسوع صلب حيا فى الساعة التاسعة صباحا ولفظ أنفاسه الأخيرة فى الثالثة عصرا (عام 30-35 ميلاديا؟) وكان آخر كلامه كما يقولون فقرة من سفر المزامير باللغة الآرامية "إيلي، إيلي، لما شبقتني؟» أي: إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟". ويقولون إن جند الروم كتبوا على الصليب للسخرية من اليهود "يسوع الناصرى ملك اليهود". ويبدو أن تم الصلب والدفن تما خارج المدينة فى مكان مخصص لمن تدينهم المحكمة يسمى جلجثة « موضع الجمجمة».

كانت هذه نهاية رجل عمل على تقويم أخلاق الضالين من شعبه وربما كان ضحية على مذبح الخطأ. وأثار قتله الكثير من المشكلات وفى قتل عدد كبير من أبناء شعبه. فكان ابن امرأة يجب أن يقال إن ما صنعه بعد مماته أكثر من صنع فى حياته.

إفرايم ديانارد

(1930-1864)

كاتب

تلقى ديانارد فى صغره تعليما تقليديا. وعندما كبر سافر كثيرا فى أنحاء العالم واقتنى الكثير من المخطوطات والكتب القديمة. مكث فى فلسطين بهدف دراسة إمكانية إقامة مستوطنة زراعية فيها. أرسلته شركة «إسرائيل كلها أصدقاء" بعد ذلك إلى روسيا وأسس بها مكتب الهجرة اليهودية المحلية. هاجر عام 1888 إلى الولايات المتحدة وعمل هناك فى بيع المخطوطات والكتب التى اقتنى؛ كما بدأ الكتابة ونشر كتبا عدة. كان رجلا عنيدا يتشبث برأيه ويعرف بالجدل الشديد والمشاكسة. حارب الصهيونية السياسية، على الرغم من أن فكرة الاستيطان فى فلسطين كانت قريبة من قلبه. حارب بكل قوة الحركة الحسيدية[1] والحركة الإصلاحية[1]. ويمكن وصفه بمفاهيم عصرنا

[1] «الحسيدية» بالعبرية «حسيدوت» وهو مصطلح مشتق من الكلمة العبرية «حسيد»، أي «تقي». ويستخدم المصطلح لـ لإشارة إلى فرق دينية عدة في العصور القديمة والوسطى، ولكنه يستخدم في العصر الحديث للدلالة على الحركة الدينية الصوفية الحلولية التي أسسها وتزعمها بعل شيم طوف. وبدأت الحركة في جنوب بولندا وقرى أوكرانيا في القرن الثامن عشر، ولا سيما في مقاطعة بودوليا التي ظهرت فيها الحركة الفرانكية كما ظهرت فيها فرق مسيحية حلولية ذات طابع غنوصي متمردة على الكنيسة الأرثوذكسية الروسية (مثل الدوخوبور والخليستي والسكوبستي). وكانت هذه المقاطعة تابعة لتركيا في نهاية القرن السابع عشر، وانتشرت الحسيدية منها إلى وسط بولندا ولتوانيا وروسيا البيضاء ثم المناطق الشرقية من الإمبراطورية النمساوية المجرية: جاليشيا، بوكوفينا، ترانسلفانيا، سلوفاكيا، فالمجر ورومانيا. ولكن كان أكبر تركيز لها في الأراضي البولندية التي ضمتها روسيا إليها. وانتشرت الحسيدية في بادئ الأمر في القرى بين أصحاب الحانات والتجار والريفيين والوكلاء الزراعيين، ثم انتشرت في المدن الكبيرة حتى أصبحت عقيدة أغلبية اليهود في شرق أوربا بحلول عام 1815 ، بل يقال إنها صارت عقيدة نصف يهود العالم آنذاك، إلى جانب أنها عقيدة أغلبية يهود اليديشية. ويلاحظ أن الحركة الحسيدية لم تضم في صفوفها كثيرا من العمال والحرفيين اليهود، لأن الأساس الاقتصادي لوجودهم كان ثابتا، كما أن أولادهم كانوا لا يدرسون إلا التوراة، بل كانوا يتركون المدارس بسبب فقرهم.

"بالمعارض" الذى ينتمى إلى عالم المتدينين. فى كتابه "**غابة بلا دببة**" (صدر فى الولايات المتحدة عام 1929) هاجم ديانارد بشدة كل من يؤمن بيسوع التاريخى: "ويثبت بفقرات من التوراة والتلمود وبشواهد من تاريخ إسرائيل أن الإله يسوع الناصرى لم يكن له وجود ولم يولد ولم يمت؛ بل هو ابتداع من اليونانيين عبدة الأوثان وأعداء إسرائيل. كما يعِد الكاتب بأنه سيثبت فى كتابه هذا "شهادات الكذب وتناقضات الأناجيل التى تثبت هذه الأكذوبة الكبيرة" ويصف ديانارد يسوع بـ "الدب" ويستخدم المثل الشعبى المعروف "لا دببة ولا غابات" ليقول إن هناك غابة وهى المسيحية والمؤمنين بها ولكنها بلا دببة. كما أن عنوان الكتاب باللغة الانجليزية لاذع جدا من وجهة النظر المسيحية (The Zoo without an animal) (لا نبالغ إن ذكرنا أن من الباحثين المسيحيين فى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من شكك فى الصدقية التاريخية لشخصية يسوع واعتقدوا أنه لم يكن له وجود حقيقى على أرض الواقع). يظهر من الكتاب معرفة ديانارد الجيدة بالمصادر المسيحية وكتاباتها الأولى ويتضح أنه رغم كونه يهوديا يخاف الله أن ذلك لم يمنعه من القراءة فى المسيحية.

ولهذا، فإنهم لم يكونوا يخوضون في دراسة الشريعة الشفوية. وبالتالي، وجدوا أفكار الحسيدية غريبة وغير مفهومة، كما أن الأحزاب الاشتراكية والثورية نجحت في ضمهم إلى صفوفها.

[1] اليهودية الإصلاحية» فرقة دينية يهودية حديثة ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر في ألمانيا، وانتشرت منها إلى بقية أنحاء العالم، وخصوصا الولايات المتحدة. وهي، تسمى أيضا «اليهودية الليبرالية» و«اليهودية التقدمية». وهذه المصطلحات ليست مترادفة تماما، إذ يستخدم أحيانا مصطلح «اليهودية الليبرالية» للإشارة إلى اليهودية الإصلاحية التي حاولت أن تحتفظ بشيء من التراث. كما استخدم المصطلح نفسه للإشارة إلى حركة دينية أسسها كلود مونتفيوري في إنجلترا عام 1901، وكانت متطرفة في محاولاتها الإصلاحية. أما مصطلح «اليهودية التقدمية» فهو مصطلح عام يشير إلى التيارات الإصلاحية كافة.

يركز ديانارد هجماته على المسيحية فى نقطتين: المسيحية وشريعتها من ناحية ويوسف قلوزنر مؤلف كتاب "يسوع الناصرى" الذى صدر قبل كتاب ديانارد بسنوات عدة، من ناحية أخرى. يتهم ديانارد المسيحية بالتزييف والخداع وبخلق صنم (حيث أن اسم الناصرى يدل على أنه من صنع بشر) "صنع قدم على مقاس الحذاء" بمعنى: بناء شخصية يسوع وفقا لما ورد فى فقرات العهد القديم التى تحدثت عنه. ويصف ديانارد قصص الأناجيل بأنها باطلة ويسخر منها بروح المجادلة اليهودية-المسيحية نفسها فى العصور الوسطى. كما يهاجم قلوزنر بشدة قائلا: "إن حضرة الدكتور يوسف قلوزنر بصم على ذلك (الحقيقة التاريخية ليسوع) بكلتا يديه، كما لو كان من أحفاد يسوع! قلوزنر رجل العلم! يا أسفا عليك وعلى علمك!" ويقول ديانارد إن "الدكتور قلوزنر بحساب الجمل (العدد 677) يساوى "يسوع الناصرى". يبدو أن ديانارد خاف من أسلوب تعامل قلوزنر مع شخصية يسوع واعتبر الكتاب الذى وضعه باحث إسرائيلى يتحدث العبرية كتابا خطيرا يجب استئصاله من جذوره. كما لا يتردد ديانارد عن مهاجمة اليهودية الإصلاحية الأمريكية فى عصره وزعمائها الحسيديين.

ونعرض فيما يلى بعض فقرات مطولة من الكتاب تبين اللهجة اللاذعة والسخرية الشديدة والجدل الذى يعتمل فى قلب مؤلفه.

وصف وجه الدب (يسوع) وروحه

قروى يباهى بأنه فنان كبير فى الرسم أراد ان يرسم طريق نسر فى السماء. لكنه لم ير نسرا فى حياته لذلك أخذ القط رمزا وصنع له جناحين كجناحى البجعة وكتب أسفله "هذا طريق النسر فى السماء" ورأى أهل القرية ذلك وصدقوه.

لم يكن الفنانون اليونانيون صانعو الآلهة المختلفة فى مهارة صانعى التماثيل الذين اشتهروا من خلال أعمالهم. لم يكن صانعوا الآلهة فى حاجة إلى تجميل عملهم وصنعه بكل تفاصيل الإنسان وعلى شاكلته. فقد علموا أنهم لن يقدموا أعمالهم فى معارض لتعجب الناس. كما علموا أن العاقل لن ينتبه إلى سفاهتهم. كما صنعوا لأنفسهم إلها (صنما) "يهوديا"، صنما "غربيا"

أولا: لم يدرك عبدة الأصنام أن كافة عظماء بنى إسرائيل ولدوا من أم وأب كما هى الطبيعة. وكذلك الآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وداود وسليمان وإشعياء وإرميا مثل سائر أنبياء إسرائيل فكانوا كلهم بشرا مثلنا لم يولدوا عن طريق الملائكة ولم يعودوا من الموت. لم يكونوا أبناء آلهة ولم يكونوا هم أنفسهم آلهة. نسى العقل الأولون (المسيحيون) أن الملائكة أيضا والتى جاءت تبشر سارة بأنها ستلد ولدا تنكرت فى صورة إنسان وكذلك الملك الذى جاء ليبشر أم شمشون البطل بأنها ستنجب أبناء...

آمن العقل عبدة الأوثان أن الله الجالس فى السماء رجل مسن لم يتزوج طوال حياته الطويلة وتعب من حمل عبء البشر. لذا كان فى حاجة إلى نقل مقدة الكون إلى ابنه وريث عرشه فأرسل المـ ـلك جبريل وسيطا "ليتحدث باحترام" مع امرأة متزوجة (كما يسمي لوقا مريم) فى مدينة لم يكن لها وجود

سماها العلي بمرور الزمن الناصرة. في تلك المدينة التي سكنها العلي قبل بنائها كان هناك رجل يهودي من أسرة الملك داود لم يعطوه عملا في أورشليم نظرا لنسبه الأصيل بينهم. فكان عليه أن يموت فيها من الجوع. ولم يجد له مكانا آخر في أرض فلسطين إلا بين العلي عبدة الأصنام في مكان كالناصرة التي لم تبن بعد. ولم يبشر الملك الوسيط عروس خالق العالم بأنها ستلد من زوجها بمعجزة. فكيف يكون ابن الله بشرا فانيا! بل إن هذا الإله الصغير سيعيش في الأرض ويبين للبشر عيوبهم. علم يوسف زوج مريم أنها لم تحمل منه وخشي أن تصبح علرا في نظر جيرانه فأخذها إلى بيت لحم لتلد هناك في حظيرة أبقار كما ينبغي لحفيد الملك داود. غير أن سكان بيت لحم لم يشاهدوا النور الكبير الذي أخرجه الله في الحظيرة لكن الرعاة في الحقول شاهدوه رأي العين وجاءوا في اليوم التالي إلى المدينة ليحكوا ما شاهدوا من معجزات في الحقل ليلا. لكن هذا الشيء الصغير ابن الملك جبريل (الذي تنكر هو أيضا في صورة محارب يوناني) ولد رغولا كسائر البشر. ونسي رؤساء المبشرين واضعو الأناجيل أنه ابن امرأة عبرانية. وحتى إن كان أبوه ملكا أو جنا فإنه يجب ختانه. فكيف إذا جاء ابن الملك كي يعظ اليهود بالأخلاق وقالوا له: "إذهب أيها الغرل، من أنت كي تحدثنا عن الأخلاق وأنت غرل. ألست من أجلنا؟ لكن لم يلاحظ متي ومرقص ويوحنا ذلك وربما اعتقدوا أنه لن يصدق إذا قيل إن من اليهود مختنِن أحمق يختن ابن الله الذي سيكون إلها عما قريب. وكيف سيصفون غرلة الإله الكبير البطل؟ لذلك لم يذكروا شيئا من هذا القبيل. ولم يحك الغرل لوقا إلا عن ختان يسوع؛ بل إنه لم يذكر اسم المختِن لكنه حكى أكذوبة أخرى مفادها أن يسوع أخذ بعد ثمانية أيام إلى أورشليم "كوصية التوراة"، وهي وصية التوراة عرفها صاحب الإنجيل ولم تعرفها التوراة نفسها (فلا وجود في

التوراة لمثل هذه الوصية). لكن الشيخ (الله) والد يسوع الحقيقى ، لم يعرف ماذا يصنع بابنه الصغير وكيف ينقذه من الشرير هيرودس الذى أراد قتله وبدلا من قتل هيرودس بكلمة منه ذهبت قواه وأصبح بلا حول ولا قوة. فأرسل خادمه جبريل كى يخبر يوسف النجار بأن يفر مع يسوع إلى مصر ويمكثوا فيها حتى يموت هيرودس. وبعد عودته من مصر أصبح فجأة واعظا ومسيحا يأتى بالمعجزات ويحيى الموتى (ونفسه فقط هى التى لم يستطع إنقاذها من الموت). وبدأ يخدع تلاميذه الجهلاء عندما سألهم عن تصورهم إياه وعن هويته. فأجابوه بأنه المسيح. ويشهد لوقا بأن أم يسوع وشت بأن ابنها سيكون ملكا على إسرائيل وقائدهم وحاكمهم جيلا بعد جيل وأن هذه البشرى تحققت بكل تفاصيلها وجميعنا يعلم ذلك اليوم. هذا جزء صغير من رسم وجه الدب، ذلك الإله الذى خلقه زراع الغابة ومع كثير من الأشجار الوهمية فى الغابة كبرت أيضا قرون الدب وأعطته دائما وجها جديدا حسب رغبتهم: فهو نبى وواعظ يتحدث بالأكاذيب تارة؛ وابن إله يسير مع أبيه يده فى يده تارة أخرى؛ لكنهم لم يذكروا أبدا من هو أبوه، فى السماء أو فى الناصرة، وأحيانا يتحدث فى شؤون العرش كأنه هو نفسه إله. وكلها أباطيل بلا حدود. ولن يجرؤ أن يقول للرب قائل: توقف عن كلام الحمقى كالمرأة العجوز؟ فمرة يقول للرجال ألا يتخذوا النساء زوجات لهم. ألا يعلم الإله أنهم إذا لم يتزوجوا النساء لجيل واحد فإن الكون كله سينتهى خلال خمسين عاما .... رئيس الغابة الإله، يسوع الناصرى، يتحدث كالفيلسوف المجنون وينصح بعدم القيام بأى عمل؛ فالشجر والعشب والزهور وغيرها ستنمو وتكبر من تلقاء نفسها دون جهد منهم. وهكذا ستعيش الطيور فى السماء ولن تهلك جوعا. ولماذا لا يعمل الإنسان أيضا؟ إن الإله الذى يسير على قدميه (يسوع) يعلم بلا شك أنه من السهل على سن الفيل أن يمر من

ثقب إبرة ولكن لن يصل الغنى إلى ملكوت السماء. وأطاعه الأتقياء الورعون Rockefeller (ويعدد أسماء أثرياء الأمريكيين) وغيرهم دون أن يعلموا ماذا سيصنعون فى ملكوت السماء؟ فأى متعة ستكون لهم بلا مال فى ملكوت السماء؟ إن الدب الإلهى لن يخجل من التذمر أحيانا فى أنه ليس لديه مكان فى الكون ليضع فيه رأسه ولم يعرف كيف يتعلم الأخلاق من النملة، عملا بنصيحة الملك الحكيم سليمان الذى قال: "إذهب أيها الكسلان إلى النملة وتعلم منها"، حيث أن صناع الآلهة لم يعرفوا كيف يمنحوه الحكمة والمعرفة. فكان كذلك الغول وغلاظ القلب. لقد نسى الغول ذات مرة وأعطوا الدب الإله كلمات يقولها "إلهى إلهى، لماذا تركتنى؟" ولم يشعروا أنهم برهنوا بذلك على وجود إله آخر فى الكون؛ والناس تقف من بعيد ولا تهرع لإنقاذه. كل زراع الغابة وخالقى الدب الإلهى لم يفهموا هذا الأمر البسيط بأن يعطوا إلههم قوة الدب وفهم الإنسان كى يقتل قاتليه ويفر كى ينقذ نفسه من الموت. وبدلا من هذا أعطوهم الحكمة والبطولة ليفر من قبره بعد مماته دون أن يكون معه أحد أو يراه أحد. وهناك فى الخفاء وفى رقدته فى قبره يصبح فجأة حكيما كالدب الإله الذى يندم على الحمق التى اقترف فى حياته بأن يتمكن من قاتله ويقرر أن يقوم ويهرب من قبره ليلادون أن يراه أحد. ولا يظهر إلا لامرأتين جاءتا لزيارته ويحدثهما السجين الفار الذى يخشى أن يمسكوا به ويعيدوه إلى القبر. ويفر ملك الغابة ويصعد إلى السماء إلى الأب الذى رفض أن ينقذ ابنه وحيده من قاتليه؛ إلى السماء حيث الأمان من رجال بيلاطس ومن الفريسيين الذين لم يؤمنوا حتى بآلهة اليونان. هذا الفرار هو الحكمة الوحيدة التى اختلقها صناع الإله (الوثن يسوع) فليس فى السماء رجال يطاردون الآلهة ولا رجال يكذبون أقوالهم. وأشجار الغابة

(المسيحيين) أشجار جافة تؤمن بأن الإله (الوثن) سيعود إليهم فى المستقبل وقتها ستغنى كل أشجار الغابة.

هل ولد يسوع الإله (الوثن) المسيحى؟ ومتى ولد؟

كان عصرا لم يطرح فيه السذج المؤمنون بحقيقة يسوع مثل هذا السؤال. فآمن المؤمنون بكافة أباطيل أساقفتهم الذين اختلقوا لهم يوم مولد المسيح ليوافق هواهم. لكن عقلاء الجيل الجديد ممن ينكرون وبملء فيهم حقيقته يتساءلون بابتسامة خفيفة على شفاههم: "متى ولد الرجل الذى لم يكن موجودا فى الواقع؟ فلو عرفنا تاريخ مولده لما ذكره أحد ... ولثبت للقارئ العبرى بالدلائل والبراهين أنهم ورثوا الكذب حتى اليوم، وإنه لم يولد شخص كهذا قط إلا فى خيال الكاذبين عبدة الإله اليونانى، وهذا ما أقول:

تحكى الأناجيل أنه فى المرة الأولى ولد يسوع على النحو التالى: جاء الملك المكلف بالحمل إلى الناصرة إلى بيت يوسف وخطيبته مريم وأعطاها حملا وذهب، لذا سمى يسوع بالناصرى نسبة إلى مدينة الناصرة. غير أن يسوع لم يولد بها إذ خشى زوج مريم أن تصبح زوجته علرا فى نظر جيرانه؛ فأبعدها عن المدينة وذهبت لزيارة صديقتها فى أورشليم والتى حملت هى أيضا فى روح القدس. هذه هى القصة التى لا تذكر متى وأين ولد (يسوع)؟. كما لو كان ولد فى الهواء بلا زمان ولا يوم ولا شهر ولا سنة. كما لا تجيب الأناجيل عما إذا كان الملك من مواليد الناصرة أم لا. هذه هى قصة مولد يسوع .أما فى المرة الثانية فقد ولد يسوع فى بيت لحم فى يهوذا، لأن أمه وأباه جاءا إليها معا بلا وجهة محددة. فولدته فى حظيرة. وفى تلك الليلة زلزلت أركان الكون وارتعد جنود السماء والبرق والسحاب فى السماء والشمس والقمر والنجوم

والكواكب وبشر سكان الكون بأن الرب هبط من كرسى عرشه كى يسكن حظيرة حيوانات. والحقيقة أن أحدا لم يشهد ذلك؛ ولم يكن هناك سوى بعض رعاة الأغنام ذهبوا ليحكوا عن هذه المعجزات. ومن بيت لحم توجه الأب والابن والأم إلى مصر خوفا من الملك هيرودس الذى أمر بقتل الإله العظيم الذى ولد فى الحظيرة. أيولد ابن الاله مرتين فقط؟ ألا يوجد حد لذلك؟ طالعنا الأناجيل لنرى ما يحكيه لنا مرقس أو الرسل، ولم يتوان عن سرد الأكاذيب كأقرانه. ولم يعرف مرقس شيئا ليحكيه عن مولد يسوع كما لو كان هبط من السماء فجأة على الأرض ليأتى بالمعجزات.

كان من الممكن للولادة الأولى أن تكون حقيقية لولا أنها كذب تام من العار إنكاره. فمدينة الناصرة لم يكن لها وجود أصلاً فى ذلك الوقت. وكان من الممكن أن تكون أداة بالنسبة لرجل علم مثل قلوزنر الذى يعلم جيدا ويعترف بأنه لم يرد لهذه المدينة ذكر فى التلمود ولا إشارة فى كافة أسفار آباء الكنيسة المسيحية. وإذا لم يكن لمدينة الناصرة وجود فلا وجود ليوسف أو لمريم أو يسوع أو الروح القدس. والسؤال الذى يطرح نفسه هو متى ولد الرجل الذى لم يكن ولم يخلق؟. تقول الأناجيل إن يسوع سمى بالناصرى لا على اسم المدينة بل للاسم المكتوب "ناصرى يدعى" وهى فقرة اختلقها عبدة الأوثان الذين كتبوا باليونانية وعلموا من البداية أن أحدا لن يكذبهم. أما الولادة الثانية فابتدعها كاذبون جهلاء أو عباد آخرون للأوثان، صنعوا لهم قدما وفقا لمقاس الحذاء، لكنهم لم يعرفوا أن القدم يجب أن تكون بمقاس الحذاء تماما. فاختلقوا أكذوبة بيت لحم – يهوذا كى يقيموا أساسا واهيا لنسب إلههم (صنمهم) لبيت داود لأن النص المكتوب يقول: " ...وأنت يا بيت

لحم أفراته وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا."[1] لكن الكاذبين لم يعرفوا أن "بيت لحم أفراته" ليست هى بيت لحم يهوذا. والكاذب الأكبر من بين الرسل الأربعة هو متى الذى اختلق لهم أجيالا آباء وأبناء، حتى يأتى بوثنه (يسوع) من نسل داود وأن هذه الأكذوبة فى حد ذاتها عار.

يحكى الكاذب أن هيرودس أراد قتل يسوع فى الوقت الذى كانت فيه عظام هيرودس قد نخرت فى قبره قبل أربع سنوات (على فرض أن يسوع ولد فعلا فى بداية التقويم المعروف).

ماذا صنع يسوع أو أبواه فى مصر؟ هذا ما لم يستطع الكاذب إخبارنا به، بل كم من الوقت مكثوا فيها؟ وإلى أين ذهبوا بعد عودتهم من مصر؟ ربما يعلم قلوزنر رجل العلم. فمن يضمن أنه عند وجوده (قلوزنر) فى أورشليم لم يعثر على إنجيل جديد فى كهف ما، لم يعلم به صانعوا أصنام اليونان.

فى المرة الثالثة ولد يسوع عندما بلغ من العمر الثلاثين علما ويخبر الرسل بذلك. وولد هذه المرة أيضا بلا أم ونسب إلى أبيه فقط. بل إنه لم يذكر صراحة من هو أباه. ولكن من كلامه يمكن إدارك أن الرب أبوه وأنه لم يعرف أمه ولم يرغب فى معرفتها؛ بل إنه لم يسمح له بأن تجىء إليه. حتى يوم مولده هذا لم يكتبه شخص فى كتاب ولا تاريخ مولده. وأكثر من هذا ليس هناك من ينبئنا بأنه رآه أو تحدث معه وكأن يسوع هبط فجأة من السماء وبدأ يأتى بآيات ومعجزات؛ ولم يذكر ولو رمزا أين اختبأ وماذا كان من أمره طوال تلك الفترة. ورد فى موضع واحد فقط فى الإنجيل أنه ذات مرة، عندما كان فى الثانية عشرة من عمره صعد إلى أورشليم مع أبويه وهذه

[1] ميخا 5:2

هى أول مرة يرد فيها ذكر لأمه وأبيه يوسف. وأقدمت أمه على حماقة كبرى عندما قالت إن أباه يوسف لا الم ـ لك. ومن يدرى؟ ربما أرادت الاعتذار لابنها الذى سمع عبارة من أترابه بأنه ولد سفاحا. لكن هذا كله لمن يؤمن بوجوده وفقا لروايات الأناجيل.

مريم وجبريلالم ـ لك

لو ظل القرد يحاكى الإنسان ألف سنة فسيعرفه الناس من شكله ومن ذيله على الفور. اجتهد خالقو هذا الصنم، أو كما تسميه الأناجيل يسوع، فى أن يصبغوا هذه الأصنام بصبغة اليهودى الكبير على صورة المشرع سيدنا موسى. واعتقدوا بسفههم أن احترام إلههم سيزيد من احترام ابن إمرأة كسائر البشر. وابتدعوا قصة الملك جبريل وكلفوه بمهمة كبيرة هى تخصيب رحم كل امرأة اسمها مريم. الأولى مريم فى الناصرة، المدينة التى لم يكن لها وجود؛ والأخرى مريم من أورشليم ابنة زكريا الكاهن (أم يوحنا المعمدان [الحقيقة أن اسمها مذكور فى الأناجيل باسم ـ **أليصابات – لوقا1**]). ولدت الأولى الدب، الصنم نفسه، واسمه يسوع؛ وهو اسم له رنين مثل "موسى". كانت مريم أخت موسى التى أنقذت أخاها من الماء ... ومريم من أورشليم خصب الملك رحمها فأنجبت ابنها يوحنا المعمدان، نبى يسوع، الذى قال عنه إنه هو الإله نفسه. وأنشدت مريم أم الصنم أنشودة شكر للرب على ما وهبها من نعمة بإرساله الملك إليها لتلد ابن الله وتكون هى أم ذلك الولد، مثلما أنشدت مريم أخت موسى فى جنازة صديقتها عند عبورهم البحر. كما غنت مريم ابنة الكاهن زكريا أنشودة حمد وتسابيح لله لما أنعم به عليها؛ حيث لم يتركه حتى مشيب شعرها وأرسل إليها الملك جبريل. وكان ابنها يوحنا فى حاجة

إلى صانعى الأوثان كى يحاكوا هارون نبى موسى (الذى كان ثقيل اللسان). لكن صنمهم يسوع، وإن لم يجعلوه ثقيل اللسان فإنهم لم يمنحوه القوة الكافية ليتكلم عن نفسه بكلمات واضحة بأنه هو الله واكتفى بالتفاخر بأنه والأب واحد، ولم يذكر أبدا من هو الأب حتى أن اسم الله لم يذكره أبدا طوال حياته وجعلوا يوحنا يتحدث عنه (بدلا من يسوع). رحلت مريم عن أورشليم إلى بيت لحم. فكان من الضرورى لصانعى الصنم أن يذكروا اسم تلك المدينة إذ قال النبى عنها " [illegible] إسرائيل".[1] وكان من المهم لهم أن يكون صنمهم حاكما فى يهوذا ومن نسل الملك داود. كما نسى القرود أن يصنعوا هناك واحدا من نسل داود يقبل الأم التى ستلد ابن الله، ولم يعلم أحد بهذا حتى لم تجد بيتا فاضطرت للذهاب إلى الحظيرة. وفى اليوم التالى شاع الأمر عن طريق الرعاة ولكن لم يعلم أحد بذلك فى المدينة نفسها ولم يسمع به. سافرت مريم إلى مصر (مق وحده هو الذى علم بذلك ولا أحد غيره)، كى تصبح القدم مقاس الحذاء حيث أن هناك فقرة تقول صراحة: " [illegible] مصر دعوت ابني".[2] أخذت مريم يوسف معها ونسى القرود الأب الحقيقى أى الملك جبريل. فما شأن يوسف النجار بيسوع ابن الله؟! عادت مريم إلى أرض فلسطين بعد وفاة هيرودس، على الرغم من أن هيرودس مات قبل مولد يسوع. وعادت بلا شك إلى مدينة الناصرة التى لم يكن لها وجود بعد. وبدون معلم لابنها لكان أصبح جاهلا إلى الأبد، جاهلا على مدى ألف وتسعمائة وعشرين عاما، حتى تعطف عليه حفيده الذى يعيش الآن فى

[1] ميخا 5:1(فى الطبعة العبرية- ميخا 5:2 فى الترجمة العربية.)

[2] هوشع 11:1.

أورشليم مدرسا لشريعة شيخه (محاضرا للمسيحية فى الجامعة العبرية بالقدس وهو الدكتور قلوزنر الذى يساوى فى حساب الجمل 677 مثل يسوع الناصرى) الذى صنع من يسوع معلما وسماه الحاخام الجليل (كما هو مكتوب فى كتاب قلوزنر "يسوع الناصرى: حياته وشريعته".) ... وهذا يحدث أحيانا فى عصرنا؛ فالحفيد يباهى بجده؛ فلم لا يفعل شيئا من أجله؟ والآن وبعد مرور ألف وتسعمائة عام حصل الصنم على لقب "اليهودى الطيب" الذى ترك كفر ناحوم إلى طبرية لطرد الأرواح إلى بطون الخنازير ومباركة النساء. ومن يعلم ربما أرسلوه غدا إلى نيويورك كى يدرس فى مدرسة ستيفان فايس (من زعماء الإصلاح فى الولايات المتحدة) ويمنح الشهادات لتلاميذه.

بحر الكذب

ورث المسيحيون هذه الغابة المتشابكة الأغصان على مر الأجيال واعتقد الكثيرون أن الدب يجلس هناك على كرسيه. والغابة ملأى بما لا نهاية له من الأكاذيب والأباطيل والزيف والحماقات. واجتهد الزارعون فى إخراج ممتلكاتهم ونشر أكاذيبهم فى أنحاء العالم واضطروا إلى حفر القنوات وتحويل الأنهار لهذا الغرض، كى يحملوا بضاعتهم فى السفن إلى بحر العالم الكبير. وما من شىء لدى الشيطان لم يتفوقوا عليه فيه وإن لم يكن بروح المعرفة والحكمة. فبالسلاح والحديد والحكمة وبالدم والنار نشروا تجارتهم والنيران أمامهم والصحراء القفار خلفهم وويل لمن لا يريد أن يضع رقبته تحت سلاحهم ومنهم أبناء شعبنا البائس.

أى شخص يفتح كتب تشريعاتهم أى الأناجيل بلا رغبة سيضحك بشدة من هذه العقيدة الباطلة المعروفة باسم "المسيحية"، حتى أن أى رجل

غريب لم يسمع من قبل بعقيدة التنويريين فى أوروبا وأمريكا سيذهل من أن المسيحية، الوثنية القديمة، ما زالت حتى الآن عقيدة هؤلاء الناس الذين من بينهم عدد كبير من الحكماء والعلماء. ولو أراد شخص أن يحصى كل الأباطيل والأكاذيب التى تراكمت على مر العصور بفعل كهنتهم وقسسهم فإن حياته لن تكفى لإحصائها إذا لم يرغب فى إحصاء أوراق أشجار غابات أمريكا أو إحصاء عدد قطرات مياه المحيط الأطلنطى. ولو أننى كنت شابا أستطيع مطالعة كافة ما كتب قساوستهم من أسفار بكافة لغات العالم فى كل بلادهم، لما استطعت نشر أكاذيبهم وأباطيلهم. لذلك سأعرض لمن ليس لديه فكرة عن المسيحية بعض هذه الأكاذيب والأباطيل.

الكذبة رقم 1: الناصرة مدينة موجودة فى طبيعة خلابة فى منطقة الجليل؛ مدينة لم تكن موجودة فى الحقيقة حتى قبل سبعين سنة من خراب الهيكل، ولم يرد ذكرها فى أى من أسفار أخبار الأيام وفى كافة كتب التلمود على الأخص. ومثل هذا المكان الجميل فى بلدة صغيرة فى فلسطين من المستبعد أن يكون هناك من سمع بها أو رآها. والمؤكد أنها بنيت بعد تدوين الأناجيل وصنع خالقو الصنم يسوع القدم على مقاس الحذاء، على اسم يسوع الناصرى الذى اختلقوه من عندهم.

الأكذوبة رقم 2: سمى يسوع بالناصرى لما ورد فى الآية "**لذلك يسمى الناصرى**" وهى فقرة مختلقة وليس لها وجود فى الكتابات المقدسة.

الأكذوبة رقم 3: يقول صانعوا الصنم يسوع أكذوبتين فى نفس واحد. فقالوا إن فى الناصرة رجلا صديقا اسمه يوسف وفتاة مخطوبة اسمها مريم. وصلاحه لا يعنى أنه صنع خيرا كثيرا فى الدنيا بل لمجرد أنه لم يلمس

خطيبته. "وكان الرجل فقيرا وكان يعمل نجارا ومن عائلة كبيرة فى إسرائيل من نسل داود الملك". ومن داود إلى يوسف النجار عدد كله كذب وافتراء وبدون أى خجل. وفى ذلك العصر لم يعد لبيت داود ذكر. ولو كان له هذا النسب فى إسرائيل لحملوه على الأعناق ولما تركوه فى مدينة صغيرة يكسب قوته من عمله الشاق الفقير. ولم ير هذا الرجل أحد ولم يقابله أحد. هذا النوع من الكذب لا يقوله إلا صناع الأصنام الذين يقولون للخشب أنت أبى. وإن كان يوسف هو والد يسوع، ألم يستطع أن يكون ابن الله الذى أنجبه جبريل ؟! هل كان الملك جبريل من نسل الملك داود؟ هل أنجب داود ملائكة؟ ليس للملائكة نسب فى عالم الكذب. وأشك ان كان اسمها ورد فى سجل مواليد فى السماء؛ وأنا أنكر تماما إرسال الملك جبريل طالما لم أشاهد أمرا واضحا مكتوبا وموقعا من إله العالمين بأنه أرسله كى يمنح قوته للنساء فى الحياة الدنيا. ...

الأكذوبة رقم 5: مريم اسم مختلق على اسم أخت سيدنا موسى كما ذكرنا فيما سبق؛ وربما على اسم الملكة مريم التى قتلها هيرودس كى لا يكون هناك نسل من بيت داود. وهل لا يحب الملك جبريل من النساء إلا من كان اسمها مريم فيخصها بالحمل والكرامة؟ ومن يدرى ما اسمها الحقيقى فى مدينة الناصرة التى لم يكن لها وجود؟ فقد التقى الكذب بالكذب.

الأكذوبة رقم 6: يرسل يوسف مريم لتلد ابنها فى مكان آخر حتى لا يلحق به العار بين جيرانه الذين يعلمون أنه ليس من نسله ولو كان يوسف يوقن أنها لم تحمل سفاحا، ولو كانت مريم نفسها أنشدت أنشودة شكر للرب ولو كانت لم تخف حملها فلماذا خاف يوسف أكثر منها؟ أرسلها وبقى هو فى الناصرة. وتلد مريم فى الحظيرة فى بيت لحم. وفى اليوم التالى يفر يوسف معها

إلى مصر تنفيذا لأمر الله كى لا يقتل هيرودس ابنها. ولم يعرف خالق الكون كيف يتصرف لينقذ ابنه الغالى من يد الحاكم إلا بالهرب. ألم يستطع أن يرسل الملك جبريل ليخبئه فى الناصره؟ أهذا كل ما كان بوسع رب يسوع الناصرى ؟!

الأكذوبة رقم 7: يحكى كبير الأفاقين مق أن هيرودس أمر بقتل كل مولود فى بيت لحم كما فعل فرعون إذ أمر بإلقاء كل مولود عبرانى فى النهر، فى حين أن هيرودس مات قبل هذا التاريخ بأربع سنوات. وأليس من العجيب أن لم ير أى من سكان بيت لحم شيئا عندما ولد يسوع. ولم ير علامات وعجائب فى السماء إلا الرعاة فى الحقول. وما الذى تميز به الرعاة على سائر سكان فلسطين؟

الأكذوبة رقم 8: عاش يوسف ومريم فى مصر مع «ابن الرب»، ولا ذكر لما كان من أمرهم فيها؛ فكيف عاش يوسف؟ هل عمل فى مصر بالنجارة أم أن مريم عملت مرضعة فى أى بيت من بيوت الأثرياء؟ وأين درس ابنها التوراة والحكمة؟ وبعلمها بأن ابنها سيكون إلها ألم يكن بوسعها أن تربيه بدون تعليم؟ ومن كان معلمه؟ وفى أى عام حدث ذلك؟

الأكذوبة رقم 9: أضفى صانعو الأصنام على صنمهم قدرة على إحياء الموتى؛ فإذا برجل اسمه أليعازر يموت ويدفن وبعد أربعة أيام فى قبره يقترب منه الصنم (يسوع) ويحييه بكلمته فيقوم من قبره. ألم يعلم هؤلاء الهمج أنه إذا ذاع أمر هذه المعجزة بين الشعب لاجتمع الناس حوله وطالبوه بإحياء موتاهم. ولكونه رجلا طيبا إلى حد أن سماه المسيحيين اليوم "إله المحبة" ألم يكن بوسعه أن يسعدهم فيذهب إلى القبور ويحيى الموتى جميعا مرة واحدة.

ومن منعه من المجيء إلى أورشليم ليريهم معجزاته ويحيى أفراد عائلته ومعهم الملك داود والملك سليمان وكافة أنبياء يهوذا وملوكها والصديقين ورؤساء السنهدرين؟! ولو جاء بمثل هذه المعجزة الكبرى أمام مليون يهودى فى أورشليم لاعترفوا هم أيضا بأنه ابن الرب فعلا....

الأكذوبة رقم 16: قال صانعو الصنم (يسوع) على لسان صنمهم: "[11] ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان، بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان[1]

ويباهى المسيحيون بشريعته. ولو كان الأمر كذلك كان مخاط الأنف ولعاب الفم نجسا. وماذا لو بلع المرء لعابه؟ وإن قال البعض إن المقصود رمز؛ أى ما يخرج من الفم من كلام. ولو كان الأمر كذلك فإنه إذا تحدث المرء حديث الحكمة والمحبة أيكون هذا نجسا؟ ولكان أيضا كلام الواعظين والمعلمين وكل الصلوات ووصايا الأب لابنه والأم لابنتها. وبذلك يكون على سكان الأرض جميعا أن يظلوا صامتين إن اتبعوا شريعة يسوع. ألم يصغ المأفونون واضعو الأناجيل بآذانهم ما تقول أفواههم؟ كما أود أن أعلم ما إذا كان هناك أحمق فى الأرض كمؤلف كتاب «يسوع الناصرى: حياته وشريعته» (قلوزنر) يؤمن بأن صنما أحمق كهذا (يسوع) كان فى إسرائيل.

الأكذوبة رقم 17: تذكر الأناجيل مرات عديدة أن يسوع صاح عند صلبه قائلا: «إلهى إلهى لماذا تركتنى؟!» ولم يعرف صانعو الصنم (يسوع) على ما يبدو المثل الحقيقى الذى يقول إن الكاذب بحاجة إلى ذاكرة جيدة. فنسوا أن يسوع طوال حياته لم يذكر اسم "الله" وكان دائما يقول "الأب"، "أنا والأب" دون اسم الله صراحة لأنهم سموا الصنم (يسوع) الله. وعندما يصرخ "إلهى

[1] متى 15:11

إلهى" أليس ذلك اعترافا منه بأن هناك إلها غيره وأنه مجرد إنسان من لحم ودم لا يستطيع أن يخلص نفسه. ولماذا لم يأمر الأرض بأن تبتلع أعداءه فينجو هو بنفسه؟ ...

كاشف السر

تساءل كثيرون ممن لا يعرفون إجابة على سؤالهم: لماذا لقب الصنم "يسوع" بـ "الناصرى". ومن أول من لقبه بهذا اللقب ولماذا؟ ترتبك الأناجيل نفسها فى هذا الشأن ولا تذكر قولا صريحا بأنه سمى بذلك على اسم مدينة "الناصرة"، ولو كان سمى على اسم البلدة التى سكنتها مريم ويوسف النجار، ألم يكن من الأصح أن نسميه "اللحمى" على اسم مدينة بيت لحم التى ولد بها (كما ورد فى الإنجيل) بل بالأحرى تسميته "الحظيرى" على اسم الحظيرة التى ولد بها. ... تواصل الأناجيل أكاذيبها فتقول إنه لقب بذلك لما ورد فى الفقرة "لذلك يسمى الناصرى". ولكن لخيبة أمل قلوزنر، لا وجود لفقرة كهذه فى الكتابات المقدسة ولا وجود لكتاب واحد فى كتب الشعوب يحاول الرد على أقوال الناقدين باستثناء المبشر اليهودى المسيحى السيد قلوزنر؛ بل لم يجد هو أيضا أكذوبة جديدة للإجابة عن هذا السؤال، مع أنه كذب مرات عدة وكتب كلمة «الناصرى» بين قوسين كنوع من الإضافة فى كل موضع ورد فيه اسم «يسوع» فى التلمود وليس كلمة "الناصرى"؛ فقط فهو يرى أن كلمة "يسوع بمفردها غير كافية حيث من الممكن أن يسمى الكثيرون بهذا الاسم. ولم يذكر قلوزنر من أطلق عليه لقب "الناصرى" لأول مرة ولماذا؟ ومازال هذا السؤال مطروحا حتى اليوم وكذلك العديد من التساؤلات الأخرى التى لا تحصى، وأتمنى أن استطيع الإجابة عن هذا السؤال فيما يلى.

من مطالعتى كتب آباء الكنيسة المسيحية الذين أشاروا ارتجالا إلى أنهم سمعوا اسم رجل يسمى الناصرى لم يعلم هؤلاء الآباء شيئا عن مكان مولده وأعماله. كل ما سمعوه هو أنه جاء بمعجزات، ولم يعرفوا مدينة تسمى الناصرة ولا سمعوا بتلاميذه ولم يعرفوا أيا من قصص الأناجيل. طبقا لهذه الشائعات البعيدة فإن بعض الوثائق وضعها بعض المضللين المؤمنين (المسيحيين)، فكتب كل منهم وفقا لما سمع وأضاف من عنده كما يفعل كافة المؤمنين بالباطل. لم يستطيعوا تحديد زمن حياة يسوع لأنهم لم يروه أبدا ولم يروا أحدا رآه وتحدث معه. لذلك اكتفوا بكلمة "تقريبا" فى عصر حكم هيرودس، وقت الإضطرابات أيام حكم الروم فى أرض فلسطين. كما لم يعرفوا مكانه أو مسمى "الناصرى". لذا اعتقدوا أنه مكان سلكه. ونظرا لأن هذه المدينة لم تكن موجودة فإنهم وجدوا أن من الأفضل ذكر تلك المدينة ولن يستطيع أحد أن ينكر وجود يسوع إذ لن يأتى أحد من سكان المدينة وينكر وجوده، لأن المدينة لم يكن لها وجود أصلا. لكن هناك كاتب وثيقة واحدة لم يعرف ذلك، فاضطر إلى البحث عن أية إشارة تدل على وجود يسوع الناصرى فى الفقرة القائلة: "لذلك سمى بالناصرى" وهى فقرة لا وجود لها. لكن كتاب الأناجيل لم يعرفوا السر لأن صناع الصنم الأوائل أشاروا إليه رمزا "بالناصرى" ترجمة للكلمة العبرية بمعنى "المصنوع". ولم يكن يسوع كسائر الآلهة المصنوعة الأخرى وليدة الأساطير. فهو لم يولد كسائر الناس من أب وأم؛ بل جاء من نسل ملك أو روح القدس. وبعد رواية الأناجيل يأتى بعض المؤمنين بتلك العقيدة إلى مكان جميل ويؤسسون مستوطنة صغيرة يسمونها الناصرة على اسم يسوع المصنوع وكسائر روايات الأناجيل التى صنعت القدم على مقاس الحذاء قاموا هم أيضا بذلك وسموا المدينة أو المستوطنة باسم الصنم (يسوع). وهكذا يفعل الناصريون إلى يومنا هذا. فهم

يطلقون اسم المدينة على اسم أحد قديسيهم. فها هى مدينة سان باولو على اسم بولس وسانت لويس وغيرها. والناصرة بلدة صغيرة فى أرض فلسطين جميلة المنظر غير بعيدة عن حيفا يسكنها المسيحيون حتى اليوم.

يهودا داود أيزنشطاين

(1956-1854)

مؤلف دوائر معارف

تلقى تعليما تقليديا فى طفولته. هاجر عام 1872 إلى الولايات المتحدة الأمريكية وعمل هناك فى الترجمة من الإنجليزية إلى العبرية واليديش[1] (والعكس). كما عمل فى تأليف موسوعات أطلق عليها اسم "معاجم" منها "معجم الأحكام والعادات"، "معجم المجادلات"، "معجم الرحلات"...إلخ. ومن أشهر أعماله موسوعة شاملة بعنوان "معجم إسرائيل" صدرت فى نيويورك فى الأعوام 1907-1913. وأفرد فيها مادة من ست صفحات ليسوع أورد فيها ما لديه عن العهد الجديد وكتابات يوسفوس فلافيوس (حيث يرى أن ما ذكره هذا المؤرخ عن يسوع زيف تام) وأشار أكثر من مرة إلى رأيه بأنه «لم

[1] اليديش لهجة ألمانية تكتب بأحرف عبرية، وهي لغة اليهود الإشكناز في شرق أوروبا منذ العصور الوسطى حتى العصر الحديث. ظهرت اللغة اليديشية في الفترة بين عامي 1000 و1350، حين تبنى أعضاء الجماعة اليهودية ألمانية العصور الوسطى، أي لغة الشعب الذي كانوا يعيشون بين ظهرانيه، ولكنهم في الوقت نفسه كانوا في حاجة إلى مصطلح خاص بهم للتعبير عن نمط حياتهم الخاصة كجماعة وظيفية وسيطة تعمل في حرف خاصة كالتجارة والربا. ويقسم علماء اللغة تطور اليديشية إلى أربع مراحل: نهاية المرحلة المبكرة حتى عام 1250؛ اليديشية القديمة من 1250 إلى 1500؛ اليديشية الوسطى من 1500 إلى 1700؛ اليديشية الحديثة من 1750 حتى الآن. **(المترجم)**

يكن له وجود قط». ويختتم هذه المادة بهجوم شديد على "الخطوة الغريبة" التى اتخذها الأحبار الإصلاحيون فى أمريكا «الذين اتخذوا من يسوع موضوعا لمواعظهم ويمجدونه كنبى ومصلح كبير فى جيله». ويرى أن هذا الاهتمام بيسوع سيؤدى إلى توسيع الفجوة بين الإصلاحيين والأرثوذكس. وجمع أيزنشطاين فى كتابه "معجم المجادلات" المجادلات الرئيسة التى دارت بين اليهود ومعارضيهم بداية من كتاب يوسف بن متتياهو "ضد التمييز". كما خصص بابا رئيسا فى الكتاب لأدب المجادلة فى العصور الوسطى وعرض لبعض أجزاء منها مثل "كتاب المناظرة" و "تاريخ يسوع" وغيرهما. ظهر السماح بجمع مادة المسيحيين وتناول عقيدتهم بالدراسة فى الشعار الذى استخدمه فى بداية كتابه: "اعلم بماذا ترد على الكفرة" – أى أنه بدون الدراية الكاملة بالشريعة المسيحية لا يمكن الرد على دعاواها وادعاءات من اتبعوها من يهود تحولوا إلى المسيحية ومبشرين ومن يعتبرهم أيزنشطاين عملاء للمسيحية، من الإصلاحيين من ناحية وقلوزنر من ناحية أخرى.

يعرب أيزنشطاين عن رأيه فى المسيحية، إلى جانب المصادر التى يعرض لها، سواء فى مقدمة الكتاب أو فى التذييل الذى سماه "دراسات فى عقيدة المسيحيين". فهو يرى أن هناك تناقضات كثيرة وأخطاء فى الأناجيل، وما الأناجيل إلا محاكاة لكتابات اليهود المقدسة أو للمعتقدات الشعبية التى انتشرت فى العالم كله من الشرق إلى الغرب. وليس لكتابات المسيحيين، فى رأى أيزنشطاين، أية قيمة أخلاقية لم ترد من قبل فى أدب بنى إسرائيل.

ونعرض الآن لبعض مقتطفات من أقوال أيزنشطاين التى تتناول يسوع، سواء من مقدمة "معجم المجادلات" أو من التذييل. وهى محاولة لتناول مضمون لاذع وساخر عن الديانة وأتباعها بلغة معتدلة.

تاريخ يسوع الناصرى

صورت المجادلات أحبار إسرائيل وهم يسعون لدراسة تاريخ يسوع الناصرى والأناجيل (العهد الجديد) لمعرفة الرد على أساقفة المسيحيين ومن تحولوا إليها ممن يتهمون اليهود بقتل يسوع مخلصهم ويحاولون دائما الإيقاع ببنى إسرائيل فى شباكهم. إن اليهود فى حاجة بالفعل إلى التعرف جيدا على الأناجيل للوقوف على أخطائها وتناقضاتها فى كل موضوع تقريبا والتعرف على المصادر التى اعتمد عليها واضعو الأناجيل. وتساعد هذه المعرفة على إخراس المفترين على اليهود ظلما وعدوانا. ويأليت المسيحيين أنفسهم على دراية كبيرة بأناجيلهم، وليس أساقفتهم فقط، حينئذ كان عدد المؤمنين بها سيقل، أو على الأقل سيتركون اليهود لحالهم ولا يجبرونهم على الإيمان بالأناجيل التى يسمونها "العهد الجديد". يتفق الباحثون فى المئة سنة الأخيرة فيما يشبه الإجماع على أن يسوع الناصرى المذكور فى الأناجيل ليس حقيقيا بل مجرد أسطورة يرددها الناس على مدى مئات السنين الأولى من بداية التقويم الميلادى. ومثله كمثل ويليام تل الذى ظل السويسريون يعتقدون على مدى ستمئة عام أنه مسيحهم ومخلصهم حتى اكتشف المؤرخون أنه شخصية وهمية. ولا يورد المؤرخون اليونانيون والرومانيون ولا اليهودى يوسفوس الذى عاش فى العصر المنسوب ليسوع، والذين كتبوا أحداث تلك الفترة، أية إشارة إلى يسوع وحياته. والكلمات القليلة التى أضافها الأسقف إيسبيوس إلى كتب يوسفوس، ظاهرة ومعروف أنها مزيفة. وكذلك كتاب "تاريخ يسوع" الذى وجد مع اليهود هو تأليف جديد ومحاكاة لما ورد عن يسوع فى التلمود والحديث هناك عن يسوع آخر عاش فى عصر يسوع بن برحيا قبل زمن يسوع الناصرى بفترة طويلة.

بوذا ويسوع

إن فكرة المسيحية ليست بجديدة لأن مصدرها فى عقيدة بوذا. واسم بوذا معناه باللغة الهندية القديمة "الموقظ" لأنه كان موقظا لأهل الأرض من سباتهم ومخلصهم من خطاياهم. تحكى الأسطورة الهندية أنه فى كل مرة يقع فيها الناس فى الخطيئة يهبط الإله بنفسه من السماء على هيئة طفل تلده عذراء طاهرة، ويكفر عن خطاياهم بآلامه. وبذلك يخلص الناس. ... وأم بوذا اسمها مايا وكانت عذراء عندما جاءها ملك يبشرها بأنها ستلد ابن الرب فحملت بروح القدس. وجاء إلى خطيب مايا ملك آخر وقال له: "لا تخف، ستلد مايا ولدا ذكرا سيكون ملكا ذا شأن وسيخلص العالم". وأنشد الملائكة ساعة ولادته قائلين: «السلام قادم إلى العالم والفرحة لكل بنى البشر». وظلت مايا بتولا حتى بعد الولادة. كل شىء يشبه حالة أم يسوع تماما ....

من اللافت ما قيل عند ولادة بوذا فى الخامس والعشرين من شهر ديسمبر وهو يوم مولد يسوع الناصرى، على الرغم من أن ذلك يناقض ما ورد فى إنجيل متى حيث جاء المجوس من الشرق إلى أورشليم، على ما يبدو فى الصيف، وأن شهر ديسمبر شهر السحب وسقوط الأمطار ولا تظهر فيه النجوم، لذلك لا يأتى الضيوف من الشرق إلى أورشليم. غير أن المسيحيين اختلقوا عيد الميلاد فى الخامس والعشرين من ديسمبر كى يكون كأعياد عبدة الشمس قديما لأن النهار يكون أطول من الليل بعد ذلك التاريخ.

وكذلك حاكى واضعو الأناجيل، فى أيام صبا يسوع، عند قولهم إنه اختفى فجأة فى أورشليم وظهر فى الهيكل يدرس بين المعلمين بعد صبى فى الثانية

عشرة من عمره؛ ولم تعلم أمه بمكانه (لوقا 2: 41). وهذه عادة قديمة لدى الأغنياء (من غير اليهود) ممن كانوا يعلمون أولادهم فى سن الثانية عشرة (سن التكليف فى اليهودية «بارمتسفاه» الثالثة عشرة علما). ... وعندما أتم بوذا الثانية عشرة اختفى فجأة وبحثوا عنه فى كل مكان حتى عثر عليه أبوه فى المعبد المقدس جالسا بين الحكماء يتعلم الشريعة. واندهش الجميع لذلك. كما صام بوذا أربعين يوما فى الصحراء وهناك ظهر له الشيطان "مارا" وأراد إغواءه والإيقاع به فى الزنا وعرض عليه كافة المغريات والشهوات والأنوار التى فى العالم. لكن بوذا نجح فى كافة الاختبارات ولم يصغ للشيطان. ولا شك فى أن مدونى الأناجيل نقلوا هذه الأسطورة مع التغييرات اللازمة (متى4). وبعد أن ترك الشيطان بوذا ظهرت له الملائكة وخدمته، كما فى حالة يسوع تماما. ....

من ثم فلا شك فى أن كل ما ورد عن حياة يسوع الناصرى ما هو إلا عملية نسخ قام بها الكتاب المسيحيون من عبدة الأوثان وأدخلوها فى الأناجيل بعد الفترة التى حددوها لوجود يسوع ونسجوها معا. إذ ليس هناك أساس لأسطورة يسوع وحياته ليس لها أصل فى الواقع؛ بل هى من نتاج أفكار الهاذين الحالمين والمؤمنين بالأباطيل.

محاربون من بيننا

إعتاد بعض الأحبار الإصلاحيين ممن يتملقون المسيحيين تمجيد يسوع الناصرى كنبى والثناء على شريعته الأخلاقية وفى هؤلاء ضرر علينا نحن معشر اليهود يفوق ضرر المبشرين المسيحيين ... بل يفوق ضرر المتحولين إلى المسيحية، لأنهم معروفون لنا ونحن نحذرهم. ذلك أن توخى الحذر ممن

لايزالون بين ظهرانينا أصعب من توخيه من خارج اليهودية. كما يزعجنا الكتاب الذين خرجوا من جحورهم وبدأوا فى الكذب وامتداح يسوع الناصرى من أمثال الدكتور يوسف قلوزنر فى كتابه "يسوع الناصرى وشريعته"، حيث كان من أوائل الكتاب الإسرائيليين الذين وضعوا كتابا كاملا اعتذارا للمسيحية يوضح فيه وجود يسوع و"شريعته" ويعتبره صاحب أخلاق لا مثيل له. يقول إفرايم ديانارد فى كتابه "سيف الرب وإسرائيل" إن قلوزنر صبغ كتابه بصبغة علمية كى لا يعلموا أن السم بداخله. واتهمه بسوء القصد من وراء ذلك الكتاب فقال: "لتكن غاية المؤلف ما تكون، دهاء أو سفها. لكن كتابه هو السم القاتل لشباب إسرائيل وسيف فى يد أعدائنا، وواجب على كل يهودى يعرف الكتابة أن يتصدى له كى لا يضع السم فى كأس شباب الجيل الجديد". إن ديانارد رجل شديد الحساسية يتخطى أحيانا حاجز الأدب المطلوب للناقد الحقيقى. وأنا متمسك بالأسلوب المعتدل وخصصت الفصل الأخير من الكتاب لنقد كتاب قلوزنر وأكتفى بهذا.

تحقيقات فى عقيدة المسيحيين: وجود يسوع

ولد يسوع الناصرى وفق عقيدة المؤمنين به فى العام الرابع قبل بداية التقويم المسمى باسمه، وصلب فى أورشليم فى الرابع عشر من شهر نيسان (أبريل) فى العام التاسع والعشرين من التقويم الميلادى. وهو بذلك عاش ثلاثة وثلاثين عاما. بدأ دعوته وهو فى الثلاثين من عمره (لوقا 3: 23) ولا يعرف واضعوا أناجيل "العهد الجديد" شيئا عن تاريخ يسوع حتى أن تاريخ مولده لم يعرفوه ويذكرون الأجيال التى مرت من إبراهيم حتى يسوع؛ وفى

ذلك تناقض فيما بينها حيث يحصى مق ستة وعشرين جيلا ولوقا واحدا وأربعين جيلا. وهو جهد لا طائل من ورائه؛ فإن لم يكن يوسف أبا يسوع وأنه ولد من روح القدس كما يعتقدون ...

أما قصة المجوس الثلاثة الذين جاءوا من الشرق فى عهد الملك هيرودس إلى أورشليم لرؤية الطفل يسوع بعد أن شاهدوا نجما لامعا فى الشرق واعتقدوا أن ملك اليهود ولد وأرادوا السجود له، فهى قصة يدرك كل من يقرأها أنها مبتدعة ولا حاجة إلى دراستها والتحقيق فيها. ...

قيل إن يوسف ويسوع رجعا من مصر بعد موت هيرودس عملا بقول النبى " لكى يتم ما قيل بالأنبياء:« إنه سيدعى ناصريا»"[1] إلا أننا لم نجد فى الكتابات المقدسة أى نبى يطلق هذه المقولة. كما أن مدينة الناصرة لم تكن معروفة فى ذلك الوقت فى أرض فلسطين لا فى عصر الأنبياء ولا فى عصر التلمود؛ ويبدو أن هذا خطأ وأنها مشتقة من الاسم طبريا والتى سميت "جنوصر" ثم أصبحت "الناظرة" ثم "الناصرة".

تعب المؤرخون والباحثون من محاولة حل لغز تاريخ يسوع. فالأناجيل تتناقض فيما بينها فى هذا الشأن. فبولس وهو من شاول من ترشيش لم يشاهد يسوع فى حياته ؛ بل رآه فى رؤيا بعد مماته. ومرقس وهو الأول بعد رؤيا يوحنا عاش بعد موت يسوع بمئة عام، ولا يمكن له أن يصف شكل يسوع بعد أن نى كل شىء عن حياة يسوع تماما. أما لوقا فكان جامعا لأساطير وحكايات متى ومرقس ويوحنا ولم يضف شيئا سوى التغيير فى الصيغ والأساليب. أما مؤرخو الحكومة الرومية الذين سجلوا أحداث تلك

[1] مق 2: 23

الحقبة ومذكرات حكام روما الذين عاشوا فى البلاد التى احتلوها، ومن بينهم بيلاطس الذى عاش فى أورشليم، لا نجد أى ذكر ليسوع أو أية إشارة لعملية الصلب. وكذلك لم يشر كتاب إسرائيل ممن كتبوا أحداث تلك الفترة إلى يسوع الناصرى أو أعماله باستثناء ما ورد فى كتاب يوسفوس عن يسوع والتزييف واضح فيه تماما، وهو ما أثبته النقاد بشكل قاطع .... أما ما ورد فى التلمود والمدراشيم عن يسوع أو ابن بنديرا أو "**ذلك الرجل**" فلن نوضح من كان المقصود، حيث كثر فى تلك الفترة من ادعوا أنهم المسيح فهم لم يعرفوا من هو أبو يسوع ولم يعرفوا من هى أمه؛ بل لم يعرفوا فى أى عصر عاش؟ هل فى عصر "ابن سطرا" الذى عاصر بابوس بن يهوذا أو فى عصر يشوع بن برحيا. وكتاب "تاريخ يسوع" الذى بين أيدينا ليس له أية قيمة تاريخية. ...

اكتنف ظهور يسوع بعض الغموض. وحتى لو اعترفنا بأنه حقيقى فإنه كان حدثا صغيرا فى التاريخ حتى أن أبناء جيله لم يلحظوه. وكان اليهود فى ذلك العهد منشغلين بالمشكلات التى واجهوا قبل خراب الهيكل. وبعد مرور مئات السنين، وبعد أن أصبح المسيحيون طائفة كبيرة، كان أحبار إسرائيل بعدت الشقة بهم عن عصر يسوع فلم يتذكروا تفاصيل ما حدث واكتفوا بالحكايات الشعبية التى حكوا عنه وعن تلاميذه، كالحكايات عن الأسباط العشرة ونهر سمبيطون. فلا غرو إذا هب أناس من أمم العالم ومن اليهود ينكرون وجود يسوع تماما ويرون أنه كان مجرد مثال فى فم الطائفة المسيحانية فى إسرائيل ممن آمنوا بمدعى النبوة فى تلك الأيام وأطلقوا على أنبيائهم اسم يسوع. وأدى اضطهاد الروم فى نهاية عصر الهيكل الثانى إلى خلق "مسيحيين" ليعزوا أنفسهم بأنهم سيجدون من يخلصهم ويفتديهم ممن ظلموهم. ...

تحقيقات فى عقيدة المسيحيين: آيات يسوع ومعجزاته

تزخر الأناجيل بالقصص السخيفة والآيات والمعجزات التى قام بها يسوع وتلاميذه. فها هو بعد نزوله من الجبل يشفى الأبرص فيمد إليه يده ويلمسه ويقول "ارغب فى التطهر" فيشفى على الفور من مرضه. وعند مجيئه إلى كفر ناحوم يبرئ شابا معوقا من أبناء أحد وزراء الرومان ولم يكن فى حاجة إلى زيارته فى البيت؛ بل قال من بعيد شيئا فإذا بالشاب يشفى من مرضه. وفى بيت بطرس يشفى صهره من الحمى عندما لمسه بيده. كما يطرد الأرواح الشريرة من الذين أصيبوا بها ويشفى جميع المرضى من مرضهم. وعند ركوبه السفينة وهبوب العاصفة إذا به يصرخ فتهدأ الريح. كما يشفى اثنين مستهما الأرواح الشريرة (متى 8). ويأتونه فى مدينة أخرى برجل كسيح طريح الفراش فيقول له: "تمسك يا بنى فقد غفرت خطاياك" ويقول له: "قم واترك فراشك واذهب إلى بيتك" فيقوم ويذهب إلى بيته. كما يمسك بيد طفلة ميتة فيحييها. ويأتى إليه رجلان أعميان فيلمس عيونهما فيبصرا. كما يطرد روحا شريرة من جسد أبكم أصم فينطق (متى 9) ... وعندما يذهب مع تلاميذه إلى مكان قفر فيه حوالى خمسة آلاف من الرجال والنساء والأطفال يأمر تلاميذه بأن يقدموا لهم الطعام فلا يجدوا سوى خمسة أرغفة من الخبز وسمكتين. فيأكل الجميع ويشبع وتبقى اثنتا عشرة سلة مملوءة بالخبز (متى 14: 13-21). ويركب سفينة مع تلاميذه وعندما تبحر السفينة فى عرض البحر يمشى يسوع على الماء. وكذلك يفعل بطرس (مق 14: 22-29). ويتجمع الناس عند أطراف الجليل مع رجل دين جاءوا لرؤيته ومعهم العميان والكسيحون والصم وغيرهم ويعرضونهم عليه فيشفيهم جميعا. ويمكثون هناك ثلاثة أيام ولا يجدون طعاما. فيطلب من تلاميذه أن يجهزوا لهم الطعام فلا يجدون

سوى سبعة أرغفة من الخبز وسمك صغير فيأكلون جميعا ويشبعون وكان عددهم أربعة آلاف رجل غير النساء والأطفال، وتبقى سبعة سلال مملوءة بالخبز (متى 15: 29-38). وإن كان من الصعب تصديق هذه الرواية ففى المرة الأولى (متى 14) كان العدد خمسة آلاف رجل وخمسة أرغفة فقط وتبقى من السلال إثنتا عشرة. لكنهم لا يصعبون من المعجزات التى صنعها يسوع، فسمعت ذات مرة أن أسقفا فى روسيا روى فى إحدى الكنائس أمام الفلاحين تلك القصة ولكنه أخطأ وقال إن العدد كان خمسة أفراد وخمسة آلاف رغيف من الخبز فأكلوا وشبعوا وتبقى الكثير من الخبز. فسأل رجل يهودى الأسقف قائلا: "ما الجديد فى هذا؟" فأجابه الأسقف: "إن هذا بالنسبة للمستمعين عندنا معجزة كبرى".

أراد بطرس دفع الضريبة ولم يكن لديه مال فقال له يسوع: "[27] **ولكن لئلا نعثرهم، اذهب إلى البحر وألق صنارة والسمكة التي تطلع أولا خذها، ومتى فتحت فاها تجد إستارا، فخذه وأعطهم عني وعنك».**"[1] . كما أنه من الإعجاز العثور على كثير من السمك فى مكان واحد (لوقا 5، يوحنا 21). وكان جائعا وهو فى طريقه إلى أورشليم فرأى شجرة تين فاقترب منها ولم يجد فيها سوى الأوراق، فقال لها ":« **لا يأكل أحد منك ثمرا بعد إلى الأبد!». وكان تلاميذه يسمعون."** هذا على الرغم من عدم اقتراف الشجرة أى ذنب. فما ذنبها؟ فالطبيعة لم تعطها من وفرة بركاتها لتثمر فى الوقت الذى يكون فيه يسوع جائعا. ولماذا يلعنها؟ ولماذا لم يصنع لها معجزة لتثمر على الفور؟ أليس هو ابن الرب؟ كما أنه خالف تعاليم التوراة حيث قيل "« **إذا حاصرت مدينة أياما كثيرة محاربا إياها لتأخذها، فلا تتلف شجرها بوضع فأس**

[1] متى 17: 27

عليه. إنك منه تأكل. لا تقطعه. لأنه هل شجرة الحقل إنسان حتى يذهب قدامك في الحصار؟"[1] وهل لعن شجرة التين معجزة؟! فهى إذا لم تكن أخرجت ثمارها فقد كانت يابسة بالفعل. ... وهناك الكثير من الأعمال الأخرى التى قام بها يسوع. ولو كتبت واحدة واحدة فلن تكفيها كتب الأرض جميعها (يوحنا 21: 25). من هذه المبالغات يمكننا تخمين بقية القصص والمعجزات التى جاء بها يسوع أمام الناس. لكن العجيب أنه عندما جاءوا به أمام الفريسيين وطلبوا منه أن يأتى بمعجزة واحدة لم يفعل شيئا وتنهد قائلا: " لماذا يطلب هذا الجيل آية؟ الحق أقول لكم: لن يعطى هذا الجيل آية!»"[2] .... مع هذا فأين قوة يسوع التى أتت بهذه المعجزات إن كان تلاميذه قادرين على الإتيان بما أتى به من شفاء المرضى وطرد الأرواح وإحياء الموتى (كما هو مذكور عن بطرس وبولس وغيرهما)؟ مع هذا كان تلاميذه يثنون عليه لما أتى به من المعجزات ولم يمتدحوه قط على بره أو حسن خلقه. فما أهمية هذه الصفات فى الرفع من شأنه؟

[1] التثنية 20: 19

[2] مرقس 8: 12

ميخا يوسف بن جريون (ِبردتشفسكى)

(1921-1865)

كاتب ومفكر

ولد ميخا يوسف بردتشفسكى لأسرة متوسطة فى أوكرانيا مهد الحسيدية. تزوج فى سن السابعة عشرة وانتقل للعيش فى بيت أهل زوجته. وفى تلك الفترة بدأ الشك يدخل قلبه حول الحياة الحسيدية. قرأ الكثير من الكتب الثقافية مما أدى إلى مواجهة شديدة بينه وبين حميه اضطر على أثرها إلى تطليقها. ثم انتقل للعيش فى لتوانيا حيث بدأ ينجذب لأفكار حركة التنوير "الهسكالاه"[1]. وتزوج بأخرى فى عام 1887 وبدأ فى تأليف كتبه. إلا أن زيجته الثانية هذه لم يكتب لها أن تستمر. فانتقل إلى أوديسا حيث تعرف على مندلى موخير سفاريم وأحاد هاعام وكتاب آخرين. ورحل عن روسيا فى عام 1890 حيث كان يبلغ من العمر آنذاك خمسة وعشرين علما، وتوجه إلى الغرب وبدأ الدراسة فى الجامعة فى برسليو وأكمل دراسته فى برلين وأنهاها بعد حصوله على درجة الدكتوراه فى سويسرا عام 1896. ثم عاد بعد إلى برلين وتزوج للمرة الثالثة واستمر فى عمله الأدبى. كان ميخا يوسف، أثناء

[1] «هسكلاه» كلمة عبرية مشتقة من الجذر العبري «سيخيل»، ومعناها «عقل» أو «ذكاء» ثم اشتقت منها كلمة «سيكيل» بمعنى «نور» ثم استخدمت الكلمة بمعنى «استنارة»، والاسم منها «مسكيل» وجمعه «مسكليم». وتستخدم كلمة «تنوير» للإشارة إلى أثر هذه الحركة على بعض المفكرين الغربيين اليهود وعلى طوائف اليهود. كما تستخدم الكلمة فى الإشارة للمحاولات التي بذلها بعض المفكرين من أفراد طوائف اليهود لتطبيق فكر عصر الاستنارة ومثله على طوائف اليهود.

وجوده فى برلين، أحد أعلام الحياة الثقافية اليهودية فى بداية القرن العشرين. وبدأ فى ذلك الوقت عمله البحثى واشتغل فى أدب التلمود والعهد القديم وبداية المسيحية حتى وفاته عام 1921. كتب ميخا يوسف مئات القصص والمقالات وكان من أوائل من تناولوا الأدب العبرى فى الفترة من نهاية القرن التاسع عشر ومطلع العشرين. ترك طابعه الخاص على كل مجال درسه سواء أكان النقد الأدبى أو الأدب الشعبى أو المجال البحثى.

ونعرض فيما يلى لبعض فصول من بحث ميخا يوسف بعنوان "لا" والذى نشره ابنه الكاتب عمانويل بن جريون بعد وفاة والده. يتناول هذا البحث قصة يسوع بن حنان الذى ذكره يوسف بن متتياهو فى كتابه "**تاريخ حرب اليهود مع الرومان**" حيث يزعم ميخا يوسف أن يسوع بن حنان الذى يذكره يوسف بن متتياهو هو يسوع صاحب الديانة المسيحية. يقول ميخا يوسف أن الباحثين اهتموا كثيرا بالجزء الذى يذكر يسوع فى كتاب "تاريخ اليهود". لذلك لم يتطرقوا كما ينبغى إلى الجزء الموجود فى كتاب "حرب اليهود". يقارن ميخا يوسف ماذكر عن يسوع بن حنان (ويسمى كذلك عند يوسفوس"بن حنانيا") بما ذكر فى الروايات المختلفة عن يسوع فى العهد الجديد ويكشف أوجه الشبه بينهما. وبعد أن حدد أن أقوال يوسفوس فى "تاريخ اليهود" تعد إضافة متأخرة توصل إلى استنتاج "مذهل"، على حد قوله، حيث أن المذكور (فى كتاب حرب اليهود) يعتبر "التصريح العلمانى الوحيد عن صاحب الديانة الجديدة". شهادة المؤرخ اليهودى عن نبى كبير كان موجودا أيام الهيكل الثانى وأن ماقاله ميخا يوسف والقائم فى أساسه على الحدس غير المؤكد، لم تقبل به الدوائر البحثية، لكن هناك اهتملما به.

يوضح ميخا يوسف شخصية يسوع التاريخية من خلال عرض لشخصية يسوع بن حنانيا: مزارع من مدينة، عاش فى فترة قريبة من عصر خراب الهيكل، بنى كافة نبوءاته على خراب أورشليم. يرى ميخا يوسف أنه بعد وفاة هذا الرجل "يسوع" بدأت تنشأ الحركة الدينية المسماة باسمه.

يسوع بن حنان

1) فى هذا الفصل (الذى لم ينتهوا إليه كثيرا حتى اليوم) يحصى يوسف بن متتياهو الآيات والمعجزات التى أنذرت بما سيحدث لأورشليم. مشاهد خارجة عن الطبيعة أخافت الشعب. ولكن كان أشد منها رجل يتنبأ بالمستقبل اسمه يسوع بن حنان (يسوع بن حنانيا) ظهر فجأة فى أيام السلم دون أن يشعر أحد بالكارثة الوشيكة؛ ويردد نذر الشؤم بكلمات مبهمة. لا نعرف من أين جاء هذا الرجل ومن أرسله. كان هذا الرجل من الشعب وفى فمه نبوءة مريرة حول نهاية يهوذا. (هذا ما قاله يوسفوس) قبل الحرب أربع سنوات عندما كانت أورشليم لاتزال تعيش فى هدوء وسلام. ثم جاء رجل بسيط اسمه يسوع بن حنان إلى المدينة فى وقت العيد الذى يقيم فيه كل اليهود المظال للرب وبدأ يقول بصوت مسموع فى الهيكل: "صوت من الشرق، صوت من الغرب، صوت من الأرواح الأربعة، صوت على أورشليم وعلى الهيكل، صوت على العروس والعريس، صوت على الشعب كله". وظل يردد هذه الكلمات ليل نهار فى شوارع المدينة. فغضب أحد نبلاء الشعب من هذه اللعنات فأمسك به وأوسعه ضربا وتعذيبا لكنه لم يرفع صوته لضاربه كى يتوقف واستمر فى ترديد كلماته. ظن الناس أن روح الرب تلبست هذا الرجل (أرواح شريرة) فأرسلوه إلى الحاكم الرومانى فأمر بجلده حتى تكشفت عظامه. لم يطلب الرجل الرحمة ولم يزرف الدموع وفى كل جلدة كان يرفع

صوته بنحيب ويقول: "آه آه يا أورشليم!" وعندما سأل ألبينوس – الحاكم الرومانى فى تلك الفترة- من هو ولماذا يردد ما يردد لم يجبه ولم يتوقف عن النحيب على المدينة حتى قال ألبينوس إنه فقد صوابه وأمر بإطلاق سراحه. لم يتجه يسوع إلى أحد من سكان أورشليم ولم يتحدث إلى أحد حتى بدأت الحرب. بل ظل ينتحب كمن يصلى للرب منادياً " آه آه يا أورشليم" وهكذا كان حاله كل يوم. لم يلعن قط من ضربوه وعذبوه؛ كما لم يبارك من كانوا يقدمون له الخبز والطعام. كل ما كان يردده هو تلك النبوءة، وكان يصرخ بها فى الأعياد أكثر من أى وقت آخر. وظل على ذلك لمدة سبع سنوات وخمسة أشهر دون كلل أو توقف حتى حوصرت أورشليم ورأى بعينيه تحقق نبوءته. بعدها صمت إلى الأبد لأنه سار ذات مرة حول الأسوار قائلا بصوت المهدد: "آه آه على أورشليم وعلى الشعب وعلى الهيكل" وأضاف: " آه آه على أيضا" فإذا بحجر يصيبه فيقتله وظل يردد نبوءته حتى فاضت روحه. وهذه الفقرة فى كتاب "حرب اليهود" لا قيمة لها من الناحية التاريخية.

2) من هو يسوع بن حنان (حنانيا)؟ لو تعمقنا فى قصة يوسفوس لوجدنا أن الوصف ينطبق على شخصية يسوع التى تطالعنا فى الأناجيل. ونطالع فيما يلى تفاصيل القصة ونشير إلى أوجه تشابهها مع العهدين الجديد والقديم.

- رجل بسيط يظهر فجأة فى مدينة يتنبأ، قارن ذلك بيوحنا 7: 14"[14] ولما كان العيد قد انتصف صعد يسوع إلى الهيكل، وكان يعلم" ونذكر هنا أيضا الظهور المفاجئ لعاموس الراعى فى بيت الرب.
- وفى نداءاته "صوت على العروس والعريس وغيرها..." قارن بإرميا 7: 34 "[34] أوبطن من يهوذا ومن شوارع أورشليم صوت الطرب وصوت الفرح، صوت العريس وصوت العروس، لأن الأرض تصير خرابا." وإرميا 16: 9 "[9] لأنه هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل: هأنا أبطل هنا

الموضع، أمام أعينكم وفي أيامكم، صوت الطرب وصوت الفرح، صوت العريس وصوت العروس". ورؤيا يوحنا 18: 23 "[23] ونور سراج لن يضيء فيك في ما بعد. وصوت عريس وعروس لن يسمع فيك في ما بعد. لأن تجارك كانوا عظماء الأرض. إذ بسحرك ضلت جميع الأمم".

- "ظل يردد تلك الكلمات ليل نهار فى أنحاء المدينة". ويذكرنا ذلك بيونان (يونس) النبى الذى ظل يردد كلامه فى شوارع نينوى.
- "غضب عليه أحد نبلاء الشعب بسبب هذه اللعنات" قارن بلوقا 19: 47 " وكان يعلم كل يوم في الهيكل. وكان رؤساء الكهنة والكتبة مع وجوه الشعب يطلبون أن يهلكوه" ويوحنا 7: 32 "[32] سمع الفريسيون الجمع يتناجون بهذا من نحوه. فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداما ليمسكوه"
- " فأمسكه وأبرحه ضربا وتعذيبا..." قارن بإشعياء 53: 7 "[7] ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه. كشاة تساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه" ومرقس 15: 4-5 "[4] فسأله بيلاطس أيضا قائلا:« أما تجيب بشيء؟ انظر كم يشهدون عليك!» [5] فلم يجب يسوع أيضا بشيء حتى تعجب بيلاطس".
- "وظن الناس أن روح الرب تلبست هذا الرجل....." وكذلك قيل عن يسوع قارن بيوحنا 10: 20 "[20] فقال كثيرون منهم:« به شيطان وهو يهذي. لماذا تستمعون له؟»" ويوحنا 8: 48-49، "[48] فأجاب اليهود وقالوا له:« ألسنا نقول حسنا: إنك سامري وبك شيطان؟» [49] أجاب يسوع:« أنا ليس بي شيطان، بل أكرم أبي وأنتم تهينونني." ومتى 11: 18 "[17] ويقولون: زمرنا لكم فلم ترقصوا! ندبنا لكم فلم تلطموا! [18] لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب، فيقولون: فيه شيطان." وكذلك الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس

14: 23 "[23] فإن اجتمعت الكنيسة كلها في مكان واحد، وكان الجميع يتكلمون بألسنة، فدخل عاميون أو غير مؤمنين، ألا يقولون إنكم تهذون؟".

- أخذوا يسوع بن حنان إلى الحاكم الرومانى ألبينوس مثلما أخذوا يسوع إلى بونتيوس بيلاطس.

- "جلدوه حتى تكشفت عظامه، غير أن الرجل لم يطلب الرحمة ولم يذرف الدمع." ويذكرنا هذا بروح الأسينيين الذى يحكى يوسفوس عنهم: "عندما داسوا لحمهم بالعجب وشدت جميع أعضائهم وحرقوا أحياء وسحقت عظامهم لم يتوسلوا إلى معذبيهم ولم يذرفوا الدمع" (حرب اليهود الجزء الثانى 8 ب). أما فيما يتعلق بجلد يسوع بالسياط، راجع مق 20: 19"[19] وسلما إلى الأمم لكي يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه. وفي اليوم الثالث يقوم" ومرقس 10: 23 "[34] فيهزأون به ويجلدونه ويتفلون عليه ويقتلونه. وفي اليوم الثالث يقوم» ولوقا 18: 32-33 "[32] لأنه يسلم إلى الأمم، ويستهزأ به، ويشتم ويتفل عليه، [33] ويجلدونه ويقتلونه. وفي اليوم الثالث يقوم»." ومق 27: 26 "[26] حينئذ أطلق لهم باراباس، وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب." ومرقس 15: 15 "[15] فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجمع ما يرضيهم، أطلق لهم باراباس، وأسلم يسوع بعدما جلده ليصلب." ويوحنا 19: 1 "[1] فحينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجلده".

- عندما سأله ألبينوس من هو ومن أين جاء لم يجب على أى من تساؤلاته وكذلك نجد عن يسوع فى متى 27: 13-14 "[13] فقال له بيلاطس:« ألا تسمع كم يشهدون عليك؟» [14] فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة، حتى تعجب الوالي جدا."ومتى 26: 62-63 "[62] فقام رئيس الكهنة وقال له:« ألا تجيب بشيء؟

ماذا يشهد به هذان عليك؟» [63] وأما يسوع فكان ساكتا. فأجاب رئيس الكهنة وقال له:« أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟» "ومرقس 14: 60- 61 "[60] فقام رئيس الكهنة في الوسط وسأل يسوع قائلا:« أما تجيب بشيء؟ ماذا يشهد به هؤلاء عليك؟» [61] أما هو فكان ساكتا ولم يجب بشيء. فسأله رئيس الكهنة أيضا وقال له:« أنت المسيح ابن المبارك؟»".

- أطلق ألينبوس سراحه كما أراد بيلاطس أن يطلق سراح يسوع (متى 27: 17، مرقس 15: 29، لوقا 23: 16، يوحنا 18: 38-39).

- لم يلعن قط ضاربيه (متى 5: 39) " أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا."

- لم يبارك من قدم له الخبز والطعام ويناسب هذا تفسير الأحبار للفقرة الواردة فى سفر المزامير 24: 12، " لا يأكل الإنسان شيئا حتى يباركه" (توسفتا براخوت 4: 1، أى يحمدون الله لا الإنسان). ويشار إلى أن الأسينيين كان محرما عليهم "المساس بخبز غيرهم" (يوسفوس، حرب اليهود، الجزء الثانى 88).

- "هكذا نادى سبع سنوات وخمسة شهور" ولم يتعب ولم يتوقف مثل ما ورد عن موسى: "[7] وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات. لم تكل عيناه ولا ذهبت حيويته.(التثنية 34: 7).

- ينادى يسوع بن حنانيا نداء أخيرا " آه لى أيضا". ويبدو أن ذلك لم يكن أمرا مقبولا فى ذلك الوقت. لكن يسوع الناصرى تغلب عليه حزنه عندما رأى دنو أجله (متى 26: 37، مرقس 14: 33، لوقا 26: 41).

- موت المبشر كما لو كان صدفة: "أصيب بحجر فقتله". وهل هذا ما حدث بالفعل؟ فربما رجمه بالحجارة من أغضبتهم نبوءاته؟ وليس بوسعنا أن نحدد ذلك يقينا إلا أن حدسنا بأنهم رجموه بالحجارة أقرب إلى الحقيقة.
- "فاضت روحه أثناء ترديده نبوءته" وهذا أشبه بما قيل عن يسوع الناصرى (مق 27: 50، مرقس 16: 37، لوقا 23: 46، يوحنا 16: 30) ....

3) ... لا يمكن تجا هل حقيقة أن يوسف بن متتياهو كان مهتما أولاوقبل كل شيء بوصف الحرب ولم يتطرق إلى الأمور الأخرى إلا مصادفة. إن ما ذكر عن يسوع بن حنان لم يكن إلا قليلا مما ذكر عنه. وما تركه الرجل من انطباع على أبناء شعبه كان أكثر بكثير مما يمكن استنتاجه من وصف يوسفوس. إذ أخذ الفلاحون والحجاج إلى أورشليم فى أوقات الأعياد الكبرى ذكرى هذا الرجل وشكله ونسجوا الكثير من الأساطير حوله. ويحتمل أيضا أن يكون عالج المرضى عن غير قصد. وكان عدد أتباعه كبيرا؛ وبعد أن أصيب بالحجر ومات سار أتباعه على نهجه فشخصية كهذه لا تنسى سريعا. وسرعان ما اشتد الإيمان به بعد أن تحققت نبوءته واحترق الهيكل وأصبح رمادا بعد أن ظنوا أنه لن يخرب أبدا لأنه قدس الرب. فتذكروا كلام النذير الإلهى وحكى كل شخص لأخيه عن حياة ذلك الرجل واعتبروا موته موتا مقدسا. كان أتباعه فى البداية قليلين ولكن سرعان ما زاد عددهم وأصبحوا طائفة دينية جديدة. ....أما شهادة يوسفوس الوهمية عن المسيح (تاريخ اليهود 18، 3،3) فهى مرفوضة شكلاومضمونا ولا شك أنها جاءت متأخرة ولم يكتبها الكاتب نفسه. فكلما تعمقنا فى شهادة يوسفوس عن يسوع بن حنان نزداد يقينا بأنها الشهادة العلمانية الوحيدة التى بقيت لنا عن الدين الجديد. فشهادة "تاريخ اليهود" ضعيفة من ناحية الأسلوب والرواية بصفة

عامة، وكلها مرتبطة بما تحكيه الأناجيل. وعلى النقيض من ذلك نجد أن الشهادة عن يسوع بن حنان تترك انطباعا حيا وأن ما يحكى عنه يشهد على نفسه. إن القصة فى "تاريخ اليهود" ضعيفة من ناحية الأسلوب والرواية وكلها مرتبطة بما تحكيه الأناجيل. ويبدو أن القصة فى "تاريخ اليهود" متأثرة بالكتابات السابقة وفى المقابل فإننا نشعر من القصة الموجودة فى كتاب "حرب اليهود" أنها نوع من البداية.

هذا الحدس ونتائجه يعد أمرا مدهشا بالفعل ولو تحقق هذا الحدس نحظى بشهادة مستقلة غير مرتبطة بما ورد فى الأناجيل بشهادة مؤرخ يهودى عن نبى كبير عاش فى فترة الهيكل الثانى وتصبح الخطوط العريضة للأناجيل مأخوذة من هذه الشهادة.

شمعون دوفنوف

(1940-1860)

مؤرخ وصحفى

تلقى دوفنوف فى صغره تعليما تقليديا غير أنه سرعان ما بدأ يبتعد عن التراث اليهودى فى شبابه. يقول شمعون إنه قرأ عندما كان فى التاسعة كتاب "يوسيفون" ليوسف بن متتياهو؛ ومنذ ذلك الوقت بدأ اهتمامه بالتاريخ ورغبته فى أن يثقف نفسه عن طريق تعليم نفسه بنفسه على الرغم من معارضة أفراد أسرته. عمل دوفنوف بين عامى 1890 و1903 فى أوديسا؛ وكان من أصدقاء أحاد هاعام[1] ورفينسكى وبياليك[2] وغيرهم. وبعد ثلاث

---

[1] أحاد هاعام (1856-1927) «آحاد هعام» عبارة عبرية تعني «أحد العامة». و«آحاد هعام» هو الاسم الذي اشتهر به الكاتب الروسي (وكان يكتب بالعبرية) آشر جينزبرج. ويعد آحاد هعام من أهم الكتاب والمفكرين في الأدب العبرى الحديث، كما يعد فيلسوف الصهيونية الثقافية (أى الصهيونية الإثنية العلمانية) بل المؤسس الحقيقي للفكر الصهيوني والذي خرج من عباءته كافة المفكرين الصهاينة، لا سيما العلمانيين منهم، بدءا من مارتن بوبر وانتهاء بهارولد فيش. نشأ آحاد هعام في عائلة حسيدية في قرية صغيرة بالقرب من كييف، وكان أبوه عضوا في حركة حبد. تلقى تعليما يهوديا تقليديا حتى أن معلمه منعه من تعلم الألفبائية الروسية لأن هذا كان يعد ضربا من الهرطقة. ولكنه مع هذا التحق في نهاية الأمر بمدرسة ثانوية في روسيا. ودفعته دراسته الجديدة إلى هجر الحسيدية، ثم تخلى بعد ذلك عن كل إيمان ديني وإن عبر عن إعجابه بالحسيدية في إحدى مقالاته، وذلك بسبب طابعها اليهودي الإثني (أي اليهودية كأدب شعبى). ولا شك في أن النزعة الجلولية المتطرفة في الحسيدية تركت أثرها فيه وفي بنيان فكره.

[2] حاييم بياليك (1873-1934) أهم شاعر روسي يهودي كتب بالعبرية في العصر الحديث. ولد لأبوين فقيرين، وكان أبوه عالما دينيا وتاجر أخشاب فقيرا. عمل الشاعر نفسه بعض الوقت كتاجر أخشاب، وتزوج من ابنة رجل يعمل بالمهنة نفسها. قام جده بتربيته بعد وفاة أبيه، فدرس في مدرسة تلمودية، لكنه قرأ في الوقت نفسه العديد من كتب حركة التنوير اليهودية سرا. رحل بياليك إلى فولوجين، مركز الحركة الحسيدية، إذ تصور خطأ أن المدرسة التلمودية في هذه المدينة تجمع بين الدراسات العلمانية والدراسات الدينية، وبقي في هذه المدرسة ثمانية عشر شهرا، وهناك بدأ في الكتابة الأدبية، والتحق بجماعة أحباء صهيون. وفي عام 1891، ذهب إلى أوديسا التي كانت آنذاك مركزا للنهضة الثقافية الروسية اليهودية حيث تعرف على "آحاد هعام" الذي شجعه على الكتابة والنشر. هاجر بياليك من روسيا السوفيتية عام 1921، ومكث ثلاث سنوات في برلين، ثم هاجر إلى تل أبيب. ودرس بياليك أدب العبرية التقليدية، ولكنه في الوقت

سنوات قضاها فى فيلنا استقر فى سان بطرسبرج وعمل مدرسا هناك. ثم انتقل عام 1922 إلى برلين. وبعد تولى هتلر مقاليد الحكم سافر إلى ريجا وبعد سقوط ريجا فى يد الألمان فى ديسمبر 1941 قتل دوفنوف على يد شرطى لتوانى فى أثناء نقل الطائفة اليهودية فى ريجا إلى معسكر الإبادة.

كان مشروع حياة دوفنوف هو بحث تاريخ إسرائيل فبدأ عام 1898 فى كتابة تاريخ إسرائيل فى كتاب بعنوان "أخبار أيام الشعب الأبدى" (باللغة الروسية وترجم إلى لغات عدة). وكان دوفنوف يرى أن دراسة تاريخ بنى إسرائيل تقدم له المفتاح لفهم الماضى وتحسين الحاضر بل تقدم حلا جيدا لمستقبل الشعب الاسرائيلى، أى نظام حكم ذاتى فى إطار حكم دولة أجنبية. واعتبر دوفنوف المركز اليهودى فى روسيا وبولنده محورا أساسيا للعصر الحديث فى تاريخ الشعب الإسرائيلى وبه يجب أن تعرف اليهودية إستكمال حياتها. من هنا تحدد موقف دوفنوف المتشدد من الصهيونية من ناحية ومن الاندماج فى الشعوب الأخرى من ناحية أخرى.

ونعرض هنا لبعض فقرات من كتابه يتناول فيها "يسوع الناصرى" ضمن فصل بعنوان "ظهور المسيحية". ويتضح من هذه الأجزاء أن دوفنوف يصف حياة يسوع باختصار شديد من خلال تجاهل شبه تام لقصص المعجزات

نفسه قرأ واستوعب الكثير من الأعمال الأدبية الأوروبية الروسية والألمانية، و أعمال المرحلة الرومانتيكية بخاصة. ولعل الموضوع الأساسي في أعمال بياليك هو الشد والجذب بين القديم والجديد والبحث عن مخرج من الأزمة المستحكمة. وعبر الشاعر عن تطلعاته الصهيونية من خلال ثلاث أفكار أساسية: العودة إلى الأرض والطبيعة، المسيح المخلص نبذ حركة الاستنارة اليهودية وحركة الاندماج في الشعوب الأخرى. واستخدم الشاعر أدوات وقوالب تعبيرية متنوعة، فكتب قصائد في وصف الطبيعة وقصائد مناسبات وقصائد ذات طابع أسطوري. ويتميز شعره بنبرة غاضبة وبتواتر صور الهلاك والثأر والصور المرتبطة بآخر الأيام.

التى ارتبطت بشخصيته والتى اعتبرها مجرد أساطير ليس إلا. ويسوع فى رأيه بمثابة ثورى دينى أخلاقى قريب فى روحه من الأسينيين يريد إصلاح الكون. يزعم دوفنوف أن يسوع وجد طريقه إلى قلوب أهل الجليل الذين لم يكونوا علماء بالتوراة والشريعة من خلال بساطة حديثه وشخصيته الكاريزمية. "لم يكن التجديد فى شريعة يسوع فى المضمون؛ بل فى طريقة تركيب الأسس اليهودية. وكان تجديده فى التأكيد على التناقض الشديد بين إيمان القلب والأخلاق الشخصية وبين الديانة العامة. ويربط دوفنوف موت يسوع بالحاكم الرومانى الذى شهد التمرد القومى فى بشارة يسوع أكثر من السنهدرين، كما يرى أن تلاميذ يسوع تمادوا فى شريعتهم بصورة لم يكن ليقبلها يسوع.

"إن حياة يوحنا ويسوع يكتنفها غموض الأسطورة كحياة الكثيرين من أصحاب الديانات ممن لم يتركوا وراءهم كتابات للتذكرة. تتضح شخصية بولس الرسول أكثر من "رسالاته" التى لا شك فى أنها تنسب إليه. وفى تاريخ حياته يختلط الواقع بالأسطورة. أما حياة مؤسسى المسيحية الأوائل وأعمالهم فليس لدينا منها إلا ما ورد فى كتابات العهد الجديد المتأخرة التى تعظم من شأن سادتها. ... غير أنه مع كل الأساطير والتطرف الموجود فى المصادر يستطيع المؤرخ أن يستخرج منها نواة الحقيقة وأن يبث الروح من جديد فى هذه الأصوات الضعيفة التى تنبعث منها حركات تاريخية كبيرة. ...

كان من بين المتعطشين إلى الخلاص، ممن جاءوا إلى يوحنا ليعمدهم فى نهر الأردن، شاب من المدينة الصغيرة الناصرة فى الجليل ويدعى يسوع. هو ابن يوسف النجار وامرأته مريم التى ولدته وهى مخطوبة له، وفقا للأسطورة.... وعلى عكس سكان يهوذا وأورشليم، لم يكن كثير من أهالى الجليل البسطاء

على علم بالشريعة. فكان معظمهم يعملون فى الزراعة والصيد وكانوا أصحاب حرف أخرى. وكان من السهل على أى محرض سياسى أن يدفع هذه الجماهير الساذجة إلى التمرد والإخلاص له. وكان من اليسير على الواعظ الدينى أن يثبت لهم ألا فائدة فى السياسة وأن يأخذه فى طريق "ملكوت السماء". كان لدى أهالى الجليل الذين استهزأ بهم الفريسيون اتجاه قوى نحو العقائد المسيحانية المجردة التى كان ينشرها الواعظون الرحل. ... عاش مؤسس المسيحية فى هذه البيئة التى اتخذت نهجى المسيحية السياسية والمسيحية الدينية.

من الصعب استنباط أية معلومات عن تعليم يسوع وعن شبابه من الأساطير المسيحية. ومن المعتقد أنه تعلم بروح الجليل وليس أورشليم. لم تكن التوراة الشفهية للكتاب والفريسيين غريبة عنه. كما لم تكن قريبة من قلبه. وكان يسوع منذ نعومة أظافره يعارض الوصايا الدينية التى يتم تلقينها؛ واتبع يوحنا المعمدان من منطلق انفعال غامض. وأثبت كل ما دار حوله (يسوع) أن الحقيقة فى فم الواعظ المبشر قرب من ملكوت السماء، والموعظة التى انتهت بالموت البشع ليوحنا كانت بتصديق من السماء. إذ قال يوحنا إن ملكوت الله اقترب. لذا فإنه يجب أن يأتى شخص بعده يعلن مجىء هذا الملكوت. وخرج يسوع فى الجليل فعلا عقب موت يوحنا وأعلن أن «الأوان آن واقترب ملكوت الرب فتوبوا وآمنوا بهذه البشرى الطيبة!". وبعد فترة قصيرة وسع مجال وعظه وغير من سلوكه. جاء الشعب إلى يوحنا المنعزل أمام يسوع، المتطلع إلى إصلاح النفس البشرية بشريعته فهو الذى جاء إلى الشعب وكان يسير من معبد إلى آخر فى الجليل ويردد شريعته الجديدة ووضع الصورة الدينية المتبعة فى مقابل العقيدة البسيطة التى فى

القلب والتمسك "بالأب الذى فى السماء" والأعمال الطيبة. وفى الناصرة لم يؤمنوا به وسخروا منه: "من أين لابن النجار بكل هذا؟ ألا نعرفه جميعا؟" واعترف يسوع بأنه ليس هناك نبى فى المدينة ورحل عنها وذهب إلى القرى التى يسكنها كثيرون ممن يسهل أن يؤمنوا به ويمكن أن يقبلوا "كلام الرب". غير أن عامة الشعب لن تؤمن إلا برجل عرف من البداية بأنه "رجل الله". فكان على مثل يسوع أن يأتى بالمعجزات التى أتى بها قديسو الأسينيين من شفاء المرضى وطرد الأرواح الشريرة بالقول أو بالإيحاء النفسى وما إلى ذلك. سلك يسوع الطريق نفسه، فكان قادرا على لعب الدورين: معلم العقيدة وصانع المعجزات، وأن يحتل القلوب بالمواعظ ويؤثر فى النفوس. شعر القرويون البسطاء فى الجليل بقرب يسوع من قلوبهم بعد أن كان يسخر منهم العالمون بالشريعة. وسمعوا منه اعتراضه على المتعجرفين بأنسابهم وبعلمهم بالتوراة. وكان يسوع يقول إنه يصعب على الأغنياء الذين يستمتعون بخيرات الأرض الوصول إلى ملكوت السماء. واستمال هذا المضمون الاجتماعى قلوب جموع الفقراء فى الجليل فاتبعته جماعة من الصيادين من بحيرة طبرية وأصبح بعضهم من تلاميذه.

حدث ذلك فى الجليل فى عصر هيرودس بعد فترة من موت يوحنا المعمدان. ولأن يسوع لم يتحد الحاكم ولم يشتغل بالسياسة قط لم يجد هيرودس سببا لمطاردته. وكل ما كان يمكن أن يخشاه ألا يكتفى النبى الجديد بالوعظ الدينى ومساعدة الضعفاء وأن ينتهى به الأمر بالانضمام رغما عنه إلى الحركة السياسية. تتبع هيرودس مسيرة الوعظ إلا أن يسوع كان يتملص منه ولم يقع الصدام بينهما إلا فى أورشليم.

كان نجاح الوعظ فى الجليل دافعا ليسوع وتلاميذه للتوجه إلى أورشليم، حصن اليهودية الصوفية التى كثر فيها تصادم صاحب الديانة الجديدة بالمشرعين الفريسيين والكهنة من بيت صادوق. وفى العاصمة التى عانت على يد الحاكم بيلاطس، وفى خضم عاصفة الخلافات السياسية والدينية، برز التناقض بين الشريعة القديمة والشريعة الجديدة بقوة. وأدى إعجاب مؤيديه واضطهاد خصومه بيسوع إلى أن يتخذ طريق الدعوة العلنية. فكان يرى نفسه فى بداية طريقه واعظا جاء بـ "البشرى الطيبة" بقرب "ملكوت السماء" ولكن فى الوسط الحافل بالخلافات والذى تحفه مخاطر الاضطهاد والموت زاد وعيه بأنه هو نفسه الإنسان الأسمى ومحور الله الذى سيضم ملكوت الله فى الأرض. وصلت الشائعات من الجليل عن يسوع النبى وعن المعجزات التى جاء بها ودوت فى أورشليم عبارات حماسية عن "المسيح" و"ابن الله" و"ملك اليهود" وكان لها أثر سيئ على مصير يسوع؛ إذ أثارت تسمية "المسيح" المخاوف بين زعماء اليهود وتسميته "ملك اليهود" لدى السلطات الرومانية. كان هناك وشاة من بين المقربين من يسوع (تتهم الأسطورة أحد تلاميذه بالخيانة وهو يهوذا الإسخريوطى) وشوا للسلطات الحاكمة بظهور نبى جديد يزلزل الشعب بمواعظه و"معجزاته". وتحدث البعض بما سمع من يسوع من أنه يستطيع أن يهدم الهيكل ويعيد بناءه فى ثلاثة أيام، أى أن يقيم هيكلا روحيا "غير ملموس" بدلا من الهيكل الحجرى. فتم تقديم يسوع للمحاكمة على أساس هذه الوشايات كلها.

تحكى الأسطورة الثلاثية (التى وردت ثلاث مرات فى الإنجيل) أن يسوع أجاب بالإيجاب على سؤال الكاهن الأكبر، رئيس السنهدرين، عما إذا كان يعتبر نفسه "ملكا لليهود". قدم الحاكم يسوع الجليلى إلى محكمة مليكه

هيرودس المقيم فى أورشليم، غير أن هيرودس اعتبر يسوع مجنونا به مس وأعاده إلى بيلاطس ليحاكمه. وتم تحديد مصير يسوع اعتمادا على مخاوف مزدوجة، السنهدرين الأورشليمى الذى اتهمه بأنه مدع للنبوة وكاذب يدعى أنه المسيح وأنه ابن الله. أما الحاكم الرومانى فحكم عليه بالموت باعتباره " ملكا وهميا لليهود" وخوفا من الاضطرابات السياسية. والسبب الآخر هو الفيصل والدليل، وهو كتابة الجنود الرومان على الصليب عبارة "ملك اليهود" للسخرية منه أو لأن ذلك هو الذنب الذى قتل من أجله. وعلى الرغم من هذا حفظت الأناجيل هذه الرواية. تقول رواية العهد الجديد إن بيلاطس لم يرغب فى "عقاب المسيح وإطلاق سراحه". إلا أن كبار الأحبار والوزراء والشعب طالبوا بموته، وهذا توجه صريح من الطائفة المسيحية المتأخرة الذين نقموا على اليهود. لكن بطش بيلاطس بسكان يهوذا الخاضعين له تدل على أنه لم يكن رحيما. ... تم تنفيذ حكم الإعدام على أطراف أورشليم فى مكان يسمى جلجثة فى عام 35 ميلادية تقريبا.

لم تكن عملية الصلب – طريقة الإعدام الوحشية عند الرومان - جديدة فى يهوذا؛ إذ تم قبل عشرات السنين وبأمر من الحاكم واروس صلب آلاف المتمردين اليهود؛ بل اعتاد بيلاطس نفسه تعذيب المجرمين السياسيين. وكان الصلب فى عصر الحكام المتأخرين هو مصير المحاربين من أجل الحرية. وهنا نجد إلى جانب المناضلين من أجل الحرية القومية شخص مضطهد خارج الحرب الوطنية. لم يشعر أبناء هذا الجيل بعملية الصلب فى جلجثة ولم يتوقع أحد أن صليب جلجثة سيلقى بظلاله على كافة أجيال بنى إسرائيل على مر التاريخ اليهودى.

يوسف قلوزنر

(1958-1874)

باحث فى الأدب العبرى وتاريخ بنى إسرائيل

يبدأ قلوزنر كتابه الذى يحكى سيرته الذاتية بالعبارة التالية: "كان والداى مختلفى الديانة ... مسيحى ويهودية؛ وولدت من هذا الخليط؛ وظل يتجاذبنى طوال الوقت نقيضان، رغبة قوية فى الحياة الطبيعية والدنيوية الخاصة والقومية، واحترام كبير للحياة السماوية والأخلاق العليا والدينية الخالصة التى لا أستطيع أن أبلغها". يقول قلوزنر إنه عرف بذكائه نظرا لدرايتى الكبيرة بالعهد القديم والتلمود. أخذه عمه الذى لاحظ مواهبه للدراسة فى شركة مسكيل فلنائى التى فتحت أمامه أبواب الثقافة العامة. وعاش سنوات عدة فى أوديسا التى بدأ فيها بكتابة مقالاته العلمية. وذهب قلوزنر إلى هايدلبرج بألمانيا والتحق بالدراسة فى قسم التاريخ والفلسفة بجامعتها المحلية. وأصبح فى نفس العام مندوبا فى المؤتمر الصهيونى الأول فى بازل[1] كما شارك بعد

[1] كان مزمعا عقده في ميونيخ، بيد أن المعارضة الشديدة من قبل التجمع اليهودي فيها والحاخامية في ميونيخ حالت دون ذلك. وعقد في أغسطس 1897 برئاسة تيودور هرتزل الذي حدد في خطاب الافتتاح أن هدف المؤتمر هو وضع حجر الأساس لوطن قومي لليهود، وأكد أن المسألة اليهودية لا يمكن حلها من خلال التوطن البطيء أو التسلل بدون مفاوضات سياسية أو ضمانات دولية أو اعتراف قانوني بالمشروع الاستيطاني من قبل الدول الكبرى. وحدد المؤتمر ثلاثة أساليب مترابطة لتحقيق الهدف الصهيوني، هي تنمية استيطان فلسطين بالعمال الزراعيين، وتقوية وتنمية الوعي القومي اليهودي والثقافة اليهودية، ثم أخيرا اتخاذ إجراءات تمهيدية للحصول على الموافقة الدولية على تنفيذ المشروع الصهيوني. والأساليب الثلاثة تعكس مضمون التيارات الصهيونية الثلاثة: العملية (التسللية)، والثقافية (الإثنية)، والسياسية (الدبلوماسية الاستعمارية). وتعرض المؤتمر بالدراسة لأوضاع اليهود الذين كانوا قد شرعوا في الهجرة الاستيطانية التسللية إلى فلسطين منذ 1882، واقترح شايرا إنشاء صندوق لشراء الأراضى الفلسطينية لتحقيق الاستيطان اليهودي، وهو اقتراح تجسد بعدئذ فيما يسمى الصندوق القومي اليهودي. واعترض هرتزل على هذا الاقتراح وإن لم ينكر الحاجة إلى مثل هذا المشروع، ويبدو أن تحفظاته كانت تنصب على توقيت المشروع لا على جوهره. وفي هذا

ذلك فى كثير من المؤتمرات الأخرى. ثم هاجر إلى أرض فلسطين بعد الثورة الروسية واستقر فى القدس وأصبح ضمن أعضاء هيئة التدريس فى الجامعة العبرية منذ تأسيسها عام 1925. شغل منصب رئيس قسم الأدب العبرى منذ تأسيسه ثم قسم "تاريخ الهيكل الثانى" عام 1944. كما تولى تحرير دائرة المعارف العبرية حتى وفاته.

جعل قلوزنر القومية اليهودية أساس رؤيته الخاصة. وكان من أنصار الحركة الصهيونية التصحيحية[1]. وفى عام 1929 كان له دور كبير فى النضال من أجل حائط المبكى[2] ومعارضة خطة تقسيم أرض فلسطين. وفى عام 1949 رشحه حزب حيروت لمنصب رئيس الدولة، وخاض الانتخابات ضد إسحق بن تسفى. استمر إسهام قلوزنر فى مجال الأدب العبرى وتاريخ شعب

المؤتمر أيضا تم وضع مسودة البرنامج الصهيوني الذي عرف ببرنامج بازل، كما تنامت الدعوة إلى إحياء اللغة العبرية وتكثيف دراستها بين اليهود والمستوطنين. وشهد المؤتمر ظهور الأشكال الأولى للتيار الذي عرف بعد ذلك باسم «الصهيونية العملية» التي قادها زعماء أحباء صهيون واصطدمت في كثير من الجوانب المرحلية بتيار هرتزل الذي يطلق عليه اسم «الصهيونية السياسية»؟ وكانت اللغة المستخدمة في المؤتمر هي الألمانية واليديشية. **(المترجم)**

[1] «الصهيونية التصحيحية» وتترجم أحيانا بالصهيونية «المراجعة» أو «التنقيحية» تيار صهيوني نابع من فكر جابوتنسكي ظهر داخل المنظمة الصهيونية عام 1923 بهدف تصحيح أو تنقيح أو مراجعة السياسة الصهيونية (ومن هنا يشار إليها أحيانا باسم «الصهيونية التنقيحية» أو «الصهيونية المراجعة»). وهذا التيار تعبير عن محاولة بعض العناصر الصهيونية (من شرق أوروبا فى الأساس) المتشبعة بالفكر الاقتصادي الليبرالي والفكر السياسي الفاشي طرح الهيمنة العمالية على عمليات الاستيطان وهيمنة صهاينة الخارج الليبراليين على النشاط الدبلوماسي جانبا. وحاول دعاة هذا التيار أن ينتهجوا خطا وأسلوبا جديدين للعمل على الصعيد الدولي، حيث كانوا يرون أنهما في واقع الأمر استمرار لخط هرتزل ونوردو وفلسفتهما، وأن يصوغوا فكرا استيطانيا مستقلا وأن يشيدوا مؤسسات استيطانية مستقلة. **(المترجم)**

[2] «حائط المبكى» ترجمة لتعبير Wailing Wall الإنجليزي ويقابله في العبرية «كوتيل معرافي»، أي «الحائط الغربي»، والذي يسميه المسلمون العرب «حائط البراق» ، ويقال إنه جزء من السور الخارجي الذي بناه هيرودس ليحيط بالهيكل والمباني الملحقة به. ويعتبر هذا الحائط من أقدس الأماكن الدينية عند اليهود في الوقت الحاضر، ويبلغ طوله مئة وستين قدما. أما ارتفاعه فيبلغ ستين قدما. وسمي هذا الحائط باسم «حائط المبكى» لأن الصلوات حوله تأخذ شكل عويل ونواح. وجاء في الأساطير اليهودية أن الحائط نفسه يذرف الدموع في التاسع من آب، وهو التاريخ الذي أقدم فيه تيتوس على هدم الهيكل. **(المترجم)**

إسرائيل طوال حياته. وهنا تجدر الإشارة إلى مؤلفه الكبير "تاريخ الأدب العبرى الحديث" (ستة مجلدات) الذى درس فيه بدقة إسهام مختلف الأدباء فى إحياء اللغة العبرية وكذلك فكرة القومية وتعليم الشعب وحب أرض فلسطين. كان تركيزه فى هذه الموضوعات بمثابة موجه له فى كتاباته التاريخية أيضا. ويعتبر كتابه "تاريخ الهيكل الثانى" (خمس مجلدات) حجر الأساس فى تناول تلك الفترة.

وتعد أبحاث قلوزنر عن بداية المسيحية أول أبحاث شاملة يكتبها يهودى فى مثل هذا الموضوع باللغة العبرية فى أرض فلسطين. ومن أشهر هذه الأبحاث كتابه "يسوع الناصرى: حياته وشريعته" الذى ترجم إلى لغات عديدة. يصف قلوزنر فى هذا الكتاب يسوع على خلفية طبيعة منطقة الجليل فى تلك الفترة وعلى ضوء تاريخ اليهود فى عصر يسوع – فى ضوء الحالة السياسية والاقتصادية والروحية. فيصف قلوزنر جيلا من الحماس القومى عانى أزمة اقتصادية. خرج يسوع فى هذه الظروف واعتبر نفسه يهوديا ومسيحا لليهود. يرى قلوزنر أن بشارة يسوع العامة على الرغم من أنها كانت أكثر تطرفا مما عرف فى المجتمع اليهودى فى عصره فقد كانت فى إطار اليهودية باستثناء ميوله الإنسانية العامة التى ناقضت فكرة شعب إسرائيل المختار. قدم قلوزنر يسوع على أنه مخلص للتوراة والشريعة ووضعه مع تيار الفريسية اليهودية فى ذلك الوقت وليس معارضا له وبحث ووجد مقابلات فى أقوال الأحبار (حازل) لأمثال وأقوال يسوع الأخلاقية. يفرق قلوزنر صراحة بين شريعة يسوع القريبة من روح كلمات الأحبار (حازل) وبين شريعة تلاميذه وتلاميذ تلاميذه ممن يرفضون شريعة الفريسيين ويعارضون الشريعة اليهودية. يعتبر قلوزنر المقولات المنسوبة ليسوع وتعبر عن الرؤية السلبية

لشريعة الفريسيين أو معارضة يهودية للشريعة، من نتاج فكر تلاميذ يسوع. يحدد قلوزنر قائلا إن يسوع كان وبقى يهوديا حتى الرمق الأخير وكان اتجاهه ليس إلا غرس فكرة مجىء المسيح بين شعبه وتقريب النهاية من خلال التوبة والعمل الصالح كما كان صاحب أخلاق حميدة.

ترجع أهمية الكتاب إلى تقديره الأساسى والإيجابى ليسوع واعتباره ولأول مرة يهوديا. فأعاد قلوزنر يسوع إلى أحضان اليهودية وفصله عن تلاميذه وأتباعه وعن المسيحية. لذا لا يصعب فهم سبب إثارة هذه الرؤية الإيجابية ليسوع غضب الكثير من الدوائر الأرثوذكسية اليهودية التى لم تتوان عن مهاجمته من أمثال ديانارد وأيزنشطاين. وفيما يلى نستعرض جزءا من كتاب قلوزنر يصور طفولة يسوع، وكذلك خاتمة الكتاب حيث يصف قلوزنر يسوع بأنه يهودى كما يفهمه هو وليس إلها أو مسيحا ولا نبيا ولا مشرعا؛ بل رجل أخلاق.

"ولد يسوع أو يشوع فى عصر القيصر أوغسطس قبل بداية التقويم الميلادى (وهذا التقويم غير دقيق وضعه الناسك ديونسيوس الصغير فى القرن السادس الميلادى) بعامين إلى أربعة أعوام فى مدينة الناصرة بالجليل. لم يرد ذكر هذه المدينة فى التلمود فى أى موضع إلا بصيغة النسبة "الناصرى" أو "النصرى" ... ولكن ورد ذكرها لدى الشاعر الدينى رابى إليعازر هاقلير فى رثائه بمناسبة ذكرى التاسع من آب (وفقا لآخر أبحاث القرن السابع الميلادى) باسم سوسنة الشارون. لا تحتل مدينة الناصرة حاليا الموقع نفسه الذى كانت فيه المدينة القديمة التى تخربت وبنيت من جديد فى القرن الثانى عشر أو الثالث عشر فى موقع أسفل المدينة القديمة التى لا تزال أطلالها ظاهرة أعلى المدينة الحالية. وصف جمالها كثير من الكتاب والحكماء. وكذلك كاتب

هذه السطور أعجب بجمالها عندما زارها فى إحدى الليالى الجميلة من عام 1912. تحيط الجبال بمدينة الناصرة مثل القدس إلا أن جبال الجليل السفلى، جبال زبولون ونفتالى، على عكس جبال يهودا الشامخة، لها رونق وجمال لا يوصف. كان حول الناصرة فى ذلك الوقت غابات من التين والرمان وحقول القمح والشعير ذات السنابل الطويلة وإن لم تكن ممتلئة، وكان المنظر أجمل فى العصر القديم. ويعتبر المنظر من أعلى الجبل، الذى كانت عليه المدينة القديمة، من أجمل المناظر فى العالم. كانت الناصرة منعزلة عن العالم بعيدة عن طريق البحر وعن طريق القوافل. مدينة هادئة بالجليل تزرع أرضها، حدائقها مثمرة منغلقة على نفسها، هاربة وحالمة.

كان هذا المكان مناسبا بالفعل لمولد الواعظ الأخلاقى والمصلح العالمى. كانت الناصرة حتى القرن الرابع مدينة يهودية خالصة. ويصف أنطونيوس فى القرن السادس (570م) جمال الفتيات اليهوديات من الناصرة اللائى يمتزن بعلاقاتهن الطيبة مع المسيحيين. وهناك خبر آخر مفاده أن سمعة الناصرة كانت سيئة؛ ويقول المثل الشائع: "يوحنا 1: 47" وربما كان هذا هو الجو السائد فى البلدات الصغيرة، استنكار أى مدينة لا قاسم مشترك بين سكانها. ونعلم من التلمود أن أهل الجليل عرفوا لدى أبناء يهوذا بأنهم لا يعرفون التوراة جيدا وضالين وغير فصحاء ولهم عادات غريبة. يبدو أن يوحنا حكم على الكل من الجزء ولم يدقق فى الشائعة.

كل الأخبار التى أوردها كل من متى ولوقا حول مولد يسوع فى بيت لحم ليست إلا نتاج الرؤية التى تقول إن المسيح يجب أن يكون من نسل بيت داود ومن بيت لحم وإنه يجب تحقيق أقوال النبى ميخا 5: 1(الآن تجتمعين يا بنت الجيوش. قد أقام علينا متسة. يضربون قاضي إسرائيل بقضيب

على خده). فكانت الأناجيل فى حاجة لأن تبرهن على أن يسوع الذى سموه المسيح (كرستوس) و"ابن داود" من مدينة بيت لحم التى ولد فيها داود. وفقا لروايتى الإنجيلين (متى، لوقا) ولد يسوع فى مدينة بيت لحم وحملت فيه أمه مريم من روح القدس. فإذا لم يكن له أب فما العلاقة بينه وبين بيت داود؟ وإذا كان المسيح من نسل داود وفقا لروايات التلمود والأناجيل فإن ولادة يسوع يجب أن تكون على الأقل فى بيت لحم موطن بيت داود.

كان يوسف والد يسوع وأمه مريم، وفقا لشهادة صريحة لإحدى مخطوطات الشام القديمة للأناجيل، التى اكتشفتها السيدتان لويس وجبسون فى دير بجبل سيناء، وذلك فى سفر متى 1: 16 (**ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح**) ولا يعرف مرقس شيئا عن قصص متى ولوقا حول مولد يسوع من روح القدس. تتناقض روايات الأناجيل وروايات كتاب "تاريخ يسوع" التى تقول إن يسوع كان ابن زنا من بنديرا. ظهرت هذه الروايات بعد أن تحدد فى المسيحية أن يسوع ليس مسيحا فقط بل ابن الله. فإذا لم يكن إلا مسيحا حاولوا إثبات أن يوسف أبيه من نسل داود. فبوصفه ابن الله لا يمكن أن يكون له أب بشرى، لذلك ولد من روح القدس التى حملت بها أمه بشكل لا يفهمه الناس واختلفت فيه الطوائف المسيحية القديمة فيما بينها. أما اليهود الذين كانوا أيضا فى تلك الأيام تنقصهم روح النقد والإدراك التاريخى ولكنهم كانوا موحدين فصدقوا بأنه ولد بدون أب وبدلا من روح القدس تقول رواياتهم من الزنى المحرم. والحقيقة أن يسوع كان كسائر أطفال اليهود فى الجليل، فكانوا يحافظون هناك على كل ما يخص السيدات المخطوبات، وإن كان ذلك بشكل أقل فى منطقة يهوذا. ... من الواضح أن يسوع كان طفلا من نسل

إسـرائيل عـاش فى منطقـة تـزدحم بالسـكان اليهـود. وتشـهد بـذلك صـفاته اليهودية ونمط حياته الذى يشبه نمط حياة بنى إسرائيل.

كان يوسـف أبـو يسـوع نجلرا علم ابنه صنعته، وكان ذلك متبعا فى أرض فلسـطين فى ذلك الوقت بل فى العالم كله حتى العصور الوسـطى. ... بـذلك خـرج يسـوع من طبقـة الشـعب البسـيط ومن بين الكادحين فعـرف أحـزانهم وفقرهم وكدهم.

علم يوسف ابنه التوراة للحفاظ على الوصية التى تقول "وعلمتم أولادكم" وكان هنـاك مدرسـة فى أورشـليم فى أيـام شـمعون بـن شـطاح، إلا أن إنشـاء المدارس فى المدن كافة تم على يد الكاهن الأكبر يهشواع بن جملا بعد ثلاثين عام من صلب يسوع. ويرجح أن يوسف باعتباره من أرباب الحرف فى الجليل لم يكن ملما تملما بالتوراة فلم يستطع أن يعلمها لإبنه. تعلم يسوع التوراة من "حزان الكنيس" فى بلدته، الذى كان يعلم الأطفال بشكل مؤقت، ربما قبل الكاهن يهوشواع بن جملا. ولا شك أن يسوع عرف التوراة والأنبياء وربما سفر المزامير كما كان على علم بسفر دانيال ورؤياه وربما سفر حانوخ (من الأسفار الخارجية) وربما سمع التوراة تتلى بالعبرية وتترجم إلى الآرامية الدارجة فى كنيس الناصرة (حيث لم يكن هناك مدينة بلا كنيس)، فكل ما ورد على لسان يسوع حفظ فى الأناجيل بالآرامية. فنجد على سبيل المثال أنه عند صلبه يتلو فقرة من سفر المزامير بالآرامية. وكان أهل الجليل يعرفون بلغتهم الآرامية فى يهوذا وهذا مذكور فى التلمود والأناجيل. ويبدو أن يوسف أحب يسوع الطفل حبا جما؛ فى حين أن أمه مريم تذكر أحداث حياته وحتى بعد صلبه بل يذكر إخوته وأخواته معها ولم يذكر أبوه الا ساعة ميلاده. ومن الصعب أن نصدق أن عدم ذكر والده كان عن قصد حتى لا تكون هناك

عقبة أمام أسطورة "مولد يسوع" من روح القدس غير أن ذكر إخوته وأخواته هو العقبة الحقيقية ولكن بدرجة أقل. وفى مقابل هذا يكثر يسوع من الحديث عن محبة الأب لبنيه ولا يتحدث قط عن محبة الأم حتى أن الابن التائه لا تقابله أمه بحب (أنظر المثل الذى يحكيه يسوع فى هذا الصدد فى لوقا 15: 11). ونحن نقول مضطرين إن ذكر أبى يسوع كان أكثر قيمة لديه من أمه الحية التى لم يفهمها ورفضها عندما جاءت هى وإخوته يطلبونه (أنظر متى 12: 46). كان عليه لكونه أكبر أخوته أن يعول أمه الأرملة وإخوته الأيتام الصغار من عمله كنجار. قضى يسوع طفولته بين التوراة والعمل وفى شبابه فى البلدة الصغيرة الضائعة بين جبال الجليل. وكان لجمال الطبيعة فى الناصرة تأثير عليه بصورة لم يتصورها وإن كان تحدث بعد ذلك عن "سوسنة الحقول" بثيابها الملونة التى لم يلبسها الملك سليمان بكل بهائه (متى 6: 28-29). وإن كانت معظم أمثاله اللطيفة عن الخداع والغرسين حول التين والخردل والقمح فإن ذلك يدل على أن قلبه كان معلقا بالحقول والحدائق والطبيعة الغنية بألوان الزهور فى الناصرة. ويرى هذا المنظر اليوم من يصعد الجبال المجاورة للناصرة وهى من أروع المناظر الطبيعية فى أرض فلسطين. فمن ناحية الشرق هضاب غير مرتفعة ممتدة حتى البحر المتوسط وسماء زرقاء تعكس ضوء الشمس ومن الجنوب وادى يزرعئيل المزدان بالجبال التى تبدو بنباتاتها وأشجارها كالبحر الأخضر بشواطئ برتقالية. يزين الوادى هضبة المورا، أرض معركة جدعون، وجبال جلبوع التى سقط عليها الملك شاول شهيدا. ومن الشرق جبل تبور الدائرى والمخضر بغاباته الخفيفة. وفى الجنوب الغربى جبل الكرمل الذى يبدو كأنه يهوى إلى البحر. وفى أقصى الشرق، وراء نهر الأردن تظهر جبال جلعاد عارية كالتلال من خلال الرمال التى تحملها الرياح من الصحراء. وفى الشمال جبال

نفتالى وجبال الجليل الأعلى. وفى الأفق الشمالى يظهر جبل الحرمون بقمته البيضاء الفضية تليه جبال لبنان.

يبدو أن هذا المنظر كان له أثره على يسوع وإن لم يشعر بذلك: فالأولون بشكل عام واليهود بشكل خاص لم يمعنوا النظر فى الطبيعة للتمتع بها مثلنا اليوم. إلا أن هناك شائعات بعيدة اليوم تقول إن يسوع كان ينعزل فى الجبال ويقضى الليل تحت السماء المزدانة بالنجوم وهو يصلى. وكان يصاحب ذلك بالطبع حساب النفس والتفكير فى الكون. وحينئذ قويت روحه الشابة الساعية لإلهها فى السماء. منعزل عن العالم القديم بين الجبال فى طبيعة خلابة دمث هادئ فى شعب يعمل فى الأرض مكتفيا بالقليل فكان مضطرا أن يكون حالما قلقا ومفكرا لا فى مستقبل شعبه الذى كان بعيدا عن الاضطرابات السياسية ولا فى ظلم الرومان الشديد الذى لم يره تقريبا؛ بل قلق خاص على نفسه وعلى ملكوت السماء؛ ملكوت ليس من هذا العالم....

أوجدت جبال يهوذا الشامخة حول أورشليم النبى المحارب والشديد الذى يضع إرادته فوق إرادة كل العالم الذى يثور على الظلم فى مجتمع يتنبأ بالانتقام من الأغيار وعقاب الشعوب. أما جبال الجليل الرائعة التى تبهر العيون وتشرح الصدور وتحيط بمدينة الناصرة والتى مع كل بهائها فإن بها رقة ونعومة وهدوء، الناصرة المغلقة والمنغلقة بين جبالها والتى لم تصل إليها الحروب الا كالكلمة البعيدة والمنسيقه الجبال لا تنشئ إلا حالما بإصلاح العالم بملكوت الله دون الانقلاب على الرومان أو عصيان الأمة؛ بل بإصلاح النفس من الداخل فقط.

كان يسوع والطبيعة قوتان عظيمتان: الشريعة والحياة. كان القلب اليقظ والخيال الخصب من سمات يسوع. وكانت قراءاته عن الأنبياء، سواء بنفسه أو سملعا، تصقل روحه. وعظات إشعياء الأول ومواساة إشعياء الثانى وآلام إرمياء ورؤيا حزقيال وشكاوى سفر المزامير وأشواقه؛ بل سفر حانوخ أيضا وأجزاء من توراة موسى المليئة بمحبة الله والإنسان، كل هذا ألهب مشاعره وأثرى روحه.

كان الجليل فى ذلك الوقت، فى أيام طفولة يسوع وصباه، بعد فترة قصيرة من الاضطرابات التى تلت موت هيرودس وفى أيام تعداد كويرينيوس الذى أدى إلى ظهور (أو استئناف عمل) طائفة المتشددين التى أسسها هودا الجليلى، مثل الشعلة الملتهبة لوجود كثير من المتمردين والساخطين والساعين إلى الإله فيه. ربما لم تصل هذه الاضطرابات الشديدة إلى البلدة الصغيرة فى جبال الجليل السفلى، ولكن وصل صداها بالتأكيد. كانت الحياة صعبة نظرا لثقل الضرائب والأمراض والفقر والأرامل والأيتام والحقول المهجورة وكل ذلك بسبب كثرة الحروب وحركات التمرد. وخنقته العبرات من الظلم الشديد وكان الأمل الوحيد الذى يملأ قلبه أن يوم "الخلاص آتٍ" عما قريب وذلك بالمفهوم السياسى والاقتصادى والروحى على السواء؛ ستأتى "أيام المسيح" وسيملك المسيح" وسيظهر بكل قوته وسلطانه وبكل سمو الأخلاق وسيضع نهاية للآلام والنقائص ولكل الاستعمار والشر. يسوع الذى خرج من الناس وعاش بينهم وعرف آلامهم وأحزانهم وعرف الأنبياء وأهدافهم فكر مديًا فى الوضع وهيأ له خياله الخلاص بألوانه الزاهرة، السياسية والروحية. وكواحد من"المتواضعين فى الأرض" كان لديه ميل شديد إلى الشق الروحى من جوهر المسيحية وهى فكرة الخلاص. ربما راودته الفكرة ككثير من

أبناء الجليل فى أن يكون هو نفسه مخلص إسرائيل: المخلص الروحى، فعن طريق الخلاص الروحى يتحقق الخلاص السياسى. وهذا ما يمكن أن نحدس به مما حدث بعد ذلك عندما أتم يسوع الثلاثين. فأخبار حياته الواضحة وكذلك أعماله حتى ظهور يوحنا المعمدان لا نعلم عنها شيئا. فتحكى قصة لوقا (2: 41-) أنه عندما أتم يسوع 12 عاما ذهب مع أبويه إلى أورشليم وتجادل هناك فى أحد كتاتيب الهيكل المقدس مع الفريسيين الذين أدهشتهم حكمته. وهذه القصة لم ترد فى أى إنجيل آخر. سمع لوقا عن أمر الولد المكلف فى إسرائيل، عندما يبلغ الصبى الثالثة عشرة والفتاة الثانية عشرة، ولم يكن من الممكن تصور أن يسوع اليهودى لم يتفوق فى ذلك الوقت فى أى شىء. أما مرقس فلا يعلم شيئا عن حياة يسوع حتى عمده يوحنا. وهذه هى الحقيقة: عدم المعرفة هذه تناسب طبيعة اليهود فى العصر القديم. فقد اهتم اليهود بحياة الإنسان العظيم فقط بعد ظهوره على الساحة التاريخية وقبلها لا يرى اليهودى ضرورة للاهتمام به. فهو قبل ذلك بشر كسائر البشر فى العالم. فلماذا نعرف تفاصيل حياته؟ أما الأسطورة المقدسة فتهتم بمولده وأيامه الأولى.....

الخاتمة: من هو يسوع فى نظر اليهود؟

لا تخلو صفحة فى الكتاب الحالى ولا خطوة فى تاريخ يسوع أو سطر فى شريعته من أثر اليهودية النبوئية والفريسية وأثر أرض فلسطين فى نهاية حقبة الهيكل الثانى. لذا فمن الغريب أن نسأل: **من هو يسوع عند اليهود؟**

لم يكن يسوع مسيحيا، بل كان يهوديا؛ وهذا ما قاله فلهاوزن[1]. ولكونه يهوديا فإن تاريخه يعتبر تاريخ أحد العجائب بين يهود الهيكل الثانى وإن شريعته هى شريعة يهودية تمتاز بالحقيقة والخيال.

لم يكن يسوع مسيحيا، بل أصبح مسيحيا. والآن انفصل تاريخه وشريعته عن تاريخ بنى إسرائيل وشريعتهم. فشعب إسرائيل لم يقبله، وتلاميذه وتلاميذ تلاميذه يضطهدون بنى إسرائيل وشريعتها حتى اليوم ويكرهونهم. ولا يمكن مع ذلك أن نتصور كتابا عن تاريخ بنى إسرائيل فى فترة الهيكل الثانى لا يذكر فيه يسوع ولا تحترم شريعته. لذا **فمن هو يسوع بالنسبة لليهود اليوم؟** بالمفهوم الإنسانى العام هو بالتأكيد "نور للأغيار" فقد حمل تلاميذه شعلة شريعة إسرائيل وإن كان بشكل مجتزأ ومشوه إلى عبدة الأوثان فى أنحاء الأرض. ولا يستطيع أى يهودى أن ينسى ليسوع وشريعته هذه القيمة التاريخية العالمية. ولم ينسه رامبام ولا يهوذا اللاوى.

أما بالمفهوم القومى العبرى فمن الصعب تقدير قيمة يسوع؛ فعلى الرغم من أنه هو نفسه كان يهوديا قوميا وفقا لمشاعره، بل قومى متطرف لما نراه فى رده القاسى على المرأة الكنعانية (متى 15/ 21-)... وفى حبه الشديد لأورشليم ولـ " **خِرافِ بيتِ إسرائيل الضالة**"[2] ، مع هذا كله كان فيه شىء ينافى اليهودية.

من هو يسوع بالنسبة لبنى إسرائيل اليوم؟

[1] من أهم باحثى المسيحية فى ألمانيا فى القرن التاسع عشر

[2] متى 10:6

لا يمكن أن يكون "إلها" للأمة أو "ابن الله" بمفهوم التثليث. فكلا الأمرين بالنسبة لليهودى سب وقذف ؛ بل غير مفهومين. كما أنه ليس المسيح بالنسبة لهم؛ فملكوت السماء – أى أيام المسيح - لم يحن بعد. ولا يعتبره اليهود نبيا إذ ينقصه الإنجاز السياسى وتعزية الشعب بالمفهوم السياسى القومى. كما أنه ليس مشرعا لشعب إسرائيل ولا صاحب ديانة جديدة – ولم يكن هو نفسه راغب فى ذلك. كما لم يكن من التنائيم أو الفريسيين لأنه عارضهم ولم يحقق الجانب الإيجابى بمفهوم احتواء الحياة القومية وتقوية الوجود القومى فى عمل الفريسيين.

لكن يسوع بالنسبة لليهود صاحب أخلاق كريمة ومقدم ماهر للأمثال . هو رجل الأخلاق الأول. ونظرا لتطرفها أصبحت شريعته الأخلاقية نموذجا للأفراد ومزمورا سيأتى فى أيام المسيح عندما ينتهى العالم القديم والمجتمع الحالى، لكنها ليست شريعة أخلاق بالنسبة للمجتمع وقوميات الوقت الحالى التى هى فى طريقها إلى المستقبل المسيحى النبوئى وإلى "ملكوت الله" الواردة فى التلمود، التى هى من هذا العالم وسوف تتحقق تدريجيا فى هذا العالم. غير أن فى شريعته الأخلاقية "سمو وتفرد" وأصالة الصورة التى لا نظير لها فى أية شريعة أخلاقية عبرية أخرى. لذلك لا مثيل للفن الرائع الموجود فى أمثاله والشدة والتعليمية الموجودة فى أمثاله القصيرة ويستشهد الكثيرون بأقواله أكثر من أية أقوال أخرى. ولو حدث يوما أن خرجت شريعته الأخلاقية عن غلاف العقيدة الغامض وقصص المعجزات فسيكون كتاب خلاص يسوع واحدا من أفضل النفائس فى الأدب الإسرائيلى فى كافة العصور.

ميلطون آرون

(1996-1911)

رجل دين وباحث فى الأدب العبرى القديم

ولد ميلطون آرون فى الولايات المتحدة ودرس فى جامعة شيكاغو وحصل فيها على درجة الدكتوراة فى الدراسات الكلاسيكية. كما درس فى كلية اللاهوت العبرية بشيكاغو وتأهل فيها ليصبح رجل دين (حبرا). خدم فى جيش الولايات المتحدة كحبر وسرح مع نهاية الحرب العالمية الثانية برتبة مقدم. عمل بعدها حبرا للطائفة اليهودية المحافظة فى فينيفنج بكندا على مدى عشرين علما. كما درس فى الوقت نفسه فى "الكلية الموحدة" – مدرسة دينية مسيحية فى فينيفنج. وفى عام 1971 تفرغ لأبحاثه فى مختلف المجالات ومن بينها بداية العصر المسيحى. صدر كتابه عن يسوع والمسيحية، الذى كتبه بالانجليزية، ثم صدر بالعبرية تحت عنوان "يسوع والمسيحية: نقيضان". ويشير العنوان إلى رغبة المؤلف فى الفصل بين يسوع الإنسان وبين الديانة التى نسجت حول شخصيته واعتبارهما طرفى نقيض.

يزعم ميلطون آرون أن يسوع كان شخصية تاريخية لم تهتم بأى من الموضوعات التى تدعيها الكنيسة المسيحية باسمه. "**لم يكن يسوع على ما يبدو أسطورة؛ كان على ما يبدو من الجليل وباشر الوعظ فى منطقة طبرية وأعدمه الرومان فى حوالى عام 30م. وكل من كتب عن يسوع وأورد معلومات أكثر تفصيلا عما ورد فى هذه العبارة – فإنه اتبع هواه، وكل شخص وهواه.**"

وعلى أساس أدب الأحبار (حازل) الذى لم يستغل كما ينبغى فى رأى آرون من أجل استيضاح الواقع التاريخى الذى عاش فيه يسوع يستعيد آرون تاريخ حياة يسوع بداية من أصله ومولده ومرورا بتعليمه ونهاية بموته المأساوى. واستنتاجه هو " **إنى أميل إلى اعتبار يسوع يهوديا خالصا ،مخلصا لدينه بكل قلبه ونفسه – وأزعم أنه لو عاد إلى الحياة والتقى بأجنبى أو بمسيحى يتحدث باسمه لقال له: "سيدى العزيز، ماذا لى ولك؟ إنى بعثت من أجل شعب؛ من أجل اليهود دون غيرهم.**" ويقدم آرون يسوع كمعلم للكثيرين، قديس صاحب روح رحيمة محبة للإنسان يحافظ على التعاليم ومخلص لدينه ويقول إنه من الناحية التاريخية ليس هناك أساس لا لقصة العشاء الأخير ومحاكمة يسوع ولا لقصة الصلب أو قصة القبر الخاوى. فقد اختلق أصحاب الأناجيل كل هذه القصص مثلما أختلقت قصة المعجزات المرتبطة بيسوع أو الإيمان برسالته المسيحية. "**شىء واحد لا يشوبه أى شك: ليس هناك علاقة بين المسيحية والكنيسة وبين يسوع التاريخى، وكل ما يربطهما به هو الشبه المشوه الذى أوجدوه من شخصية القديس اليهودى ابن الجليل**".

يفرد آرون مساحة كبيرة لفترة صبا يسوع وعلاقته بمعلمه الذى كان فى رأيه الحبر يوحنان بن زكاى المعروف بأنه مؤسس مركز "يفنى" بعد خراب الهيكل الثانى. يعتبر آرون أن وجود علاقة بين يسوع ويوحنان بن زكاى هو التجديد الأساسى فى بحثه".

ونعرض فيما يلى فقرات من الفصول التى تناول فيها علاقة يسوع بهذا المعلم، وجزء من خاتمة الكتاب التى تعرض بوضوح موقف المؤلف من موضوع بحثه.

"كانت المدارس التى أنشئت فى عصر يناى فى الأساس مدارس ابتدائية تقبل الأطفال فى عمر ست سنوات أو سبع. لذلك نعيد طرح السؤال الذى عرضنا له مرارا وتكرارا فى الصفحات السابقة: أين حصل يسوع على معلوماته الكثيرة حتى تشبع بالتوراة الشفهية؟ من الواضح أن الإجابة التى وجدتها لهذا السؤال احتجبت عن أعين كل المهتمين بالعهد الجديد على مدى ما يقرب من ألفى عام، وهى أن الحبر حنان بن زكاى كان معلم يسوع.

وعندما اكتشفت ذلك أول مرة ارتبكت واندهشت، فالأحداث التى كان من المنتظر أن تقع بعد موت هذه الشخصيات أوضحت التقارب بينها بشكل مفاجئ وغريب. أما فيما يخص يسوع فكان من المنتظر أن ينسب نفسه إلى الدين الجديد. وأما الحبر يوحنان بن زكاى فيعتبره الكثيرون مؤسسا لليهودية على غرار الأحبار (حازل) ولمزيد من التعرف على يوحنان بن زكاى علينا الإجابة عن التساؤلات التالية: من هو؟ وما الدور الذى لعبه فى تاريخ شعب إسرائيل؟ ولماذا كانت علاقته بيسوع وثيقة إلى هذا الحد؟ وكيف التقيا؟

إن الدليل على أن يوحنان بن زكاى كان معلم يسوع أمر يتطلب دراسة تفوق ما يمكن أن نعرض له فى هذا المقام. وسبق أن ناقشت ذلك بتفصيل أكبر فى موضع آخر (كتاب آخر عن يسوع لم يصدر قط). وهذه أمور لا تهم إلا المتخصصين. لذا فإننا نكتفى بذكر هذه الحقيقة كأمر لا يحتاج إلى برهان. قيل إن يوحنان بن زكاى حظى فى صغره على تقدير كبير كواحد من أبرز أحبار إسرائيل، وقضى ثمانية عشر عاما من حياته فى مدينة عارب المجاورة على بعد بضعة كيلومترات من بلدة تسيبورى الكبرى. وكانت الناصرة بلدة مجاورة لتسيبورى. يتضح أن يسوع ويوحنان بن زكاى كانا يعيشان فى منطقتين متجاورتين طوال ما يقرب من عشرين سنة ولا يمكن

تصور أنهما لم يلتقيا أو لم يكن بينهما أى اتصال. وأكثر من هذا، كما سنرى فيما يلى، كان أحد الأسئلة الرئيسة فى تلك الأيام هو: هل هناك مجال لمقاومة الحكم الرومانى بالقوة، أم يجب التعايش معه؟ كان يوحنان بن زكاى أول المنادين بالإعتدال. ومن المقولات الأصلية ليسوع قوله صراحة " أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله"[1]. ورد فى التلمود ما شابه ذلك "ألا تعلم أن هذه الأمة (الرومانية) تم تمليكها من السماء؟".[2] وهناك حقيقة لا تقل أهمية وهى أن أحد تلاميذ يوحنان بن زكاى كان الحبر حنينا بن دوسا الذى كان الأب الروحى للفقراء والمعدمين فى القرن الأول الميلادى. وتبنى يسوع الفقراء والمعدمين، ليس فقط من منطلق الرحمة بل من منطلق الفهم الحقيقى لمعنى الفقر كما عرض له الحبر حنينا فى طريقة حياته. وجمعت فى موضع آخر كافة المعلومات عن الحبر يوحنان بن زكاى وعن الحبر حنينا وقارنت بينهما وبين شريعة يسوع والاستنتاج واحد ووحيد لا يمكن إنكاره؛ وهو أن يسوع كان تلميذ هذين الحبرين. ....

قبل أن نستمر يبدو أنه آن الآوان لأعلن عن مواقفى وذلك بقولين قصيرين يوضحان رؤيتى ليسوع التاريخى وطريقتى فى تحليل شخصيته.... القول الأول وإن لم يكن صحيحا مائة بالمائة فإنه صحيح بنسبة تسعة وتسعين بالمائة: لم يكن لدى يسوع أية فكرة عن اللاهوت الذى ارتبط باسمه أو فرض عليه بعد ألفى عام تقريبا من موته المأساوى. وعبارة "أية فكرة" هى ما يميز رؤيتى وهى التى تميز بينه وبين نسبة التسعة والتسعين بالمائة الأخرى. لم يكن ليسوع أى اهتمام بأحداث نهاية العالم ولا بأية شريعة مسيحانية ولا

[1] متى 22:21

[2] التلمود البابلى – الوثنية 17:18

بموضوع القيام بعد الموت أو التثليث المقدس ولا بموضوع الولادة من عذراء أو الوليمة المقدسة ولا بتأسيس الكنيسة ولا بمؤسسة الكهانة ولا بالخلاص المكفر بعد الصلب.

ربما بدا الأمر مفاجئا وغريبا لكن الحقيقة أن الصلب لم يحدث قط، ولم تكن هناك أية محاكمة، وأن الوليمة الأخيرة لا أساس لها....

القول الآخر أن يسوع صعد إلى أورشليم لسبب واحد فقط، سبب غاب عن نظرالجميع؛ وهو أن هدف يسوع الوحيد هو مقابلة الحبر يوحنان بن زكاى. ...

بدأ يسوع الدراسة عندما بلغ السادسة أو السابعة من عمره مع أطفال آخرين كانوا يسكنون معه فى المستوطنات المجاورة؛ وكان بعضهم يسير ثمانية أو عشرة كيلومترات إلى المدرسة وكان بعضهم وربما معظمهم يتسربون من المدرسة قبل بلوغهم العاشرة حيث كانت المزارع بحاجة إلى مزيد من الأيدى العاملة. وواصل يسوع الذى أحب الدراسة فى التعليم وتفوق فيه نظرا لاجتهاده، وإن كان توقف فى بعض الأحيان عن الذهاب إلى المدرسة لمساعدة أسرته فى بعض الالتزامات. ومع الوقت وبعد توقف زملائه عن الذهاب إلى المدرسة وجد يسوع نفسه وحيدا أمام معلمه. وأدرك المعلم أن يسوع يتقدم فى دراسته بشكل كبير حتى أنه لا يستطيع الاستفادة من العلوم الأساسية التى يستطيع أبوه أن يلقنه إياها.

كان يقيم فى مدينة عارب كما ذكرنا تلميذ نجيب هو الحبر حنينا بن دوسا الذى زار الناصرة المجاورة أكثر من مرة. وتلقى تعليمه فى أورشليم. ومع أنه كان فى عمر يسوع إلا أنه استطاع أن يتقدم فى دراسته بصورة مبهرة. تعرف

الحبر حنينا على يسوع وانبهر بحماسه لتعلم التوراة فأعد له برنامجا لتعلم التوراة كى يستطيع أن يعلم بنفسه. كان يسوع يأتى من حين لآخر إلى عارب ومعه تساؤلات تراكمت لديه منذ لقائهما السابق. واستنتج الحبر حنينا أن يسوع سيزداد فائدة من الدراسة المنتظمة فى إطار بيت هامدراش فحثه على الذهاب إلى أورشليم لاستكمال دراسته بها. وفى أثناء مناقشتهما هذه المسألة وكيفية تنفيذها مات أبو يسوع وزادت مسئوليته بعدها تجاه أسرته حيث كان الابن الأكبر؛ وكان عليه أن يهتم باحتياجات إخوته وأخواته. فتخلى نهائيا عن فكرة الدراسة فى أورشليم. وإذا ببشرى مفاجئة وسارة يتلقاها يسوع وهى أن الحبر يوحنان بن زكاى – على الرغم من صغر سنه حيث كان فى الثانية والعشرين وكان من أبرز أحبار إسرائيل- سينتقل للإقامة الدائمة فى عارب. فإن لم ينتقل يسوع إلى الجبل فإن الجبل انتقل إليه. وليس من الصعب تصور مشاعر يسوع فى ظل وجود فرصة أو أخرى يستطيع من خلالها الدراسة على يد يوحنان بن زكاى. وكان ذلك حلما بالنسبة له. درس يوحنان بن زكاى على يد هليل العلامة الذى مات قبل ذلك بعامين. كان يسوع فى السابعة عشرة عندما وصل يوحنان بن زكاى إلى عارب، أى فى عام 12 ق.م[1] على ما يبدو. أتى الحبر حنينا بيسوع إلى الحبر يوحنان بن زكاى باعتباره أحد تلاميذه بعد أن اختبره. ونظرا لالتزاماته الأسرية امتنع يسوع عن المشاركة اليومية فى الدراسة ولكنه كان يبذل قصارى جهده للقاء معلمه مرتين فى الأسبوع على الأقل. ومع هذا اجتهد يسوع فى دراسته وتقدم بمعدل غير عادى لذكائه الشديد وإخلاصه فى الدراسة. لم يكن معظم سكان الجليل

[1] التلمود الأورشليمى، شبات 8:16

يولون أهمية كبرى لوجود الحبر يوحنان بن زكان بالقرب منهم فكانت حياتهم حياة عمل دائم ومستمر وبذلوا كل جهدهم فى السعى للحصول على المال؛ فعملوا من طلوع الفجر حتى أول الليل ولم يجدوا الوقت للإهتمام بأمور أخرى كالدراسة بشكل عام أو دراسة التوراة بشكل خاص. أما يسوع فكان ذلك ذروة أحلامه وتطلعاته ولكن لسوء الطالع، كما سنرى، كانت معرفة يسوع بالحبر يوحنان بن زكاى هى العامل الذى أدى بشكل غير مباشر بعد عشرين سنة إلى موته المبكر. ...

كان تأثير الحبرين حنينا بن دوسا ورابى يوحنان بن زكاى الشديد هو الذى صنع يسوع التاريخى. إذ استوعب الحبر حنينا بن دوسا حقيقة الفقر المذل والمرهق ولكنه تعلم أيضا كيف يستطيع الفقير أن يسكن آلام الفقر ويخفيها. فعلم يسوع أن الفقر يطحن الإنسان والثراء يفسده، لكن الإنسان يستطيع التغلب عليهما بالقوة الكامنة فيه. فهما ليسا بالعائق الذى لا يمكن التغلب عليه فى الطريق إلى الحياة الكاملة. والإنسان الذى لا يملك شيئا يمكن أن يتعلم كيف يمكن أن يعيش بدون كثير من الماديات وأن أخاه الثرى يمكن أن يتعلم السعادة فى إشراك الآخرين فى ثرائه. ... أما الحبر يوحنان بن زكاى فعلم تلميذه المطيع أهمية السعى من أجل السلام وأن أى صراع مهما كانت أسبابه عقيم لأنه فى النهاية ليس فيه منتصر بل خاسر فقط فيأتى الندم بعد كل خصام. والقوة زائلة لأن القوى يخضع لمن هو أقوى منه. لا أقصد هنا القول بأن معلمى يسوع وضعوا شريعتهم على لوح فارغ. بل على العكس؛ فقد عرف يسوع الفقر مثلما عرفه القليلون لأنه أحاط به منذ طفولته. والأرض التى عاش عليها كانت خصبة لكن الطقس كان متقلبا وكان الفقر أمرا يوميا، وكانت الأوبئة تصيب السكان من حين لآخر والحياة صعبة بل

قاسية فى بعض الأحيان. بالإضافة إلى أنه لم يكن من الممكن الفرار من أيدى جباة الضرائب الذين لم يعرفوا الشبع....

نشر الحبر يوحنان بن زكاى الحكمة على مدى الأجيال ووزع المعرفة على كل من حوله بسخاء كالنبع الفياض، فتعلم يسوع منه الفائدة المتزايدة فى فضيلة التواضع: "لو تعلمت التوراة كثيرا فلا تحتفظ بالخير لنفسك فقط، لأنك خلقت من أجل ذلك"[1] فالإنسان يكتسب المعرفة من خلال تذكره كل ما تعلم ولكن "كل من تباهى بالحكمة فإن حكمته تزول"[2]، "وكل من كانت به فظاظة قال الله عنه: لا نسكن أنا وهو فى عالم واحد"[3] ، وقال الحبر يوحنان بن زكاى أن التعلم لا يجعلك من النبلاء. وبعدما أحس يوحنان بن زكاى أن فكره تغلغل فى قلب يسوع كان مستعدا أن يقدم له تفاصيل الشريعة بل أيضا فهم خفايا التوراة الشفهية بأكملها... فتفقه يسوع فى الشريعة الشفهية إلى حد كبير.

[1] المشنا فصول الآباء 1: 9

[2] التلمود البابلى – بساحيم 66: 72

[3] التلمود البابلى، سوطا 5: 71

الخاتمة

على ضوء ما قدمنا فى المقدمة أود أن أوجز ما قيل فى هذا الكتاب فيما يلى. كان يسوع رجلاعاش على الأرض وليس أسطورة. أراد أن ينقل لأبناء جيله رسالة ذات طابع يهودى خالص. والوصف الذى يناسب هذا الرجل وصفاته هو أنه 'قديس' فى نهج حياته ومنهج تفكيره وهو نموذج لكل ما هو سامٍ وراق فى البشر. و انتهت حياته نتيجة حادث مأساوى. لم يكن يسوع على علم بمعظم الأفكار التى ارتبطت به بعد موته. إذ ذكرنا أن يسوع لم يصعد على الساحة العامة لأنه كان مهتما بما سيحدث مستقبلامن نهاية الزمان أو أيام المسيح. وكان يحركه عاملان جعلاه يتخذ قرار الوعظ بين الناس؛ الأول احتلال الرومان أرض فلسطين التى حكموها بالقمع والبطش. والآخر تمسك أبناء شعبه من أهل الجليل بفكرة الحرية حتى أنهم كانوا على استعداد من فرط كراهيتهم للرومان أن يضحوا بحياتهم من أجل طرد المحتل من أرضهم. كان يسوع يخشى دائما من أن يثير المتشددون حربا ضد الرومان قد تؤدى إلى الخراب والدمار النهائى للدولة. ولا ينبغى القول إن مخاوفه تحققت فى النهاية. فكان يسوع يرى فى وجود الرومان فى فلسطين عقابا من الله؛ فما الرومان إلا أداة غضبه والطريق الوحيد للخلاص منهم هو عن طريق الندم والتوبة الكاملة لإله إبراهيم وإسحق ويعقوب. دعا يسوع إلى شريعته فى منطقة طبرية على مدى أربعة اسابيع وكان مما يزعجه دائما ويثير غضبه من كانوا يلحون فى طلب المعجزات أو أن يشرح لهم كيف سيطرد الرومان من فلسطين، هل بالقوة أم بدعوة آلاف الملائكة لمساعدته. واقتنع يسوع فى النهاية أنه لن يستطيع الإفلات من إلحاحهم، وألا أمل فى رسالته. فتنازل بأسف شديد عن إكمال نشاطه الجماهيرى وتوجه إلى أورشليم كى يكمل

دراسته على يد معلميه الحبر يوحنان بن زكاى والحبر حنينا بن دوسا. وفى أثناء زيارته الهيكل تسبب يسوع عن طريق الخطأ فى هرج فى قاعة الصيارفة فقبضوا عليه على الفور وعندما اكتشفوا أنه من الجليل – وهى صفة كان من يحملها كمن يدعو إلى التمرد- وأعدم. لم يحظ بمحاكمة ولم يكن موته على الصليب. كل هذه أمور أختلقت فيما بعد، عقب وفاته. شاهدته مريم المجدلية التى ارتبطت بيسوع كثيرا، لكنها لم تكن مستقرة نفسيا فاعتقدت فى هذيانها أنه سيعود بعد موته ويكلمها وحكت ذلك لأصحاب يسوع وهم كذلك. وبسبب السحر الذى وقع فى قلوبهم من شخصية يسوع ونظرا لانجذابهم إليه قالوا أشياء مشابهة.

انتشرت فكرة كون يسوع هو المسيح بسرعة وسرعان ما أصبحت مجموعة صغيرة من المؤمنين طائفة كبيرة تركزت فى أورشليم. ...

أمر واحد لا شك فيه هو أن المسيحية والكنيسة لا علاقة لهما بيسوع التاريخى. وكل ما بينهما هو المسيح الذى اختلقوا بأنفسهم من شخصية القديس اليهودى ابن الجليل.

القاضى حاييم كوهين

(2002 - 1911)

مستشار قانونى فى الحكومة الإسرائيلية وقاض فى المحكمة العليا

ولد حاييم كوهين لأسرة من رجال الدين. هاجر إلى إسرئيل عام 1930 وانضم بعد قيام الدولة إلى الطاقم الذى أسس النظام القضائى فى إسرائيل وشغل فى ذلك الوقت مناصب مهمة فى هذا النظام: المدعى العام (1948-1950)، المستشار القانونى للحكومة (1950-1960)، قاض فى المحكمة العليا (1960 حتى تقاعده عام 1981). كما شغل منصب القائم الدائم بأعمال رئيس المحكمة العليا. حصل على جائزة الدولة فى العلوم القانونية عام 1980.

عرف حاييم كوهين كقاض بميوله الليبرالية ودفاعه الشديد عن حقوق المواطن. نشر العديد من المؤلفات فى مختلف مجالات القانون من بينها أبحاث فى القضاء العبرى وتاريخ القضاء بشكل عام. من أشهر مؤلفاته كتابه الذى يحمل عنوان "محاكمة يسوع الناصرى وموته"، صدر عام 1968، وترجم إلى العديد من اللغات. ووضع هذا الكتاب من منظور رجل قانون يدرس المحاكمة التى خاضها يسوع والحكم الصادر ضده وذلك من خلال دراسة المصادر التى تعرض لهذه المحاكمة. كما يدرس كوهين الأناجيل المختلفة وأدب "حازل" ويقترح تسلسلا للأحداث التاريخية وفق فهمه لها.

يعتقد كوهين كما يقول أن اليهود لم يرغبوا أبدا فى موت يسوع ولم يشاركوا فى محاكمته بل ولم يحضروها. ومن الأفكار الجديدة فى كتابه الفكرة التى لم

يقبلها كثير من الباحثين، وهى اعتباره اجتماع السنهدرين فى بيت الكاهن الأكبر قبل محاكمة يسوع محاولة لمساعدته وتجهيزه للمحاكمة بل محاولة لانقاذه فى اللحظة الأخيرة من موت محقق على يد الرومان. يزعم كوهين أن اتهام اليهود بقتل يسوع أمر يناسب أهداف كتاب الأناجيل ولكن ليس فيه شيء من الحقيقة ويجب تبرئة اليهود من أى اتهام بقتل يسوع.

نعرض فيما يلى بعض فقرات من الباب الخامس من الكتاب حيث يفند هذه الادعاءات تفصيلا.

يرى كثير من الباحثين أن ما حدث فى تلك الليلة فى بيت الكاهن الأكبر (أو فى بيت حنان صهره) ليس إلا ما علمنا من إنجيل يوحنا حيث قال إن الكاهن الأكبر حقق مع يسوع منفردا واقتنع بأنه مذنب ويجب محاكمته أمام بيلاطس، فى حين أن روايتى متى ومرقس حول اجتماع السنهدرين فى تلك الليلة فى بيت الكاهن الأكبر (وكذلك رواية لوقا حول اجتماع السنهدرين مع بزوغ الفجر) ما هو إلا أسطورة ليس لها أية قيمة تاريخية ولن نورط أنفسنا مع التاريخ. نفترض أن رواية الأناجيل متى ولوقا ومرقس ترتكز على رواية قديمة وهى رواية يوحنا وأن السنهدرين اجتمع بالفعل فى تلك الليلة فى بيت الكاهن الأكبر. ولأننا نمحص مغزى الأحداث من وجهة النظر اليهودية فإن ذلك افتراض ليس فى صالحنا (اليهود) فما من سبب يدفع إلى كراهية اليهود واتهامهم بالمسؤولية عن موت يسوع وذلك لمجرد اجتماع السنهدرين.

رأينا أن يسوع جيء به إلى بيت الكاهن الاكبر بدعوة منه، وهو الذى أرسل حرس الهيكل لمنع إرسال يسوع إلى سجن الرومان وضمان حضوره إلى داره. وعلم أن الجنود الرومان خرجوا للقبض عليه ، كما علم أن يسوع سيقوم

للمحاكمة الرومانية. ويعتقد البعض ان كبار الكهنة هم الذين تسببوا فيما أقدم عليه الرومانية من البداية. ولا شك أن الكاهن الأكبر كان على علم بأن بيلاطس سيحاكمه. وإن كان قد طلب إحضار يسوع إليه ليمثل أمام السنهدرين قبل عرضه على بيلاطس فقد كان هناك سبب وجيه لذلك، وهو أنه لم يرغب فى محاكمة يسوع أمام السنهدرين أولا ولم يكن دوره أو دور السنهدرين التحقيق معه؛ بل المحاكمة أمام بيلاطس أو لسبب آخر.

ينقسم الباحثون حول ما حدث فى تلك الليلة أمام السنهدرين إلى فريقين؛ أحدهما تؤيد حدوث المحاكمة الليلية والقول بأن السنهدرين حاكم يسوع فى تلك الليلة (أو مع بزوغ الفجر)، سواء أكانت تلك المحاكمة الوحيدة - ولم يكن على بيلاطس إلا أن يصدق على الحكم أو تنفيذه - أو كانت هناك محاكمتان الأولى "دينية" أمام السنهدرين والأخرى "سياسية" أمام بيلاطس. أما الفريق الآخر فيؤيد أسلوب التحقيق الليلى سواء أكان ذلك التحقيق بدعوة من السلطات الرومانية أو بدعوة من الكاهن الأكبر والسنهدرين. ونمحص فيما يلى الأسلوبين الواحد بعد الآخر.

على مر الأجيال وفى مختلف الأماكن والطوائف يتم تلقين المسيحيين نظرية وعقيدة فحواهما أن يسوع تم تقديمه فى تلك الليلة للمحاكمة الفعلية أمام السنهدرين، وحكموا عليه. فى حين أن معظم الباحثين المعاصرين سواء من رجال اللاهوت أو المؤرخين تبرأوا من هذه النظرية ... أما رجال القضاء وعلى نقيض رجال اللاهوت والمؤرخين الذين كتبوا عن محاكمة يسوع فمعظمهم إن لم يكن جميعهم يؤيدون الرأى القائل بأن السنهدرين حاكم يسوع؛ وهذا وحده سبب كافٍ لإعادة النظر فى هذه النظرية خاصة من الناحية القضائية.

هناك رأى يرى أن الكاهن الأكبر جمع السنهدرين فى تلك الليلة فى بيته حيث تم عقد محاكمة ليلية ليسوع وفقا للشريعة اليهودية، وأدين بتهمة الكفر بعد اعترافه أمامهم اعترافا كاملا وحكم عليه بالإعدام. وهو رأى غير واقعى وغير ممكن فى ضوء ما نعرفه عن الشريعة اليهودية للأسباب التالية:

1- لم يجتمع السنهدرين وليست لديه الصلاحية للاجتماع لإجراء محاكمة فى دار الكاهن الأكبر أو فى أى مكان آخر خارج مقر السنهدرين (فى الهيكل) (أنظر المشنا، المقاييس 5: 4، وغيرها).
2- لم يجتمع السنهدرين وليست لديه الصلاحية فى الاجتماع لاجراء محاكمة فى ساعات الليل. فقضايا النفس يتم نظرها نهارا وتنتهى نهارا (انظر التلمود البابلى سنهدرين 32: 71).
3- لا تتم محاكمة الناس ليلاأو نهارا فى الأعياد أو ليلة العيد.
4- لا يعاقب شخص لشهادة منه أو لاعترافه (انظر التوسفتا، الأسابيع 3: 8).
5- لايدان المتهم إلا بوجود شاهدين عليه شاهدوه يأتى الفعل المتهم به (انظر التوسفتا سنهدرين 11: 1).
6- لايدان المتهم إلا بوجود شاهدين عليه نصحاه بعدم الإقدام على فعلته.
7- لا يعتبر الكفر جريمة إلا إذا نطق المتهم بكلمة الكفر أمام شهود، ولا يجب على قائلها إحضار شاهد يفسرها (انظر التلمود البابلى، سنهدرين 55: 72 وغيرها).

لم تخف هذه التناقضات على مؤيدى الرأى القائل بانعقاد المحاكمة أمام السنهدرين. ويزعم بعضهم أن هذه التناقضات والتجاوزات ما هى إلا برهان أكيد على أن المحاكمة كانت باطلة من أولها لآخرها، وإن لم يكن كافيا أنهم عقدوا هذه المحاكمة وأساءوا إلى رجل برئ، فإن هذه التجاوزات فى هذه

المحاكمة الجوهرية، وذلك بالحكم الشكلى، تضيف مزيدا من الخزى إلى البطلان. ...

إذا كان السنهدرين لم يحاكم يسوع فى تلك الليلة ولم يحقق معه استعدادا لمحاكمته فى صباح اليوم التالى فماذا صنع ولماذا اجتمع فى بيت الكاهن الأكبر؟

سنعود لنرى أن تلك الليلة كانت ليلة فحص الخمير (أو وفقا لرواية أخرى ليلة العيد) وهو أمر انشغل به كل عضو من أعضاء السنهدرين سواء فى بيته أو فى الهيكل ضمن الاستعداد للعيد. وحتى نصدق أن السنهدرين تم استدعاؤه فى تلك الليلة فى بيت الكاهن الأكبر وأمضى أعضاؤه ساعات طويلة حتى طلوع الفجر فإننا فى حاجة إلى تفسير أكثر إقناعا. هذا إذا كان هناك أمر له أهمية خاصة ومستعجل بصورة لا تحتمل الانتظار، أهمية واستعجال غير قابلين للنقاش بين أعضاء السنهدرين. فإجراء أى تحقيق سابق والإعداد لمحاكمة لا تخصهم؛ بل تخص الرومان، أمر لم نعلم له أهمية أواستعجال وأى عضو من أعضاء السنهدرين كان سيستدعى فى مثل تلك الليلة إلى بيت الكاهن الأكبر وعلم أنه لم يستدع إلا لهذا السبب كان سيعود أدراجه. بل إن إجراء محاكمة سواء أكان الفعل جللا أو لسب أو لأية جريمة أخرى ليس مبررا لانعقاد السنهدرين فى مثل هذه الليلة (أو فى أية ليلة أخرى). إضافة إلى أن ذلك كان ثقيلا على أعضاء السنهدرين من الفريسيين والصدوقيين الذين علموا جيدا تحريم محاكمة الأفراد ليلا. بل إن هذه التحريم لا يمكن أن يتصوره قاض واحد ، ناهيك عن واحد وسبعين قاضيا، ويوافق على محاكمة متهم ليلا فما بالك بهذه الليلة بخاصة. إن المحكمة التى تصدر أحكاما بالإعدام دون صلاحية تعد مخالفة

للقانون. قد نفهم أنها تقوم بذلك كاللصوص فى الخفاء فى بيت أحدهم وفى ساعات الليل؛ لكن المحكمة التى لها صلاحية القانون وتصدر أحكامها بالإعدام طبقا للقانون لا يمكن أن تقوم بذلك فى الخفاء. قال البعض إن السنهدرين اجتمع ليلا فى الخفاء خوفا من "اضطرابات شعبية" لو علم الناس بنبأ محاكمة يسوع، لكن المخاوف المذكورة فى الأناجيل كانت من خشية القبض على يسوع فى أيام العيد حيث كان الناس يحجون إلى أورشليم. ويعبر الإنجيل نفسه عن هذه المخاوف (مرقس 14: 43) ويقول أيضا إن "جماهير الشعب" شاركت فى القبض على يسوع؛ وفى إنجيل آخر (لوقا 22: 5-) يرد فى البداية كيف أراد رؤساء الكهنة والكتاب قتل يسوع "لأنهم خافوا من الشعب"، واتصلوا بيهوذا الإسخريوطى ليسلمه لهم (سرا وليس أمام الناس)، ثم يشرك بعد ذلك "الشعب" فى القبض على يسوع. فى حين أنه لم تكن هناك أية صعوبة أو مانع يمنعهم من القبض على يسوع بعد العيد ومحاكمته بعد مغادرة الحجاج المدينة. بل لم يكن هناك مانع أو صعوبة فى محاكمته بصورة غير علنية بل فى محاكمة مغلقة نهارا وفى غرفة الهيكل.

وما يستنتج من ذلك هو أن الجدول الزمنى لم يكن فى يد السنهدرين (أو الكاهن الأكبر) فى الأساس؛ بل فى يد الحاكم الرومانى الذى حدده بشكل نهائى.

رأينا فيما سبق أن بيلاطس كان مستعدا للمحاكمة فى ساعة مبكرة فى الصباح وكان الكاهن الأكبر على علم بذلك قبل ذلك بيوم. وافترضنا أنه بإشراكه قوات حرس الهيكل فى القبض على يسوع كان يجب أن يكون أمامه هدف مرتبط بالمحاكمة، فقد كان سيمثل أمام بيلاطس فى صباح اليوم

التالى. ومع كل الملابسات التى اتضحت لنا وفى ظل غياب أى هدف آخر معقول كان الهدف يمكن أن يكون واحدا فقط وهو إنقاذ يسوع اليهودى من يد مطارديه الرومان.

ولو كان هناك أى احتمال فى إنقاذه فإن تلك الليلة كانت الفرصة الأخيرة للقيام بذلك. فلا نفترض أن الحاكم الرومانى كان على استعداد لتأجيل المحاكمة التى حدد موعدها سلفا إلى موعد آخر. على أية حال لم يكن من المؤكد أنه كان سيقوم بذلك. من هنا تأتى العجلة فى اجتماع السنهدرين فى منتصف الليل. ولايزال هناك سؤال يطرح نفسه: ما أهمية الموضوع الذى من أجله تم انعقاد السنهدرين؟ فماذا إذا كان قد جىء بيهودى له أحلام مسيحانية ليحاكم أمام الحاكم الرومانى بل يعتبر مذنبا. ولا نوهم أنفسنا بأن ما حرك الكاهن الأكبر وأعضاء السنهدرين، بل الفريسيين منهم، كان "ألا تقف على دم صديقك" (اللاويين 19: 16) أو عملا بالوصية التى تدعو إلى إنقاذ المطارد من يد مطارده. لم تكن أهمية الموضوع من الناحية الدينية الأخلاقية؛ بل من الناحية السياسية والاقتصادية. فكانت مكانة الكاهن الأكبر واحترامه واسمه بين الناس فى تدهور مستمر وكان الكاهن الأكبر حريصا كل الحرص على رفع مكانته وزيادة تأثيره على الشعب. إذ انتقلت (ولو لأسباب أخرى) صلاحية محاكمة الناس إلى الملك هيرودس وذلك من خلال الصلاحية التى منحته إياها قوة الحكم الرومانى. وكان الحاكم الرومانى يرغب فى إلغاء الصلاحيات القضائية والأخلاقية للسنهدرين وكذلك زعزعة مكانته السياسية الداخلية أمام الشعب. هذا بالإضافة إلى الكراهية والمعاناة التى تحمل بها الشعب الاحتلال الرومانى والكراهية التى يكنها الشعب للحكام الرومان وكتائبهم وجنودهم وبالمستوى نفسه لمليكهم صنيعة

الحاكم الرومانى وتابعه. من هنا تتضح الصورة حول دوافع الكاهن الأكبر والجهود المتزايدة فى تعضيد مكانته لدى الشعب.

كان يسوع من بسطاء الشعب وكان كما ذكرنا محبوبا من الشعب بدرجة كبيرة؛ فقد استقبلته جماهير اليهود بالبهجة والحماس عندما دخل أورشليم وأجروا له استقبالا ملكيا حقيقيا بفرشهم ملابسهم على الطريق"[8] **والجمع الأكثر فرشوا ثيابهم في الطريق. وآخرون قطعوا أغصانا من الشجر وفرشوها في الطريق**" (متى 21: 8) ليسير عليها وحملهم التمور فى أيديهم وخرجوا ينشدون. ورأى الكهنة وسمعوا ذلك جيدا بل "[19] **فقال الفريسيون بعضهم لبعض: « انظروا! إنكم لا تفعون شيئا! هوذا العالم قد ذهب وراءه!»**" (يوحنا 12: 19). أما من أرادوا لأسباب خاصة بهم الخلاص منه فخافوا أن يمسوه خشية أن ينتقم الشعب منهم. إن الأسباب التى ربما كانت لدى بعض أعضاء السنهدرين للتخلص من صاحب التطلعات المتقدمة والإصلاحية والاستقلالية أو من صاحب معجزات كيسوع لا تناسب الأسباب التى وردت فى الأناجيل كى لا يتم إغضاب جماهير الشعب من خلال المساس بيسوع وإيذائه والعكس صحيح؛ فكل اعتباراتهم السياسية والشخصية كان يجب أن تجعلهم يقومون بتصرف يرفع من شأنهم ويزيد من حب الشعب لهم وهو عمل من أجل يسوع ولصالحه ولو أساءوا إليه لاحتقرهم الشعب وإن أنقذوه فإن مكانتهم ستسمو فى نظر الشعب. ....

الأمر الطبيعى من وجهة نظر الكاهن الأكبر والسنهدرين هو محاولة منع محاكمة يسوع على يد الحاكم الرومانى (التى كانت ستؤدى إلى صلبه) من خلال اقتناعهم هم أنفسهم ثم إقناعهم الحاكم بأن يسوع تراجع عن عنجهيته وأنه لن يشكل خطرا على سلامة الشعب وأمن السلطة المحتلة.

والطريق الوحيد الذى يمكن أن يسلكوه ليحققوا هذا الهدف هو العمل على تبرئة يسوع أو تعليق عقابه لفترة ما. وللقيام بذلك كان يجب إقناعه بأن يعد بأنه لن يعمل فى المستقبل بشؤون "ملكه" والامتناع عن أى عمل غير قانونى. ربما كان الكاهن الأكبر قادرا على القيام بكل ذلك منفردا. ويذكر إنجيل يوحنا أنه حاول القيام بذلك فعلا. ولكن لعله لم يكن من المفروض أن يأخذ على عاتقه بمفرده مسؤولية ذلك أمام السلطات حول حسن سلوك يسوع فى المستقبل. كما أن فى ذلك مسؤولية سياسية خالصة فليس من المفروض محاولة التدخل فى المحاكمة الرومانية والعمل على إطلاق سراح رجل كان فى المعتقل الرومانى من قبل. وهناك حقيقة اختلاق آراء السنهدرين حول يسوع ومدى خطر أعماله وأنه كانت هناك معارضة منتظرة لأى تدخل لصالحه. وربما دفع ذلك الكاهن الأكبر إلى عدم العمل منفردا. لذا حدث أنه تم استدعاء أعضاء السنهدرين فى ليلة فحص الخمير إلى بيت الكاهن الأكبر أى أنه سيقدم يسوع اليهودى فى اليوم التالى إلى المحاكمة أمام بيلاطس فيقول الكاهن: من ناحيتنا، من الضرورى بذل كل جهد ممكن لإنقاذنا من يديه، وها أنا ذا قد نجحت واستقبلته فى بيتى لهذه الليلة فهلم أسرعوا وتعالوا لأن هناك أرواحا سترهق وإزهاق الروح يؤجل الاستعداد للعيد. فأطاع الجميع ولبوا النداء.... والآن اخرج وانظر ماذا حدث فى تلك الليلة عند اجتماع السنهدرين فى بيت الكاهن الأكبر. فى البداية تم إخفاء الكثير من الشهود (....) وعندما سأله (الكاهن الأكبر) "هل أنت المسيح؟" (لوقا 22: 67)، اعترف يسوع وقال إنه هو. وأضاف قائلا: "[62] فقال يسوع: «أنا هو. وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة، وآتيا في سحاب السماء»" (مرقس 14: 62). وحتى لو افترضنا أن يسوع أدلى بكل ما نسب إليه فى الأناجيل، فإنها لم تكن فى الكلمات التى استخدمها ولا العنجهية المسيحية

التى عبر بها، أى قول يعبر عن خرق للشريعة اليهودية. ليس هذا فقط بل إنه لم يكن فى العنجهية المسيحية ولا التعبيرات المستخدمة أى شىء من الممكن أن يدهش السامعين.

رغم ذلك فإنهم يروون لنا أنه بسماع إعلان يسوع مزق الكاهن الأكبر ثيابه وقال "ما حاجتنا بشهود آخرين؟" (متى 26: 65) وبالفعل فإن حكم سماع المحكمة أو أى شخص سب لفظ الجلالة (اسم الله الأعظم) تمزيق الثياب. (أنظر المشنا، سنهدرين 7: 5). ولا عجب فى أن يعتبر معظم الباحثين تمزيق ثياب الكاهن الأكبر علامة على سماع لفظ السب. لكنهم لا يسألون أنفسهم كيف يحدث أن يمزق الكاهن الأكبر ثيابه وحده وليس كل القضاة (كما ورد فى المشنا). لكننا نرى فى انفراد الكاهن الأكبر بهذا العمل إشارة إلى أن هذا التمزيق لم يكن بسبب السب؛ بل يحتاج إلى تفسير آخر.

وأسهل حل لهذه المشكلة (مثل معظم المشكلات) هو رفض قصة تمزيق الثياب برمتها باعتبارها رواية مشكوك فيها وغير تاريخية. وربما ليس فقط لأن الرواية لم ترد إلا فى إنجيلين هما متى ومرقس؛ بل يمكن تفسيرها ببساطة بحيث تتماشى مع الأحداث التى وقعت فى تلك الليلة. فمن العادات اليهودية القديمة تمزيق الثياب تعبيرا عن الحزن. والحزن لا يكون فى الوفاة وحسب، بل أيضا عند سماع خبر سيئ كنشوب الحرب. فمزق الكاهن الأكبر ثيابه فى تلك الليلة حزنا على فشله فى حمل يسوع على التعاون معه وأنه سمع منه أقوالا عنجهية لا تتماشى مع تحمل عبء نظام السنهدرين وانضباطه. ويحتمل أن يكون مزق ثيابه لأنه رأى أمامه كارثة يسوع القادمة والتى لا يستطيعون منعها وأن إعلان يسوع أنه المسيح ليس به أى جرم؛ بل رفضه التام يد المساعدة الممدودة له. كان السنهدرين والكاهن الأكبر قادرين

على حماية يسوع واحتوائه لو كان مستعدا على الأقل للاعتراف بسيادتهم والخضوع لزعامتهم. ومن ناحية أخرى لم يكونوا قادرين على قبول عنجهيته والاعتراف بمطا لبه المسيحانية لا لأن فى ذلك خرقا دينيا سافرا من جانبهم؛ بل لأنهم كانوا يغلقون الباب أمام أنفسهم للدفاع عنه أى إنكار عنجهيته وذلك فى محاكمته أمام بيلاطس. فرفض يسوع الوعد بأنه سيمتنع عن أية أعمال أو الإدلاء بأية بيانات من شأنها أن تدينه أمام المحكمة الرومانية، لأنه رفض أن يتراجع عن شرائعه الدينية وتمسك برسالته المسيحية ولم يتنازل قيد أنملة. لم يكن السب هو سبب تمزيق الكاهن الأكبر ثيابه؛ بل الحزن على فشله فى مهمته.

والكاهن الأكبر فقط هو الذى مزق ثيابه من شدة الحزن، نظرا لأن ذلك لم يكن إلزاميا وفقا للشريعة ولم ير بقية الحاضرين ضرورة فى تمزيق ثيابهم وليكن حزنهم كما يكون. ويبدو أن حزن الكاهن الأكبر كان أكبر لأنه هو الذى بادر على مايبدو بالفعل كله ودعا حرس الهيكل واستضاف أعضاء السنهدرين فى داره. ... وافترضنا أن رؤساء الكهنة علموا أن يسوع سيقدم للمحاكمة فى اليوم التالى أمام الحاكم الرومانى وأنه كان عليهم أن يفعلوا شيئا لإنقاذه. ولم تكن هناك أى ضرورة لذلك إلا إذا كان هناك أمل فى أن تتم تبرئة يسوع فى محكمة، أو أن لا يحكم عليه بالموت. وقلنا إن إزهاق الروح يؤجل ليلة فحص الخمير، لكن لا شىء آخر دون ذلك يؤجل ليلة فحص الخمير. وعلم رجال السنهدرين ما بنفس حاكمهم ولم يوهموا أنفسهم بشىء؛ فإن قدم يسوع للمحاكمة أمامه ولم يتراجع عن عنجهيته وشرائعه فليس هناك أمل فى نجاته. وعندما فشلوا فى مهمتهم فى حمل يسوع على التعاون معهم أى التوصل إلى اتفاق بأن يتراجع ولا يعترف بذنبه، علموا

جميعا أنه ميت لا محالة وذلك ليس بحكمهم هم بل بما ينتظره من الحاكم الرومانى. وإن كانوا قالوا أنه "ميت لا محالة" (متى 26: 66) فإن ذلك رد فعل طبيعى تلقائى للأقوال التى أدلى بها يسوع أمام الكاهن الأكبر وحسرة على مصيره المرير الذى صار محتوما.

بروفسور داود بلوسر

(200 -1917)

باحث فى لفائف البحر الميت والمسيحية القديمة

بدأ بلوسر دراساته فى مجال الدراسات الكلاسيكية فى جامعة براغ ثم هاجر إلى فلسطين عام 1939. بدأ فى عام 1955 فى تدريس تاريخ المسيحية فى الجامعة العبرية بالقدس (ومنذ عام 1962 بدرجة أستاذ). حصل على جائزة الدولة فى العلوم اليهودية عام 1960. من أبرز إنجازاته الدور الذى لعبه كأحد محررى دائرة المعارف العبرية. ومن بين مئات المقالات التى كتبها فى مختلف المجالات مقالات فى اليهودية القديمة وطائفة صحراء يهوذا[1] والمسيحية القديمة وجذورها فى اليهودية. كما كتب أجزاء كبيرة من موضوع "يسوع" فى دائرة المعارف العبرية والذى استعنا به كثيرا فيما سبق فى مقدمة الكتاب وما بعدها.

وبلوسر معروف فى عالم البحث المسيحى كممثل للمدرسة اليهودية المتشددة التى تعتبر اليهودية منشأ المسيحية ويسوع يهوديا لم يخرج عن إطار الشريعة السائد فى عصره فى القرن الأول الميلادى. فمن شرح بلوسر فى هذا

[1] المعروفة باسم طائفة البحر الميت أو طائفة الأسفار المطمورة – مخطوطات عبرية تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد اكتشفت فى صحراء يهوذا بالقرب من خربة قمران على ساحل البحر الميت. المترجم

الإطار كثير من مقولات وأمثال يسوع على خلفية أدب الأحبار (حازل)، وعلى خلفية أدب الطائفة التى سكنت صحراء يهوذا من ناحية أخرى.

تم جمع مقالات مختلفة لبلوسر فى كتاب "اليهودية ومصادر المسيحية" وهى مقالات كتبت بلغات مختلفة تناقش المشكلات الأساسية حول ارتباط المسيحية واليهودية: شخصية يوحنا المعمدان، التعميد وعاداته عند طائفة صحراء يهوذا، أمثال يسوع وأمثال الأحبار (حازل)، مواضع وفقرات العهد القديم فى العهد الجديد، أعمال بولس وغيرها. يحتوى الكتاب على قسم كبير عن يسوع؛ فيتناوله بلوسر على أنه شخص ذو شخصية جذابة جذبت الجماهير وراءها وكان ذا مكانة أخلاقية رفيعة، وكان يهوديا يحفظ الوصايا ويحرص عليها بشدة؛ بل إنه طلب من أتباعه الحرص على الحياة وفقا لشرائع التوراة. يرى بلوسر أن يسوع تنقل من الناحية الفكرية بين أفكار طائفة صحراء يهوذا واليهودية الفريسية فى عصره ويتضح لنا هذا مؤخرا من أدب الأحبار (حازل)، مثل ما ورد فى فصول الآباء وفى أمثال الأحبار. وإذا كان انتقاد يسوع بعض الظواهر فى يهودية عصره شديدا فى بعض الأحيان فإن ذلك فى رأى بلوسر كان انتقادا أساسه محبة إسرائيل لا رغبة منه فى تدمير أسس الديانة. ومن الغريب أن أقوال يسوع التى تحض على مراعاة وصايا الشريعة وتعديل ما يحتاج إلى تعديل تم تأويلها على مر الزمن لتعتبر نقطة انطلاق للهجوم على اليهودية ودعوة إلى عدم اتباع وصاياها. وعلى خلاف كثير من الباحثين الذين يعتقدون أن يسوع لم يعتبر نفسه المسيح، يزعم بلوسر أن يسوع فكر فى احتمال أن يكون هو المسيح وأنه اعتبر نفسه بالطبع مخلوقا فوق البشر يقع على كاهله عبء أساسى فى طريق خلاص الإنسان والعالم.

يختتم بلوسر الكتاب المذكور بتسع وخمسين نقطة عن "علاقة اليهودية والمسيحية فى الماضى والحاضر"، وسنعرض لاثنتى عشرة نقطة منها عن يسوع (وفقا لترقيمها الأصلى). أما النقاط الأخرى التى لم نعرض لها هنا فتتصل بتاريخ المسيحية على مر الأجيال وبمسألة ارتباط المسيحية الحالية بجذورها اليهودية. ثم أعقبنا ذلك ببعض المواضع التى تتناول يسوع من مؤلف آخر لبلوسر هو "المصادر اليهودية للديانة المسيحية" وهو عبارة عن محاضرات مسجلة فى جامعة الهواء التابعة لجامعة تل أبيب وإذاعة الجيش الاسرائيلى. ويعرض فيها بلوسر بلغة واضحة ومختصرة أساس أبحاثه حول مسيرة حياة يسوع وعلاقته بالتوراة والوصايا. ويؤكد على التزام يسوع بتنفيذ وصايا توراة إسرائيل وشريعتها.

- بعض الملاحظات من اليهودية عن ظهور المسيحية:

1) كان يسوع يهوديا عاش بالعقيدة اليهودية ومات من أجلها. ولد فى ظل التوراة"[4] **ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولودا من امرأة، مولودا تحت الناموس، "**[1] ولم يرغب فى أن يكون معدلا أو مصلحا لليهودية.
2) يمكن تحديد مكانة يسوع بين التيارات اليهودية فى تلك الفترة. لم يعظ ولم يقدم على شىء يستفز معارضة الفريسيين وبغضهم. ولم يختلف انتقاده الفريسيين عن نقدهم أنفسهم. وإذا كان اعتبر نفسه مسيحا فذلك من أجل تحقيق الأمل اليهودى؛ ما كانت هذه الحقيقة لتؤدى إلى كل ما حدث أو سجل على أنه أعمال كانت بينه وبين اليهودية.
3) لم يضع يسوع مفهوما جديدا للألوهية؛ فإلهه هو إله إسرائيل. رحمة الله بالخاطئين ومحبة الآخر وهى مفاهيم من العهد القديم كان الأحبار يكثرون

1 رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية 4: 4

من إبرازها. وكانت دعوته لمحبة من يكرهك مطلب مبالغ فيه، فى حين أن تفضيله الدينى للعاهرات والحياة ألب عليه من يهود عصره أكثر مما كان سيثيره فى المجتمع المسيحى نفسه. شريعة "الأخلاق الشخصية" لديه مهمة تفهم على أنها انقلابية لكنها فى وقتها لم تبد مدمرة: فاليهود وبعدهم المسيحيون لم يلحظوا تفردها. ...

4) كان لدى يسوع وعى شخصى قوى. ونظرا لاستحالة أن نستنتج من أناجيل متى ومرقس ولوقا أنه "اعتبر نفسه إلها فإن مزاعمه لم يكن فيها تدنيس لاسم الرب.

5) صلب الرمان يسوع بصفته "ملك اليهود" ومن سلمه لبيلاطس كان من الكهنة الصدوقيين الكبار. ولا يرد فى الأناجيل المختصرة (متى ومرقس ولوقا) أى ذكر لمحاكمة يسوع.

6) كون يسوع يهوديا لم يتعارض مع اليهودية؛ وموته على يد غير اليهود فكرة لم تقبلها الدوائر المسيحية قديما والتى تطلعت إلى الازدياد والنمو المستمر فى مقابل اليهودية. لذلك جرت محاولة فى الأناجيل المختصرة، من خلال بعض التغييرات الصغيرة والمستمرة، للتأكيد على التوتر بين يسوع واليهود لإظهار أن اليهود هم السبب فى موته.

7) إن تلاميذ يسوع والكنيسة القديمة والمسيحيين اليهود (اليهود الذين تحولوا الى المسيحية) دليل على أن يسوع لم يرغب فى الخروج عن اليهودية وأن حياته كانت تسير على نهج شريعتها. كما أنهم لم يروا أن مفهوم ألوهية المسيح يتعارض مع اليهودية. ...

12) اتهام اليهود بقتل يسوع يعد تغييرا للصورة الحقيقية، وفائدة لهم بالطبع، لاتهامهم بعد ذلك بعدم التحول إلى المسيحية. وظهر هذا الاتهام

(قتل الإله) فى بداية المسيحية اليهودية وقابله كثير من مسيحيى العالم بسعادة؛ فهم بهذه الطريقة ينتقمون من اليهود "الأشرار".

16) رؤية يسوع للعالم غير اليهودى كانت أكثر تطرفا من رؤية الفريسيين الذى ينتقدهم لاهتمامهم بالتهويد"[15] ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون! لأنكم تطوفون البر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا، ومتى حصل صنعوه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا"[1]. بل أنه لم يسعد بشفاء الغرباء. فى حين اعترف بالأغيار الصديقين كملكة سبأ ورجال نينوى التائبين ذلك بقوله إنهم سيكونون فى نهاية الأجيال من المدخل "[44] ثم يقول: أرجع إلى بيتي الذي خرجت منه. فمتى وجده فارغا مكنوسا مزينا."[2] أما فيما يخص الحاضر فكان متمسكا بكل ما يرتبط بغير اليهود. وتناقض التاريخ فى كون يسوع نفسه هو الذى جعل الأغيار منه إلها لهم لا اليهود.

30) لم يطلب يسوع الإيمان به؛ إذ كان يعارض بشدة عبادة الأشخاص.

35) كان يسوع على وعى شخصى عال؛ فكان يتحدث عن الإنسان وعن ابن الإله؛ وعندما استمرت هذه المصطلحات فى التطور كان من الممكن أن يكون يسوع لدى بولس فى درجة تفوق البشر ثم إلها بعدها حتى أنه أصبح يصور فى نهاية القرن الأول على أنه إله.

---

[1] متى 23: 15

[2] متى 12: 44

36) فكرة أن مقدسى الله يكفرون عن خطايا إسرائيل فكرة يهودية. واعتبر الموت التكفيرى ليسوع بعد ذلك عملا خاصا بالخلاص والهدف الأول لمجيئه (يسوع). من هنا ظهرت فكرة لاهوتية الصليب.

يسوع وتاريخ حياته

يدل اسم يسوع على النطق الجليلى (منطقة الجليل) فى ذلك الوقت. فالاسم ليس استهجانا. كان اسم 'يسوع' ينتمى لمنطقة الجليل. لذلك لم ينطق حرف العين من اسمه حيث كان اسمه 'يشوع'. وحفظ فى الأدب التلمودى فى فترة متأخرة اسم 'رابى يشو' (يسوع) وهو ليس يسوع الناصرى.

ولد يسوع وفقا للرواية المسيحية فى بيت لحم وكبر فى الناصرة وهى مدينة ذكرت فى الأدب العبرى وفى الأشعار الدينية كمكان لنوبات حراسة الكهنة بعد خراب الهيكل. نشأ فى بيت يهودى ودرس أقوال الأحبار. لم يكن هو نفسه رجل دين على الرغم من أنهم دعوه بلقب 'حبر'. ترك دياره فى سن الثلاثين والتقى يوحنا المعمدان. ويشهد كل من العهد الجديد ويوسف بن متتياهو على تأثير يوحنا المعمدان الكبير على الشعب.

مر يسوع بطقوس التعميد مع كثير من اليهود الآخرين"[21] **ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضا. وإذ كان يصلي انفتحت السماء"**[1] وليس فى عملية تعميده أى توجه مسيحى. ويسوع نفسه وفقا لشهادات كثيرة موثوق بها لم يكن يعمد الناس. ولم يدخل التعميد المسيحية إلا بعد وفاته. بقى يسوع مع يوحنا المعمدان ثم أسس طائفة منفردة خاصة به. وكان السبب فى

[1] لوقا 3:21

الانفصال على ما يبدو رؤية يسوع لملكوت السماء الذى يتجسد فى الوقت الحالى، فى مقابل رؤية يوحنا المعمدان تجسد الآمال المسيحية لليهود فى المستقبل فقط. أسس يسوع طائفة وضع فيها اثنى عشر رسولا يمثلون أسباط إسرائيل التالية فى المستقبل" ِ ِنكلوا ِوتشربوا ِعلى ِمائدتي في ِملكوتي، ِوتجلسوا ِعلى ِكراسي تدينون أسباط ِإسرائيل الاثني ِعشر».[1]

وذلك لنشر بشرى أن ملكوت السماء تحقق. حاول العودة إلى الناصرة لكن أهل دياره لم يقبلوه فانصرف إلى قرية ناحوم حيث سكنت حماة تلميذه الأكبر الشهير بطرس ومكث بها فترة وعمل فى أنحائها. ومن المشكلات التى لا حل لها الفرق فى الجدول الزمنى بين الأناجيل الثلاثة الأولى وإنجيل يوحنا. فوفقا لإنجيل يوحنا فإن يسوع عمل لمدة عامين أو ثلاثة قبل أن يقرر الذهاب إلى أورشليم. فى حين أنه فى الأناجيل الثلاثة الأخرى لم يعمل إلا لبضعة أشهر.

كان مجىء يسوع إلى أورشليم لسببين؛ أحدهما من أجل عيد الفصح، والآخر لمنع خراب الهيكل؛ حيث جاء يسوع ليحذر الناس ويطلب منهم التوبة إلى الله. لم يشتغل فى أورشليم بشفاء المرضى كما فعل من قبل ولم يأت بمعجزات ولم يصطدم بالرومان بل بزعامة الصدوقيين للهيكل وعائلات كبار الكهنة. وكان ذلك الصدام بعد هجومه عليهم وتنبؤه بخراب الهيكل ... فأمسك الصدوقيون بيسوع وسلموه للرومان وأعدمه بيلاطس على الصليب. آمن تلاميذ يسوع بعد ذلك أنه قام بعد موته؛ وساعدتهم هذه القصة على التغلب على الأزمة التى كانوا فيها حيث آمنوا به مسيحا. وهكذا تأسست أول طائفة مسيحية فى أورشليم.

---

[1] لوقا 22: 30

لم يأت يسوع إلى أورشليم للتبشير بمسيحيته. ومن المشكلات التى يصعب حلها ما إذا كان يسوع اعتبر نفسه مسيحا. يعتقد باحثون يهود أنه فعل. أما مصادر العهد الجديد فتفتح الباب أمام الباحثين المسيحيين الذين يرون أن يسوع لم يعتبر نفسه مسيحا. وذكر فيما يخص موضوعنا أن يسوع كان يعتقد أنه ربما كان مسيحا.

يجب النظر إلى يسوع فى إطار يهوديته فى داخل عالم الأحبار والتعرف على تأثيره الكبير على بيئته. بهذه الطريقة فقط يمكننا فهم كيفية ظهور المسيحية. كان يسوع مرتبطا بعالم الأحبار؛ وكان علمه بالشريعة والتوراة الشفهية كبيرا. لذلك تعتبر أقوال يسوع مصدرا مهما للتعرف على عالم الأحبار. كما أن علاقته بيوحنا المعمدان، الذى ارتبط بالآسانيين، تمكننا من رؤية العنصر الآسانى فى شرائعه. ومناقشة أقوال يسوع تفتح الطريق أمام فهم طرق التوراة الشفهية والمدراشيم فى إسرائيل ....

عاش يسوع فى عالم ازدهرت فيه اليهودية فى إطار التوراة والتوراة الشفهية؛ ويخالفنى الكثير من المسيحيين الرأى فى مسألة أن حفظ الوصايا كانت مشكلة بالنسبة له. وحفظ العهد الجديد مجادلات يسوع حول مراعاة بعض الوصايا، وكانت مجادلات فى مسائل بسيطة. فعلى سبيل المثال نجد أن إنجيل مرقس 7: 1-23 الذى تم تعديله بهدف الابتعاد عن اليهودية يحكى عن إدعاء الأحبار الفريسيين أن تلاميذ المسيح لا يحرصون على غسل أيديهم قبل الأكل؛ فى حين أنه من المعروف أن وصية غسل اليدين تحولت فى عصر يسوع إلى موضوع يخص بنى إسرائيل جميعا. كما لم يرد فى الأناجيل الثلاثة الأولى فيما يخص "شفاء المرضى فى يوم السبت"، أى عملية شفاء محظورة

شرعا. فكان الشفاء عن طريق الكلام جائزا حتى من الأمراض التى لم يكن فيها إنقاذ للنفس. وكان العلاج فى حالات الحياة أو الموت مسموحا به.

كان الموضوع اليهودى الوحيد الذى خرق فيه يسوع وصايا السبت عندما اشتغل تلاميذه بجمع السنابل (لوقا 6: 1-6). ولكن فى مصدرين ثانويين أحدهما يهودى والآخر مسيحى يحكى أن التلاميذ لم يجمعوا السنابل؛ بل أخذوها وأخرجوا منها البذور بأيديهم. وكان هناك خلاف حول هذا الموضوع بين أهل الجليل الذين سمحوا بالقيام بذلك فى يوم السبت بالأيدى، وأحبار آخرين أجازوا القيام بذلك بالأصابع فقط. ... حرص يسوع على مراعاة الوصايا. ... فكان يرى التوراة بكامل تفاصيلها كالعالم الكامل يرتبط وجوده بعالم الواقع (متى 5: 17-20)؛ لذا فإنه كان مخلصا للتوراة بكاملها.

الحاخام عوباديا يوسف

(1920- 2013)

،مشر ِع ومن كبار رجال الدين فى إسرائيل

هاجر إلى فلسطين عام 1924 وأصبح حبرا على يد الحبر الأكبر عوزيئيل عام 1940. سافر إلى مصر بعد أن عين قاضيا شرعيا فى المحكمة الشرقية بالقدس عام 1945، للعمل رئيسا للمحكمة الشرعية للطائفة اليهودية فى القاهرة عام 1947 والحبر الأكبر لطائفة يهود مصر. وظل فى هذا المنصب حتى عام 1950. شغل بعد عودته مناصب كثيرة. وأصبح فى عام 1973 أول حبر شرقى فى إسرائيل وشغل هذا المنصب حتى عام 1983. أسس عوباديا يوسف حركة شاس (المحافظون الشرقيون على التوراة) وهو الآن زعيمها الروحى. حصل على جائزة الدولة فى أبحاث العهد القديم عام 1970.

يقوم الحبر يوسف بنشر ردوده حول أمور الشريعة. ويضم كتابه "يعبر القائل" والمكون من ستة مجلدات الكثير من الردود والإجابات التى قالها فى مجالات الشريعة المختلفة. ومن خلال الردود يعرض لكثير من المعلومات. فأفاد عن كثير من المؤرخين والمفسرين فى العصور الوسطى ممن اهتموا بشخصية يسوع من أمثال الحبر أبراهام بن دافيد (1120-1198، والحبر إسحق أبربنال (1430-1508).

ونعرض فيما يلى رد الحبر يوسف حول سؤال نصه: هل من الجائز شرعا كتابة التاريخ الميلادى فى الرسائل؟ وللإجابة عن هذا السؤال ينظر المجيب

إذا كان التاريخ الميلادى المتبع فى العصر الحالى يرتبط بأية صورة بيسوع مؤسس المسيحية أم أنه ليس هناك علاقة بينهما. يعرض هذا النقاش سواء للمصادر الإسرائيلية أو استنتاجات البحث العلمى؛ كما يهتم بالعلاقة القائمة بين الرواية التلمودية عن يسوع وتلاميذه لدى الحبر يهوشواع بن براحيا، ويسوع صاحب المسيحية. يعترف الحبر يوسف أن المصادر يسودها الغموض حول مسألة زمن يسوع صاحب المسيحية. ولكن ليس لديه على أية حال أى شك فى أن التقويم الحالى ليس له أية علاقة بيسوع؛ ومن هنا يأتى السماح باستخدام هذا التقويم حتى فى الأوساط التى تحرص على الابتعاد عن أى شىء يمت للمسيحية بصلة.

سؤال: سألنى من يتراسلون فيما بينهم ويستخدمون التقويم الميلادى، إن كان عليهم الامتناع عن ذلك لما ورد فى سفر اللاويين 18: 3 (ِم بَنِي إِسرائيل وقل لهم: ـ أنا الرب إلهكم. [3] وفي عمل أرض مصر التي سكنتم فيها لا تعملوا، وفي عمل أرض كنعان التي أنا آتٍ بكم إليها لا تعملوا، وحسب فرائضهم لا تسلكوا.) أم أنه ليس هناك مانع شرعى فى استخدام ذلك؟

الرد: ليس من الواضح تماما ما إذا كان تقويم المسيحيين وفقا لمولد يسوع الناصرى (ليمحى اسمه وذكراه). فيسوع حسب ما ورد عن الحبر (حازل) عاش فى عصر يشوع بن برحيا الذى رفضه رفضا تاما (وإن كانت هذه الكلمات حذفت من التلمود فقد طبعت بالكامل فى كتاب "مجموعة المحذوفات"). وتلاميذ يشوع بن برحيا هم يهوذا بن طباى وشمعون بن شطاح وتلاميذهم شمعيا وأبطليون وتلاميذهم هليل وشماى. كان هليل هو الرئيس (كبير الأحبار) قبل خراب الهيكل بمائة عام؛ وكان الخراب عام 31 (828 وفقا للتقويم العبرى) الذى يوافق عام 69 وفقا لحسابهم. واتضح أن

يسوع مات قبل سنوات عديدة من بداية تقويمهم. كما كتب الحبر أبراهام بن داود فى كتاب القبالاه أن ذلك كان فى عام 53 وهذه كلماته " يقول كتاب تاريخ إسرائيل أن يشوع بن براحيا كان معلم يسوع الناصرى وكان ذلك فى عصر الملك يناى. ويقول مؤرخو تاريخ العالم أنه ولد فى عصر هيرودس وأن ابنه صلب فى عصر أرقيلوس والخلاف كبير فى ذلك حيث أن الفرق فى الحساب يزيد على مائة وعشرين علما. ويختتم المؤرخون أقوالهم بأن الهيكل لم يدم طويلا بعد صلب المسيح. والرواية الحقيقية نجدها فى التلمود الذى لم يغير شيئا لأن يشوع بن برحيا هرب إلى مصر فى عصر الإسكندر الذى هو يناى ومعه يسوع الناصرى والحقيقة بين أيدينا". إلى هنا والكلام على لسان أبراهام بن دافيد . أما الحبر إسحق بن أبربنال فيقول فى كتابه "من عيون الخلاص" (تفسير سفر دانيال) أنه لا صحة لما ورد عن وفاة يسوع الناصرى قبل خراب الهيكل باثنين وأربعين علما ووجدنا فى التلمود أن يسوع كان تلميذ الحبر يشوع بن براحيا غير أنه مات قبل خراب الهيكل بمئة وواحد وخمسين علما. يقول المسيحيون إن يسوع مات قبل الخراب باثنين وأربعين علما كى يكون خراب الهيكل بذنب قتله. إلى هنا ينتهى كلام أبربنال. أما فى كتاب "سلسلة القبالاة" للحبر جداليا بن يحيا فى نهاية القرن السادس عشر فورد أن يسوع ليس تلميذ ابن برحيا الذى عاش فى عصر شماى وبيت هليل قبل سبعين علما من خراب الهيكل. كما ورد فى كتاب النصر أن هناك اثنين كانا يسميا يسوع. ويسوع الذى يؤمن به أهل أوروبا عاش فى عصر هليل. إلا أن كلام الحبر أبراهام بن دافيد يثبت أنه لم يكن هناك إلا يسوع واحد. والخلاف بين الباحثين الإسرائيليين وباحثى العالم يدور حول عصر يسوع وما

إذا كان فى عصر الملك يناى كما يزعم اليهود أو فى عصر هليل كما يزعم المسيحيون. أما التوسافوت: الكلام الذى يبدأ بـ "من يوم"[1]. كتبوا أنه عندما دعت الضرورة (فى عصر الهيكل)، كانوا يرجعون إلى مكتب السنهدرين (لمناقشة أحكام النفس حتى قبل خراب الهيكل بحوالى أربعين علما) "مثلما حدث بالفعل" ويبدو أن القصد كان صلب يسوع الناصرى. واندهش لماذا لم يبد أصحاب 'التوسافوت' أية ملاحظة كما تذكر الجمارا أن يسوع عاش فى عصر يسوع بن برحيا (وليس فى السنوات التى سبقت الخراب "وهذا دليل للقائلين بأن هناك يسوعين (أحدهما فى عصر يشوع بن برحيا والآخر حول عصر خراب الهيكل). على أية حال فقد رأيت ما كتبه المؤرخون والعلمانيون الذين ينساقون وراء مؤرخى العالم الذين قالوا بأن يسوع الناصرى ولد قبل التقويم المسيحى بأربع سنوات. وهذا ما كتبه أيزنشطاين فى موسوعة "الكنز الإسرائيلى". وهذا دليل على أن التقويم الذى يتبعه المسيحيون لا يقوم على مولد يسوع الناصرى. لذا فلا حرج فى استخدام هذا التقويم فى عصرنا.

[1] السنهدرين 37: 72

الأدب العبرى الحديث

أبراهام قاباق

من الأدباء الذين تطرقوا إلى يسوع فى أعمالهم الأديب أبراهام قاباق الذى مات فى أرض فلسطين عام 1944. تلقى تعليما تقليديا وبدأ حياته معلما فى بعض مدن بولندا وروسيا ثم استقر فى قوشطا حيث بدأ الكتابة باللغة العبرية وبلغة اليديش. هاجر إلى أرض فلسطين عام 1911 وترجم بعض الأعمال إلى اللغة العبرية واشتغل بكتابة القصص والروايات. ولقد اهتمت أولى قصصه بوصف طفولته لكنه سرعان ما ركز على موضوع اهتمامه الرئيس ألا وهو الصهيونية والقومية اليهودية فى الشتات ثم بعد ذلك فى أرض فلسطين. أصبحت فكرة الخلاص أحد ركائز إنتاجه وظهر ذلك فى ثلاثيته "شلومو مولكو" (1928-1929) والتى تتناول فكرة المسيحانية فى العصور الوسطى. أراد بعد عودته إلى الحياة الدينية الأرثوذكسية أن يؤلف كتابا عن "**من يحمل روح السكينة بالقرب منه**" واختار يسوع الشخصية الرئيسة لهذه الرواية. تبدأ أحداث الرواية فى فترة شباب يسوع وترافقه طوال فترة شبابه حتى وفاته، على خلفية العصر الرومانى. يوصف يسوع فى الرواية كمن يتأمل حياة الناس من حوله ويسمح لنفسه بتجاوز الشريعة اليهودية ووصاياها. وفى هذه الأثناء يكثر من مساعدة الضالين والمضطهدين وغيرهم من المهمشين فى المجتمع. تؤكد الرواية على يهودية يسوع وأصوله القومية وعلاقاته بمعلميه وأصدقائه وشعبه.

يؤكد الكاتب طوال الوقت على علاقة يسوع المركبة بيهوذا الإسخريوطى فى صداقة تحوى كثيرا من العداء والحقد. وتنتهى الرواية بوصول يسوع إلى أورشليم وموقف صلبه الدرامى وبعبارته الشهيرة "إلهى إلهى لماذا تركتنى؟"

نلاحظ من قصة قاباق أنه لا يمكن ربط يسوع بديانة ما أو أخرى. فيسعى قاباق فى هذا العمل إلى التأكيد على عالمية رسالة يسوع وإنسانيتها ورغبته فى فهم "الأسرة البشرية" كلها والتعايش معها من منطلق الإيمان بأن ملكوت الله كائن فى قلب كل إنسان، وكذلك الخلاص. أما العناصر المسيحية الكنسية فى حياة يسوع فلا تحظى باهتمام القصة بل تقدم أحيانا على أنها عالمية.

الشاعر زلمان شنياور

من الأدباء الآخرين الذين تناولوا يسوع فى أعمالهم الشاعر زلمان شنياور الذى ولد لعائلة متدينة. بدأ فى نشر أول أشعاره فى شبابه ولقى تشجيعا كبيرا من الشاعر حاييم نحمان بياليك. كما لقى ديوانه الأول "**مع غروب الشمس**" (1907) قبولا كبيرا لدى الجمهور. هاجر عام 1925 إلى فلسطين لكنه لم يستطع التكيف فيها فهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وعاد إلى فلسطين مرة أخرى بعد قيام دولة إسرائيل ومات فى أثناء إحدى زياراته للولايات المتحدة ودفن فى إسرائيل.

تناولت أشعاره الأولى موضوعات الطبيعة لكنه بدأ بعدها فى دمج الأسس القومية فى أشعاره لا سيما المواجهة بين الشعب اليهودى والعالم الغريب. ذكر فى أشعاره الفظائع التى ينتظر أن تحدث للشعب اليهودى من جراء الانهيار الثقافى الأوروبى. تنبأ الشاعر فى قصيدته "**أقوال دون هنركيست**" التى كتبها فى برلين قبل الحرب العالمية الثانية 1924 بالخراب الذى ينتظر العالم الأوروبى ويهوده. و دون كريست يهودى يتحدث فى هذه القصيدة إلى

يسوع الناصرى كأنه أخ سابق له، ويرى فى مصير يسوع رمزا لتآمر الأغيار ضد اليهود على مر الأجيال. فهو يقدم يسوع فى البداية على أنه يهودى سيطرد مع الأيام من أرض الأغيار حينئذ فقط سيحظى بالحياة من جديد بين أبناء شعبه اليهود. فسيهبط يسوع من فوق الصليب ويسير حتى جبل صهيون فى جنازة كافة اليهود الذين عذبوا وعانوا على مر العصور، وسيجد فى أرض فلسطين العزاء والشفاء كأخ مضطهد عائد إلى شعبه.

يتوجه دون هنركيست، فى نهاية القصيدة وقبل موته إلى يسوع يدعوه أن ينضم إليه فى صلاة "إسمع يا إسرائيل"[1] مثلما فعل كل من قتلوا من أجل تقديس اسم الله على مر الأجيال.

نلاحظ فى هذه القصيدة القرب والانحياز الشديدين إلى شخصية يسوع التى تقدم كضحية كإخوانه اليهود. واضطهاد اليهود فى القصيدة يعتبر تخليا عن المسيحية الحقيقية وعن طريق يسوع الرحيمة. ويشجع الشاعر شخصية يسوع كإنسان يعانى؛ بل يحض كذلك على اتباع مبادئه الدينية والأخلاقية التى يمثلها والتى شوهها أتباعه.

يعتبر هذا التناول المشجع لشخصية يسوع ذلك الرجل من الناصرة، أمرا نادرا وذلك من خلال الغضب الشديد على المصير الذى لاقاه من خيانة

---

[1] صلاة «إسمع» من كلمة «شمع» العبرية (وتعرف أيضا باسم «قريئات شماع» ويختصر إلى «قريشماع»). وكلمة «شماع» أول كلمة في نصهن نصوص العهد القديم. تقرأ في صلاة الصباح والمساء « اسمع يا يسرائيل الرب إلهنا رب واحد» (تثنية 4/6). وتقرأ الشماع في صلاة الصباح والمساء، ولا تتلى في صلاة الظهر. وعلى اليهودي أن ينطق بعبارة التوحيد قبل موته، أو ينطق له بها أحد الواقفين بجواره.

وتآمر وموت، إلى جانب الإيمان الثابت بقوة اليهودية كديانة أبدية فيها وحدها العزاء والأمن والحياة.

ناتان أجمون

من النماذج الأخرى فى الأدب العبرى الكاتب ناتان أجمون (بيستريتسكى) الذى هاجر إلى فلسطين عام 1920 وله أعمال أدبية، إلى جانب عمله فى النقد الأدبى، تناولت وصف الاستيطان فى أرض فلسطين. كتب العديد من المسرحيات وترجم أشعارا من الأسبانية إلى العبرية. كانت أعماله من أولى المسرحيات التى عرضت فى فلسطين ومنها مسرحيات (**شبتاى تسفى**[1] **1931**،

[1] شبتاي تسفي (1626-1676) المسيح الدجال.ولد في إزمير لأب إشكنازي يشتغل بالتجارة، وكان إخوته أيضا من التجار الناجحين. تلقى تسفي تعليما دينيا تقليديا، فدرس التوراة والتلمود، ولكنه استغرق في دراسة القبالاه وخصوصا القبالاه اللوريانية بنزعتها الغنوصية. ومن الطريف أن كتاب الزوهار، حسب بعض التفسيرات، كان تنبأ بوصول الماشيح عام 1648. في هذا المناخ، ظهر شبتاي تسفي. ويبدو أن حياته النفسية لم تكن سوية. وكثيرا ما كان شبتاي يتغنى بالأشعار وينشد المزامير في حالة نشاطه. وحيث إنه تلقى تعليما دينيا تلموديا كاملا فلم يهمه أحدا قط بالجهل. وقام تسفي بخرق الشريعة عامدا عام 1648 ، فأعلن أنه الماشيح، ونطق باسم يهوه (الأمر الذي تحرمه الشريعة اليهودية)، وأعلن بطلان سائر النواميس والشريعة المكتوبة والشفوية. ولتأكيد مشيحانيته، طلب أن يقرأ التوراة إليه، فهي عروس الإله. ورفض الأحبار الاعتراف به، فطرد من إزمير. وتنقل تسفي في الأعوام العشرة التالية في مدن اليونان، فذهب إلى سالونيكا وغيرها، وقضى بضعة أشهر في إسطنبول. وقام بخرق الشريعة مرة أخرى في هاتين المدينتين، إذ نظم أدعية أو ابتهالات تتلى في الصلوات للإله ليحلل ما حرم. وحينما زار القاهرة، انضم إلى حلقة من دارسي القبالاه كان من أعضائها رئيس الطائفة اليهودية روفائيل يوسف جلبي مدير خزانة الدولة. ثم رحل إلى فلسطين عام 1662. وبشر به اليهودي الإشكنازي نيثان الغزاوي عام 1664 باعتباره الماشيح الصادق الموعود وأنه ليس مجرد المسيح ابن يوسف، وإنما المسيح بن داود نفسه. وأعلن نيثان أنه هو نفسه النبي المرسل من هذا الماشيح، وكتب عدة رسائل لأعضاء الطوائف اليهودية يعلنهم فيها بمقدم الماشيح الذي يجمع الشرارات الإلهية التي تبعثرت في أثناء عملية الخلق، ويستولى على العرش العثماني ويخلع السلطان (وهذه من الأفكار الأساسية للقبالاه اللوريانية). ودخل شبتاي القدس في مايو عام 1665، وأعلن أنه المتصرف الوحيد في مصير العالم كله، وركب فرسا (كما هو متوقع من الماشيح) وطاف مدينة القدس سبع مرات هو وأتباعه، وعارضه الأحبار وأخرجوه من المدينة. ولكن تسفي أعلن عام 1666 أنه سيذهب إلى تركيا ويخلع السلطان. وزاد ذلك من حدة التوقعات المشيحانية بين يهود أوروبا وزاد حماسهم. ووصلت الأنباء إلى لندن وأمستردام وهامبورج. وسارت جموع اليهود تحمل بيارق الماشيح في بولندا وروسيا. ومما يجدر ذكره أن أهم مؤسسة يهودية في العالم آنذاك، وهي مجلس البلاد الأربعة، اكتسحتها الحمى المشيحانية فأرسلت مندوبين عنها للحديث

يوسفوس فلابيوس 1939 وسحر اليابسة 1948). أما مسرحيته "**يسوع من الناصرة** – أسطورة درامية، 1921) فيعرض فيها ناتان أجمون مشاهد من الأناجيل من خلال متابعته الشديدة لرواياتها. ويركز فى الفصل الأخير من المسرحية على حياة يسوع كصاحب معجزات يعرفه كل من حوله وإلى جواره أبناء طائفته – مريم ويعقوب ويوحنا وغيرهم. يقرر يسوع التوجه إلى القدس لتبشير العالم بملكوت الإنسان. وتستمر المسرحية فى وصف وصول يسوع إلى أورشليم واحتجاجه على سلطان الكهنة الفاسدين من ناحية والرومان من ناحية أخرى، والعشاء الأخير الذى يتنبأ فيه يسوع بخيانة أحد تلاميذه. يصف الكاتب هذه الخيانة بالتفصيل وتنتهى المسرحية بوصف الحرس الرومان الذين يحرسون قبر يسوع ويتحدثون عن مريم المجدلية التى تدعى عودة يسوع إلى الحياة ثانية.

شخصية يسوع فى المسرحية هى لإنسان يعانى ويتألم منذ طفولته هبطت عليه البشرى دون أن يرغب فيها ومن وقتها يصعب عليه التعامل معها. كما

معه والاعتراف به (ولم، تصدر هذه المؤسسة قرارا بطرده إلا عام 1670 بعد تردد طويل). بل إن بعض الأوساط المسيحية بدأت تؤمن بأن تسفي سيتوج ملكا على فلسطين. وحينما حاول أحبار أمستردام الاعتراض على رسائل تسفي وما جاء فيها، كادت الجماهير تفتك بهم. وباع بعض الأثرياء كل ما يملكونه استعدادا للعودة، واستأجروا سفنا لتنقل الفقراء إلى فلسطين، واعتقد البعض الآخر أنهم سيحملون إلى القدس على السحاب. وسيطرت الهستريا على الجماهير، فكان أتباعه، يغشى عليهم ويرونه في رؤاهم ملكا متوجا. وانقسم كثير من طوائف اليهود بصورة حادة. وأطلق الأحبار على أتباع تسفي 'الكفار'. ولكن تسفي تمادى في دوره، وبدأ في توزيع الممالك على أتباعه، وألغى الدعاء للخليفة العثماني الذي كان يتلى في المعبد اليهودي، ووضع بدلا من ذلك الدعاء له هو نفسه كملك على اليهود ومخلصهم. وأخذ تسفي يضفي على نفسه ألقابا يوقع بها رسائله. ومن هذه الألقاب: «ابن الإله البكر» و«أبوكم يسرائيل» و«أنا الرب إلهكم شبتاي تسفي». وتوجه تسفي إلى إسطنبول في فبراير عام 1666 حيث ألقي القبض عليه.

أنه غير سعيد بصورته كصاحب معجزات وكان أمله أن تؤدى معرفة الشعب به إلى معرفة الله. لا يرغب يسوع فى أن يوصف بالخلبل بمن يوقظ لدى الشعب الإدراك بأن الخلاص لديهم. يوصف يسوع فى المسرحية كشخصية تراجيدية تضعف تدريجيا، شخص يصرخ إلى الله قبل موته "**إلهى إلهى لماذا أرسلتنى**" أما تناول الوجه الدينى أو القومى لدى يسوع فهو قليل فالأساس هو دور الإنسان ومشكلاته ورغبته فى الراحة وأخلاقه وتواضعه وخاصة إيمانه بأن البشرى موجودة فى داخل كل إنسان أيا كان.

حاييم هزاز

ولد الكاتب حاييم هزاز فى أوكرانيا عام 1898. عاصر فى شبابه أحداثا عدة – الحرب العالمية الأولى والثورة الروسية – وظهر تأثيرها فى أعماله. بدأ فى عام 1923 بنشر ثلاث قصص له عن الثورة الروسية حققت له شهرة كبيرة. هاجر إلى فلسطين عام 1931 وعاش فى مدينة القدس.

تمتاز أعمال هزاز بعالم زاخر بالمشاهد الطبيعية والشخصيات وأنماط حياة مختلفة. تمتد أعماله من روسيا فى الشمال (رواية "**بوابات نحاسية**"، عبر اليمن فى الجنوب ورواية "**ياعايش**" وحتى باريس فى الغرب من خلال قصة "**هو أوصى**". يعبر إجمالى أدب هزاز عن التاريخ اليهودى من رواية "**عريس الدماء**" التى تدور أحداثها فى فترة العهد القديم حتى روايته عن يسوع فى نهاية فترة الهيكل الثانى. ومن مسرحية "**فى نهاية الأيام**" فى عصر شبتاى تسفى فى ألمانيا وحتى قصة "**أفق مائل**" عن المهاجرين الذين وصلوا بعد إقامة الدولة إلى منطقة لاخيش.

"**هؤلاء هم**" جزء من رواية لم تكتمل عن يسوع، نشرت على حلقات فى صحيفة "دافار" عامى 1947-1948. يصف هزاز فى فصول الرواية صورة يسوع كيهودى شاب جاء من الجليل لثلاثة أهداف: أورشليم والصحراء ويوحنا المعمدان فى نهر الأردن. يصعد يوحنا فى البداية إلى أورشليم ويدرسها جيدا ويرى الكهنة فى عملهم ويسمع أقوال التوراة ويستمع إلى المحرضين على التمرد على الحكم الرومانى" تفزعه صورة اثنين من اليهود المتشددين أعدما على الصليب. لا يجد يسوع ضالته فى الحكماء المنغمسين فى الشريعة كما لا يقبل طريق المتمردين الذين يتقاتلون فيما بينهم. يتوجه يسوع من أورشليم إلى منطقة نهر الأردن عبر الصحراء ويقابل فى الطريق رجلا يهدد حياته ويسخر منه. لكنه يصبح فى النهاية من أنصاره. يصف هزاز فى سخرية شديدة الحالة النفسية التى مر بها يسوع من "أحِب لأخيك كما تحب لنفسك" إلى "وأحِب لعدوك كما تحب لنفسك".

إن موقف التعميد فى الأردن موقف يعد فى نظر يسوع أكبر من العمل فى الهيكل. وفيه يتلقى الوحى ثم يعود إلى الصحراء ويعيش حياة عزلة وزهد. وتحاول غريزة الشر إغواءه بأن يترك إسرائيل ويعرض شريعته على أمم العالم الأخرى. لكنه يرفض ذلك ويقول لقد أرسلنى أبى الذى فى السماء إلى شعبه إسرائيل وليست شريعة إسرائيل مناسبة لأمم العالم. نشرت أجزاء رواية "هؤلاء هم" أول مرة فى عام 1947 قبل حرب 1948، ونقل هزاز من خلال يسوع نبوءة قاسية حول مصير اليهود وتوبيخا لأمم العالم لما فعلوا ضد أبناء شعبه على مدى التاريخ. ولا تعتبر هذه الرؤيا جزءِ جوهريا من الرواية.

بنحاس ساديه

هاجر بنحاس ساديه إلى فلسطين فى طفولته ودرس فى تل أبيب. صدر كتابه الأول عام 1951 وفى عام 1967 صدر له كتاب يعنوان "**حول الإنسان**" يعبر فيه عن آرائه المتأثرة بالتصوف المسيحى واليهودى وخاصة الحسيدية[1]. كتب ساديه كتبا للأطفال وترجم كثيرا من الأعمال من الشعر العالمى إلى العبرية.

أما كتاب ساديه "**الحياة كمثال**" والذى حظى بانتشار كبير فهو عبارة عن سيرة ذاتية يصف فيها الكاتب حياته؛ والفكرة الأساسية فيه هى الانحياز إلى المعاناة فى الدنيا (من خلال شخصيته وشخصيات الآخرين). والكتاب يزخر بكثير من الموتيفات المسيحية ويركز بشكل كبير على أفكار العهد الجديد لا سيما إيجاد القداسة فى الخطيئة والحب الروحانى والنور فى الحياة الدينية. وتعرض هذه الأفكار من خلال الشخصيات الموجودة فى الكتاب.

[1] الحسيدية» بالعبرية «حسيدوت» وهو مصطلح مشتق من الكلمة العبرية «حسيد»، أي «تقي». ويستخدم المصطلح للإشارة إلى فرق دينية عدة في العصور القديمة والوسطى، ولكنه يستخدم في العصر الحديث للدلالة على الحركة الدينية الصوفية الحلولية التي أسسها وتزعمها بعل شيم طوف. بدأت الحركة في جنوب بولندا وقرى أوكرانيا في القرن الثامن عشر، وخصوصا في مقاطعة بودوليا التي ظهرت فيها الحركة الفرانكية كما ظهرت فيها فرق مسيحية حلولية ذات طابع غنوصي متمردة على الكنيسة الأرثوذكسية الروسية (مثل الدوخوبور والخليستي والسكوبستي). وكانت هذه المقاطعة تابعة لتركيا في نهاية القرن السابع عشر، وانتشرت الحسيدية منها إلى وسط بولندا وليتوانيا وروسيا البيضاء ثم المناطق الشرقية من الإمبراطورية النمساوية المجرية: جاليشيا، وبوكوفينا، وترانسلفانيا، وسلوفاكيا، فالمجر ورومانيا. ولكن كان أقصى تركيز لها في الأراضي البولندية التي ضمتها روسيا إليها. وانتشرت الحسيدية في بادئ الأمر في القرى بين أصحاب الحانات والتجار والريفيين والوكلاء الزراعيين، ثم انتشرت في المدن الكبرى حتى أصبحت عقيدة أغلبية اليهود في شرق أوروبا بحلول عام 1815. بل يقال إنها صارت عقيدة نصف يهود العالم آنذاك، إلى جانب أنها عقيدة أغلبية يهود اليديشية. ويلاحظ أن الحركة الحسيدية لم تضم في صفوفها كثيرا من العمال والحرفيين اليهود، لأن الأساس الاقتصادي لوجودهم كان ثابتا، كما أن أولادهم كانوا لا يدرسون إلا التوراة، بل كانوا يتركون المدارس بسبب فقرهم. ولهذا فإنهم لم يكونوا يخوضون في دراسة الشريعة الشفوية. وبالتالي وجدوا أفكار الحسيدية غريبة وغير مفهومة. كما أن الأحزاب الاشتراكية والثورية نجحت في ضمهم إلى صفوفها.

وفيما يخص هذا الموضوع فترتبط شخصية يسوع التى يصفها الكاتب "كم كان فقيرا فى حياته" بالكاتب نفسه. فيسوع بأنه رجل نأى بنفسه عن مباهج الحياة من أجل هدفه الدينى – " فلم يتخذ زوجة ولا ولدا وصام أربعين يوما وليلة وعانى الجوع وتفانى فى مساعدة الفقراء وكان يميز بين "الخطيئة الطيبة" التى تحتوى على الإجابة الحقيقية، وغيرها من الخطايا. كما يؤكد ساديه على قدرة يسوع على مواجهة إغواءات الشيطان التى حدثت فى حياة الكاتب نفسه (خاصة فى شخصيات النساء اللائى يلقاهن). مع هذا يجب أن نشير إلى تصوير يسوع فى صورة "مخلص العالم" فى حين أن الكاتب فى يأسه يقول لنفسه "أنت لست يسوع".

تحمل شخصية يسوع مثل الكثير من الشخصيات الأخرى فى كتاب ساديه الطابع العلمى الإنسانى ويقل التطرق فيها إلى أصله وانتمائه الدينى. وفى الحقيقة يختار ساديه اعتبار يسوع صديقا للبشرية ورمزا للخير.

يعتقد ساديه أنه لم تكتب أمثال أجمل من أمثاله؛ أمثال رجل عاش " بعيدا فى الزمن ولكن قريبا من القلب" هو يسوع.

بنيامين جلاى

هاجر جلاى مع أسرته إلى أرض فلسطين عام 1926. اشتغل معظم عمره بالصحافة وكان له عمود خاص به فى صحيف معاريف.

يصف الصحفى شموئيل شنيتسر كتاب جلاى "**قصة الأخ المبعد**" التى صدرت عام 1983 بأنه 'مناظرة بين اليهودية والمسيحية'. فالكتاب عبارة عن

مناظرات ثنائية الأبعاد مع المسيحية. فمن ناحية يمحص الأمانة التاريخية لمقولات المسيحية المقدسة بشكل عام، وقصة يسوع فيها بشكل خاص. كما يكشف عن التناقضات بين أسفار العهد الجديد المختلفة ويشكك فى مصداقيتها التاريخية وأسسها الدينية. ومن ناحية أخرى، وهى الأساس، يهتم الكتاب بقضية العلاقة بين اليهودية والمسيحية على مر الأجيال. وفى ذلك محاولة لإجراء حساب تاريخى بين اليهودية والمسيحية بشكل عام وعلى خلفية أحداث المحرقة ضد يهود أوروبا بشكل خاص.

يعتبر جلاى يسوع إنسانا سيء القلب قاسيا ينتقم ويغضب وأنه أساس كراهية المسيحية لليهودية. كما لا يفرق جلاى، على خلاف كتاب آخرين من أمثال قاباق وهزاز، بين يسوع والمسيحية ويعتبرهما شيئا واحدا قاسيا.

يقول شنيتسر أن وضع بنيامين جلاى يختلف كثيرا عن سابقيه (المقصود أحبار العصور الوسطى الذين جادلوا المسيحية ومنهم رامبان ويوم طوف ليفمان) فكانوا معرضين لخطر داهم عندما دافعوا عن مبادئ عقيدتهم وبوعى تام منهم بأن أية كلمة فى غير مكانها قد تكلفهم حياتهم. أما بنيامين جلاى فلا يخشى شيئا ولا يحاذر فى كلامه؛ فهو يقول ما يقول فى عاصمة دولة إسرائيل ولا يخشى أحدا. وبهذه الروح يدير صراعه ضد المسيحية.

عاموس قينان

من مواليد تل أبيب عام 1927. بدأ منذ عام 1949 نشر روايات وقصص عديدة، كما كتب العديد من المسرحيات من بينها "**أصدقاء يحكون عن المسيح**" عام 1972 وإن كانت صلة القصة بيسوع ضعيفة جدا.

يصف قينان فى كتابه "**سوسنة أريحا**" 1998 فصولا من تاريخ أرض فلسطين من الناحية التاريخية وطبيعتها الجغرافية وتاريخ اليهود فيها منذ بداياتهم وحتى إقامة الدولة. وفى الجزء المخصص للعصر القديم يصف قينان تاريخ الأرض منذ وصول إبراهيم عليه السلام إليها مرورا بعصر الآباء والقضاة والملوك وخراب الهيكل الأول والسبى البابلى ومملكة الحشمونائيم[1]. يوصف يسوع كإحدى الشخصيات التى عاشت فى عصر الملك هيرودس بجانب هلل وشماى. فكان ذلك جيل المتنبئين ودعاة المسيحية والمتمردين على ملكوت السماء والأرض والمصلوبين. يؤكد قينان على معاناة يسوع والأمة ويعتبره من أعلام الثقافة العبرية. كما يتناول قينان يسوع واضطهاده كنموذج للكراهية والاضطهاد الذى حدث فى التاريخ لأكثر من مرة كما يربط قينان بين أحداث المحرقة وبين استخدام الكنيسة المسيحية "دم يسوع المسفوك" أساسا لكراهية اليهود.

[1] يسمون أيضا «المكابيون». ينسب إليهم التمرد الحشموني، وهو تمرد قام به فقراء اليهود وغيرهم وبدأه الكاهن الحشموني ماثياس عام 168 ق.م واستمر أولاده في قيادته ضد الاستغلال الاقتصادي والقمع الثقافي. لذا فإنه كان ضد كل من الإمبراطورية السلوقية (في عصر أنطيوخوس الرابع) وضد العناصر العبرانية اليهودية المتأغرقة. ونجح الحشمونيون في تحقيق الاستقلال وإقامة الدولة الحشمونية، لكنهم تأغرقوا بعد ذلك تملما إلى أن استوعبت روما الدولة الحشمونية ونخبتها الحاكمة.